

بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ، وَأَنْبَسُ الْمَجَالِسِ
وَشُعْذُ الْذَاهِنِ وَالصَّابِرِ

بَهجةُ المَجَالِسِ ، وأنسُ المَجَالِسِ وشجذُ الذَاهِنِ وَالصَّاحِبِ

تأليفُ

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الأول
من القسم الأول

تحقيق

محمد مرسي البخولي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلميّة
بيروت، لبنان

يطلب من .

دارالكتب العلميّة - بيروت - لبنان / صندوق بريدي ١١/٩٤٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

حينما قدّمت هذا الكتاب إلى جمهرة القراء ، كان كل ما وقر في ذهني منه أنه كتاب أدب كبير ، يتضمن الكثير من الكلمات الحكيمة والشعر الفاضل الذي يحمل كلاهما التجربة والعبرة ، وأنه من تأليف حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر القرطبي ، صاحب كتابي « التمهيد لما في الموطأ من الكتب والأسانيد » ، « والإستيعاب في طبقات الأصحاب » (أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وكلاهما من الكتب الشهيرة المعتمدة ، وكتابه هذا في الأدب لن يقل عنهما قيمة واعتباراً . بالقطع .

هذا ولقد ذكرت في مقدمتي للكتاب أنه يحوي قدراً طيباً من النصوص الأندلسية ، كما أنه يحوي جملة وافرة من شعر عدد من الشعراء ينكفي لإخراج ديوان لكل منهم ، وهذا كل ما كنت قد قدرته لقيمة الكتاب وقتئذ .

والواقع أنني فوجئت بعد صدوره أنني لم أقدر الكتاب حق قدره ، وذلك لأن جمهرة الباحثين والعلماء قد رحبوا بالكتاب ، وانبروا للإستفادة منه ، والإعتداد به مرجعاً من المراجع المهمة في الشعر العربي ، فكان أن استخرجوا منه دواوين لبعض الشعراء ، مثل ديوان شعر محمود الوراق ،

ب

وديوان منصور الفقيه ، وروجع عليه ديوان شعر أبي العتاهية الذي صنعه في الأصل ابن عبد البر وسماه « الإهتبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال » ، ومن الطريف أن يكون كل هؤلاء الشعراء من الشعراء المشاركة الذين وجدوا من عناية عالم سحيق الدار منهم ما لم يجدوه من علماء بخلادهم في جمع شعرهم والحفاظ عاياه وندوينه .

على أن هناك ملاحظة تلاحظ على ما جمعه ابن عبد البر من هذا الشعر ، وهي أنه كله من الشعر العفيف ، الذي يمتلىء بالمثل الصالح والحكمة النافعة والقول الشريف ، ولا يمكنك مهما حاولت أن تعثر فيه على لفظ فاضح أو قول سفييف ، وذلك هو طابع ابن عبد البر في اختياراته ، وإذن فإنه يمكن أن يكون قد ضاع هؤلاء الشعراء الذين جمع شعرهم كثير مما لم يقع تحت شرطه ، وهو مما يعد من ناحية الأدب ثروة فنية وإنسانية ، ولاكتنا لم تكن كذلك في نظر ذلك المحدث الجليل حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر ، وحسب الأدب أن يكون الرجل قد احتفظ له بقدر عظيم من شعر هؤلاء لولاه هو لضاع ولعفى عليه الزمن .

ثمة فائدة أخرى حققها الكتاب للباحثين ، وهي احتفاظه بشعر عدد من الشعراء المقلين في الجاهلية والإسلام وفي المشرق والمغرب ، وهذا الشعر قد استفاد به جمهرة الأساتذة الذين تصدوا بجمع شعر الشعراء ممن ليس لهم دواوين ، وقد كثرت هذه الظاهرة وبخاصة لدى الإنحوة العراقيين ، وهي ظاهرة طيبة تجمع الشعر المتفرق المتناثر في بطون الكتب لشاعر من الشعراء ثم تخرجه كله في ديوان تسميه شعر فلان ، ولا شك أن الشعر المجموع في صعيد واحد يؤدي خدمة كبيرة للباحث في دراسة الشاعر أو تخريج أبياته .

ولقد أدى ابن عبد البر خدمة جليلة لتلك الأعمال باحتفاظه بأشعار

ج

ربما كان هو الوحيد الذي احتفظ بها ، ولهذا فقد استفاد منه معظم هؤلاء الباحثين ، وقلما نجد شعراً مجموعاً إلا ووجدت في مراجعته كتاب ابن عبد البر هذا .

أما الشعر الأندلسي في الكتاب فقد جمعه كله الدكتور إحسان عباس في كتابه عصر سيادة قرطبة .

وأخيراً فلقد كنت كتبت مقدمتي للطبعة الأولى للكتاب مستحدثاً فيه ترجمة لمؤلفه فيها الكثير من الإستنتاجات حين لم تسعفني المصادر بترجمة وافية لحياته .

ويبدو أن ما ذكرته من استنتاجات قد أدى بأحد الإخوة الباحثين إلى تتبع هذه الإستنتاجات وتبيين مدى ما فيها من دقة وصحة ، وذلك في رسالة أعدها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بعنوان « الحافظ ابن عبد البر مؤرخاً » وما زالت هذه الرسالة قيد العمل وهي بلا شك قد تضيف إلى الترجمة جديداً .

وما زالت الاستفادة من الكتاب مستمرة هنا وهناك ، وأنا أعتقد أن ذلك نتيجة لما بذله فيه مؤلفه من جهد ، وما عسى أن يكون قد صاحب فيه محققه من توفيق .

ونحن نسأل أن يظل الكتاب نبعاً ثراً للإفادة ، وأن يوفقنا الله لخدمة تراث العربية والإسلام بمنه وفضله ، فهو سبحانه أجل مأمول وأكرم مسئول .

وكتب

د. محمد مرسي الحولي

القاهرة في ٧ / ٢ / ١٩٨١

وكيل معهد المخطوطات العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ الْعَوْنُ
 وَبَعْدَ ذَلِكَ أَوَّلُ مَا أُبْتَدِيَ بِهِ كِتَابٌ وَأَفْتَحَ بِهِ خَلْقًا
 سَجَدَ اللَّهُ عَلَى جَزِيلِ آيَاتِهِ وَشَكَرَ بِلَائِهِ شِرْكَائِهِ
 عَلَى خَلْقِهَا نَبِيَّاتِهِ وَعَاقِبَ رُسُلَهُ صَلَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
 وَسَلَامَ عَلَيْهِمْ فِي السَّالِمِينَ وَمَرَكَاتِهِ وَالْمَجْدَ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
 لِلدِّينِ السَّلَامِ وَفَضَّلَنَا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةٍ
 عَهْدَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَوَّلُ مَا
 عَنَى بِهِ الطَّالِبِينَ وَرَغِبَ فِيهِ الرَّافِعِينَ وَمَرْفَعِ السُّبُحِ
 الْعَاطِلِ هَمْدَهُ وَأَكْرَمِيهِ تَحْزِينَهُ بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى مَعَانِي
 السَّنَنِ وَالْكِتَابِ مَطَالِمَةَ فَنَوَى الْأَدَابَ وَمَا اشْتَقَّتْ
 عَلَيْهِ رَجْوَةُ الصَّوَابِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَكَمَلِ الَّتِي تَجِبِي النَّفْسَ
 وَالْقَلْبَ وَتَشْعُدُ الذِّهْنَ وَاللِّبَّ وَتُبْعَثُ عَلَى الْفِكَارِ
 وَتَنْهَى عَنِ الذَّنَايَا وَالْمَحَارِمِ وَلَا يَشِيءُ أَنْظُرَ لَذَلِكَ كَلِمَةً
 وَأَجْمَعَ لِفَنُونِهِ وَأَهْدَاكَ عَيْونَهُ وَأَعْقَلَ لَشَارِدَهُ وَأَشْفَى
 لِنَادِرِهِ مِنْ تَقْيِيدِ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ وَالْأَدْبَابِ النَّادِرَةِ
 وَالْفُصُولِ الشَّرِيفَةِ وَالْأَخْبَارِ الطَّرِيفَةِ حَكْمَ الْمَكْمَلِ
 وَكَلَامِ الْبَلْغَاءِ النُّقْلَةِ مِنْ أُمَّةِ السَّلَفِ رُسُلِهِمُ الْكَلِمَاتِ
 الَّتِي امْتَلَأَتْ فِي أَفْعَالِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ أَدَبَ التَّنْزِيلِ وَمَعَانِي
 سُنَنِ الرَّسُولِ وَنَوَادِرِ الرَّبِّ وَأَمْثَالِهَا وَأَجْوِبَتِهَا وَمَقَامَاتِهَا
 وَمَبَادِيهَا وَفُصُولِهَا وَمَا حَوَّوهُ مِنْ حِكْمِ الصِّبْغِ وَسُلُوكِ الْأَمْرِ
 فِي تَقْيِيدِ أَخْبَارِهِمْ وَحَفِظَ مَنَاهِجَهُمْ مَا يَبْقَى عَلَى

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب

(مهد المخطوطات ٩٨ أدب)

فاسبها من فم الأبريق فانبثقت . مثل اللسان جري واستمكت ^{للجسد}
 فلم تزل في صباح السبت تأخذ . والليل يأخذنا حتى بدأ الأحد
 واستشرقت عزة الاثنين وافضة . وللجبي معترض والعالم الأ
 وفي الثلاثة أعملنا المني إلى . صباء ما قارعتها بالزواج بيد
 والأربعاء كسرنا جد شرفه . والكأس يفضك في خافاتها الز
 ثم المنين وصلنا به ليلة . قصاوتم لنا بالجمعة العدد
 وجلس حول الأشجار عذقة . وفي جوانبه الأطباء تقتر
 لا نسقف بسايقنا لفرقة . ولا يرد علينا حكمة أحد

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
 آله وصحبه وسلم وكان الفراع من نسخ هذه
 المخطوطة يوم الثلاثاء المبارك الموافق
 غاية شهر شوال سنة ١٣١٣ هجرية على
 يد الفقير إلى الله تعالى
 أحمد إبراهيم غفر له
 لرو لوالديه
 وللمسلمين
 آمين

٣

على ذمة المكتبة الخيرية المصرية

فهم غيره **قال ابن المعتز** **ع**
 وجيران صدوق يزاور بينهم على قربة يفرح الجاور ويغيب
 كان خواتم الطين فو نام فليل لها حتى التامة من فطر

وقال الخليل بن أحمد **ع**
 كركب شئت ففعل الموت لا مراكب عنه ولا موت
 بيت عنى يترى وبهجة زال الغنى فأنوض البئس
 استع قد استعك الضرب ان لم يبادر فهو تر الموت
 كل شيئا شئت وعسى ان هذا كله الموت
وقال آخر **ع**

اذا ما وعظت الخاطبة بحكمة فليهم حوقها ان لوها على فخير
 فوظ كل ذي عفتا على نذر عقابه ولا يوظ الحسنى على ذل العذر
باب

العامل **ع**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاؤوا وخدموا لاجل الصلاة
 ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن **وقال** عليه السلام لا يقتل
 شهيد ابواه ولا تزوجه حياء **قال** ابو ذر قلت يا رسول الله الرجل
 يعمل العمل لنفسه وجمعة الناس عليه **قال** ذلك عاجل يشرب
 الموت **قال** ابو الدرداء اعلموا ما سئتم ان تعملوا فانه
 ان اجرم الله حتى نعمة **قال** القاسم بن محمد اذا رحت

الصفحة رقم ١١١ من نسخة دار الكتب ٤٣٥ أدب
 (معهد المخطوطات ٩٩ أدب)

صلى الله عليه وسلم
لله الحمد والمنة
سنة ١٢٠٠
لقد كتبت

الجزء الأول من كتاب فحة المجالس وأنس المجالس

تأليف
الشيخ الميرزا محمد باقر
تأليف الامام آية الله
عبد الله بن يوسف بن عبد الله

بقية الخزانة السعيدة السلطانية

المالكية الملاحية الاشرافية المهدية خزانة مولانا والعلما السلطان
سيد الاجل الملك الاشرف محمد الدواد الدين ليد الصابرين تمهيد بن مولانا السلطان الملك
الفاضل العباس بن علي بن اودين يوسف بن عثمان بن علي بن رسول الثاني سلطان الله ملكه
في رحمة الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



هذا كتاب
من كتب
الشيخ الميرزا محمد باقر
القمي

مكتبة
الشيخ الميرزا محمد باقر
القمي

مكتبة
الشيخ الميرزا محمد باقر
القمي

صفحة العنوان من نسخة ميراد ملا رقم ١٤٨٧
(مهد الخطوط رقم ١٠٠ أدب)

الحمد لله الرحمن الرحيم و صلواته على سيدنا محمد وآله
 أما بعد فإن أول ما افصح به خطابنا و افصح به خطابنا هو قوله الله على لسان
 وشكره على آياته ثم الصلوة على خاتم انبياءه محمد بن عبد الله
 عليهم اجمعين و رحمة و سلام عليهم في العالمين و بزحانته و ما لم يرد الذي هو
 لا سلام و نزلنا على جميع الانام و نحن انما من امة نبوته محمد عليه السلام و بعد
 فان ادب ما هي الطائفة و زرعته في الرابع و ضرر اليه العاقل منه و احقده فيه
 من ثم بعد الوقوف على معاني السنن و العجائب مطالعة فنون الادب و ما
 اشتملت عليه و حرة العجائب من افواج المعجم القوي النفس و الثبات و تشييد
 الدهن و تفتيح المسكار و تنقي عن الدنيا و الجوارح و لا تنال فضل ذلك
 حظه و اجمع لفنونه و اهدى الى طير من و اعلم اننا قد و انقلب لنا و من
 تقييد الامثال الشارحة في الآيات الفاتحة و الفصول الشريفة و الاشارة الى
 من جعلهم للتحق و و كلام الآباء و العقلاء و من امة النبي و صلى الله عليه و آله
 في افعالهم و اقوالهم اذ انهم في بعض النسخ و فوايد العرب و اشغالها و اجوبها
 و متاعها و نزلنا الى ما لا يحصى من حكم الخبير و قائل الامم و من تقييد الاخبار
 و حفظ اشعارهم و اشعارهم التي هي في الالباب و شمار اذ اجمع ما يحسن على مثال طرز و تصوير
 و اختراجهما و اتمام انما و اختراجهما و قد جمع في كتابنا من الامثال الشارحة
 و الايات الفاتحة و المعجم الفاتحة و المعجانات المتحة في فنون العجائب و افواج تقييد
 من معاني الدين و الدنيا ما انتهى اليه جفيلي و و حاق و رحمة زواجر و حاق ليهم من
 حنظله و و ما و اتقته و اجتهاد في بيان محاشيه و انما الجارية و فخذ الازمنة
 و فاجتهه بلا مكر به يتقنه و حنظله في الاظلم ما يذاحه و به الا اورد فيه بياننا و را
 او مثلا شايئا او حياطة مستطرقة او حياطة مستطرقة في بعض من وقع ذكره
 الاتجاج و حنظله في النسخ و الجاه و يكون في قوله ان في قوله من حياطة المتلا
 و شايئا في الاضراب كما هو جلي من الاضراب و حنظله في الباب منه الذي و حياطة المتلا
 متاعه جليته فيما يزد في حنظله و لمن ازا و حياطة متاعه في ذلك الذي يكون
 الملح و اشقى و اشقى و قد فرسه و ترسه ليشيل حنظله و ترسه في حياطة المتلا و اشقى

الصفحة الأولى من نسخة مراد ملا رقم ١٤٨٧
 (معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب)

عليه طيب نفاق اسمه سعة فسطر اليه ووصف له ذرارة بطله به ثم حشر
وخر حنجره وخرق وخرق وقال سخرتم لا تعذبون بالله ولا فانه الظاهر موت
فقال سلا بمراتب ما لكم ما قال كذا النصارى فان زيارته في غيرك فقلت ما
محتى ان يقول يا قال انصبت عليك لا حترتي فاخرته فرفع عينه الى السماء
وقالت ذرعه على حذبه وقال

- يا زنت هنيئى لم ازل فى مثل حال الشحشع
- حين اسلادوا بعترى الدين وكانوا حششع
- فاصوا قناروا بواصب البسرة
- ولم يعنى من شحشع الايمان باء القسرة
- فاخرت فان منك ادبى منهم بالمقشع

ويزدى ان اخرت ما قال كذا الرزان الذي ما شحشع فيه
ان طوى حششع عفرى باريت هيلك وانت مالك امري
صيت شحشع من القزاية والاهل هيلك وانت توضع شحشع
ثقة لي بالرك من الشحشع فلا خرف به يوم شحشع
بوم هيلك الشحشع عن حششع القسرة كذا شحشع

قال ابو عمر قد اينا عرفنا به زمانى ابواب هذا المعنى ما
حفظه وشر لنا دكثرة زمان ان منع الله به القابل فيه والمسنوع اليه
وما لحقنا به من التقصير عن بلوغ غاية المنطق ورضا الطامع المستوع كذا عادة
الله في عباده نبي الحكما اعلم وانقر ذبه ذواتهم واعتدازى من ذلك ما القى
هذا العجائب الا وبعض حششع غايب حتى تم طالوت منها بعد ما استلحقته
في طرته وانشئت من ذلك على عزه مع على انكنا زعيم اهل هذا الزمان
عن المطالعة وحلال اذهابهم عن القليله وانما صفته لا يمشيه له ومنسطا اليه
عن ان نسا الله تعالى جعلنا الله من رده صوله وعلمه ونجمه وشمس شحشع
اسم من العالمين وقل الله على سيدنا محمد صام النبي وعلى اله الطيبين الطاهرين
ورضي الله عن الصحابة اجمعين والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اِيْتِي الرّحْمٰنِ الرّحِيْمِ

تصدير

هذا الكتاب موسوعة أدبية لعالم أندلسي كبير ، اشتهر في تاريخ الأدب الأندلسي كما اشتهر بين معاصريه : بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنه في الواقع لم يكن كذلك لحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلا موسوعي الثقافة ، وافر الاطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، ولم يفرق في إخلاصه هذا بين نوع وآخر من العلوم ، فهو كما وعى حديث الرسول الكريم واستوعب أصول الفقه ومسائله ، وألف فيهما من المؤلفات ما تكاد تقطع عند قراءته بأنه لا يحسن غيرها ، كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم ، كالأنساب والسير والتراجم والقراءات ، حتى الجغرافيا له فيها جميعاً مؤلفات قيمة ، يمد ما طبع منها مراجع ممتازة في أيدي الباحثين حتى اليوم .

وأخيراً فإن الأدب من بين هذه المعارف يحتل عنده مكانة بارزة ، وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً ، كيف لا وهو في رأيه يلي في المرتبة كتاب الله وسنة رسوله ، ومعرفة آدابهما . لهذا نراه يقدم لنا كتابه هذا الذي أفرغ فيه خلاصة قراءاته وملاحظاته في ميدان الأدب ، أو كما يقول هو : « وجمعت فيه ما انتهى إليه حفظي ورعايتي ، وضمته روايتي وعنايتي » .

والحق أن ما انتهى إليه حفظ المصنف ليس شيئاً قليلاً ، فقد عاش أبو عمر عمراً مديداً قضاه كله في صحبة العلم ، والعيش في رحابه ، قارئاً وسامعاً ، معلماً ومؤلفاً ، ولهذا ليس غريباً أن يودع في كتابه نتيجة لهذا كل مختار من متقى من مآثور الأدب نظماً ونثراً ، مما كان سائد الطراز للمذاكرة في مجالس العلماء في عصره . من إنتاج المشرقيين والأندلسيين على السواء ، فحفظ لنا بما جمعه بين دفتي كتابه تراثاً قيماً ، ضاعت الآن معظم مصادره الأصلية ، وكاد أن

يلدثر ويسحب عليه الزمن ذيل النسيان ، لولا أن ضم هو شمله ، وجمع شتاته ، وقدمه على مائدة الفكر زاداً شهياً لمن يأتي بعده من الأجيال .

والحقيقة أن هذا المصنف يحوى من الميزات الهامة ما سوف نتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد ، ولكننى قبل هذا أستسمح القارىء عذراً فى أن أسجل فى هذه المجالة كلمة أرجع فيها الفضل لأهله .

ذلك أننى كنت شديد الاهتمام بالعمل فى هذا الكتاب وإخراجه إلى النور منذ فترة طويلة وذلك لعدة أسباب ، أهمها : مكانة المؤلف الكبيرة التى كان يتمتع بها بين علماء عصره ، والتى ما زالت تتمتع بها مؤلفانه بين جمهور العلماء والدارسين حتى اليوم .

ثانياً : حاجة الباحثين إلى كثير من مواد هذا الكتاب^(١) ، واضطرابهم إلى الرجوع إلى نسخته المخطوطة فى دار الكتب ، للاستعانة بها فيما يقومون به من دراسة أو تحقيق مع ما نعلمه جميعاً من صعوبة الرجوع إلى المخطوطات حتى على المتخصصين ، لتشتت موادها وعدم وجود الفهارس التى تساعد الباحث فى العثور على بغيته ، لهذا فقد قررت البدء فى تحقيقه ثم العمل على نشره .

هذا وحين أبديت تلك الرغبة لعدد من الأصدقاء المشتغلين فى هذا الحقل ، أظهروا جميعاً من التشجيع ما حفزنى على المضى فى تحقيقها .

غير أننى مع ذلك أشفقت على نفسى من أمرين :

الأول : ضخامة الكتاب ووفرة موادها وتنوعها ، وصعوبة الحصول على المراجع الكثيرة اللازمة لتخرج أبياته والتعريف بما ورد فيه من أعلام ، حتى يرتفع التحقيق إلى مستوى مصنفه الكبير ، وتقديم كتابه فى الصورة التى تناسب ومكانته .

(١) انظر مثلاً التحقيق فى كتاب : جذوة المقتبس للحميدى ، تصحيح محمد بن زاويت الطنجى . وانظر كذلك كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، تأليف الدكتور إحسان عباس ، فقد اعتمد كلاهما على المخطوطة فى التحقيق والدراسة .

الثانى : صعوبة نشره نظراً لهذه الضخامة وعدم ترحيب دور النشر بالكتب الطويلة عامة .
لكننى بالنسبة للأمر الأول، إزاء حث الأصدقاء ورغبتهم المخلصة فى المعاونة ثم ما وجدته
فى متناول يدى بحكم عملى فى معهد المخطوطات من المراجع الممتازة ما بين مطبوعة ومخطوطة
فررت أن أمضى فى تحقيق الكتاب ، تاركاً أمر نشره إلى الظروف المناسبة .

والحق أن هذه الظروف قد أنت بأسرع مما كنت أتوقع ، إذ لم تسكد إدارة التراث
القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، تعلم بأمر عملى فى تحقيق هذا الكتاب حتى أبدى
المشرفون عليها استعدادهم لنشره فأسدوا إلى الكتاب بدأً من الجميل لا تنسى .

ثم كانت من حسن حظى خاصة أن وكلت الإدارة أمر مراجعته إلى الأستاذ الدكتور
عبد القادر القط ، فقام على الأمر خير قيام ؛ وبذل من الجهد فى معاونتى فى تقويم النص وضبط
ما يحفل به الكتاب من شعر ، ثم ما كان يشير به من وضع التعليقات والشروح المناسبة ،
ما أذكره له بكل تقدير وإجلال .

فإليه ، وإلى الأصدقاء الأساتذة محمد رشاد عبد المطلب وإبراهيم شبوح ، وسعيد
إسماعيل عبده أتقدم بخالص الشكر ، وجميل الثناء .

والله أسأل أن يجزينا بقدر ما بذلنا من جهد ، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً إنه قريب

محبوب .

المحقق

مقدمة

ابن عبد البر القرطبي (١)

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

٩٧٨ - ١٠٧١ م

ترد ترجمة ابن عبد البر في عدد وافر من السكتب ، ولكنها في الحقيقة ترجمة واحدة مكررة في هذه السكتب كلها ، فما تجده هنا تجده معاداً بأسلوب آخر هناك ، فإذا حذفنا من هذه الترجمات ما ذكره المترجمون له من كتبه ، وما أوردوه من بعض شعره ، لم تبق لنا بعد هذا إلا سطور قليلة ، تتضمن قليلاً من المعلومات التي يمكن أن نعرفها عن حياة الرجل .

والواقع أن ذلك لا يعد غريباً بالنسبة إلى حياة المؤلف ، فقد كانت في الحقيقة حياة علمية هادئة ، لم تتورط صاحبها في مشاكل السياسة ، ولم تسكن له أبحاث في الفلسفة وهما بالذات الجانبان اللذان اهتم بهما مؤرخو الأندلس ، وأفردوا لأصحابهما ، وتفاصيل حياتهم الصفحات العوال .

ولكن هذا الأمر — وإن لم يكن غريباً كما قلنا — يُصعّب المهمة التي نقوم بها من تقديم ترجمة وافية لحياة المصنف وأعماله ، ولهذا فسوف نحاول دراسة العصر الذي عاش فيه المؤلف وخاصة ما يتصل منه بحياته ونقدم من كل ذلك ترجمة أوفى — قدر الاستطاعة — مما قدمه لنا الأسلاف عنه ، مستوحين — في نفس الوقت — ما قدموه إلينا من نصوص ، وما حلفوه لنا من أخبار .

(١) ترجم له في : جذوة المقتبس ٣٤٤ ، بنية التمامس ٤٧٤ ، الصلاة ١/٦٤٠ — ٦٤٢ بروكلمان ملحق ١/٦٢٨ ، الديباج المذهب ٣٥٧ ، المغرب ٢/٤٠٧ ، ٤٠٨ ، وفيات الأعيان ٦/٦٤ ، مطمح الأنفس ٦١ ، شذرات الذهب ٣/٣١٨ . تذكرة الحفاظ ٢/١٤٣ ، جهرة الأنساب ٢٨٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ٣/٦٦ ، إلى جانب بعض السكتب الفرعية الأخرى .

المؤلف : مولده ، ونشأته :

في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وعلى وجه التحديد ، وقت صلاة الجمعة والإمام يخطب على المنبر ، ولد أبو عمر لأب كان فقيهاً من فقهاء قرطبة ، ولم يقدر لذلك الشيخ أن تطول به الحياة حتى يرى ولده فتى رائماً أو شاباً مكتملاً ، إذ مات في عام ٣٨٠ هـ وابنه لم يتعد الثانية عشرة من عمره .

وقد نشأ أبو عمر في قرطبة ، وإن كنا لا نعلم شيئاً عن كفله بعد وفاة والده ، كما لا نعلم أيضاً إن كان قد ترك له ذلك الوالد شيئاً من حطام الدنيا ، ولكننا نعلم يقيناً أنه تلقى تعليماً ممتازاً على أيدي جلة من علماء عصره ، وبرز وتفوق ، واستوعب كثيراً من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها ، في بلده قرطبة ، أعظم المدن الأندلسية في ذلك الوقت وأحفلها بالمكتبات والعلماء .

وحينما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره أو نحوها ، كان المفروض أن يحتل مكانة أبيه : فقيهاً من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها ، ولكن حدث فجأة ما حرمه من هذه المكانة المنشودة والأمل المرتقب . إذ في تلك الفترة عينها — أواخر عام ٣٩٩ هـ — حدث ما يسمى في تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية ، والتي كانت حوادثها من القسوة والهجية بحيث دفعته كما دفعت غيره من العلماء وجمهرة الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة .

الفتنة البربرية :

يشير المؤرخون إشارة موجزة في ترجمة ابن عبد البر ، إلى أن الفتنة هي السبب الذي دفعه إلى الهجرة من قرطبة ، ثم لا يزيدون على كلمة « الفتنة » شيئاً من تفصيل وإيضاح ، ولكننا نرى من تمام البحث أن نتكلم بشيء من التفصيل عن هذه الفتنة وآثارها ، حتى تكتمل أمامنا صورة واضحة المعالم للأحداث التي مرت بالرجل ، ونالت منه ومن أقرب المقربين إليه .

أما حوادث هذه الفتنة^(١) ، فقد بدأت عندما أراد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي الملقب بالمهدى^(٢) ، أن يتخلص من الدولة العامرية ، وكان العامريون قد تولوا زمام السلطة الفعلية طوال أيام الخليفة المستضعف هشام المؤيد ، وفعلاً نجح المهدي نجاحاً مؤقتاً ، وقتل عبد الرحمن بن أبي عمر الملقب بشنجول ، والذي ادعى أنه ولي عهد الخليفة هشام المؤيد ، ثم تسلم المهدي السلطة ، ولكنه لم يكد يستقر فيها حتى نازعه أموي آخر هو سليمان المستعين^(٣) الذي تزعم البربر ، وقصد أن يفتزع الخلافة من المهدي ، واجتمع البربر مع سليمان لمحاربة قرطبة ونزلوا بسفح الجبل بها وبشرفها في (١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ) وعلى الرغم من خروج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم للقتال ، واستبسألهم في الذود عنها ، إلا أنها سقطت في أيدي البربر ، الذين أجروا فيها على الفور مذبحه رهيبة ، راح ضحيتها الآلاف من الضحايا الأبرياء .

لكن المهدي أبي أن يستسلم لهذه النتيجة ، فهرب إلى طليطلة وجمع جموعاً من الإفرنجية وعساكر الثغور ، وعاد إلى مهاجمة قرطبة ، وفعلاً تمكن من الاستيلاء عليها بعد شذائد وأهوال ، إلا أنه للمرة الثانية يعثر به حظه ، فيختاف عليه جنده ، ثم يتخلصون منه بالقتل ، ويصبح الجو خالياً لسليمان المستعين ، فيدخل المدينة دخول الظافر المنتصر .

إلى هنا ويمكن أن تستقر الأحوال وتهدأ الأمور ، فقد تم إسبايان تحقيق أطاعه شخصياً بتولى الخلافة ، ثم تحقيق آمال الكثيرين ممن كانوا يهون عودة الأسرة الأموية إلى الحكم .

لكن سليمان في الحقيقة لم تسكن فيه صفة واحدة من صفات الكفاءة التي كان يتمتع بها معظم الخلفاء الأمويين ، فاكتفى بتحقيق ملذاته هو . ثم ترك لجنده من البربر أن يفعلوا بالمدينة ما يحلو لهم من نهب وسلب واعتداء على الحرمات بشكل لم يسبق له مثيل .

وقد استمر هذا الوضع الشاذ سبع سنوات ، يصفها مؤرخ الأندلس ابن حبان^(٤) ، بأنها :

(١) أنقل هنا بصرف عن كتابه : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ،

(٢) ترجمته و : جذوة المقتبس ١٨ ، الموجب في تلخيص أخبار المغرب ٤٠ ، البيان المغرب ٣/٥٠ .

(٣) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ترجمته و جذوة المقتبس ١٩ ، الذخيرة

٢٤/١/١ .

(٤) هو حبان من خلف بن حسين بن حبان الأندلسي ، صاحب كتاب « المقتبس في تاريخ الأندلس »

ترجمته و جذوة المقتبس ١٨٨ ، وفيات الأعيان ١/١٦٨ .

كانت كلها شاداداً نكدات ، صماباً مشثومات ، كرىهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنهى والخالمة لم يعدم فيها حيف ، ولا فورق خوف ، ولا تم سرور ، ولا فقد محذور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية ، وطمع الأمن وحلول المخافة^(١) .

ومن الطبيعي أن يعيش الناس هذه السنوات في هلع دائم ورعب متصل ، فقد كان البربر خلالها يترصدون الحرم والدور بالهتك والسلب ، ولقد بلغ من إشفاق الناس يومئذ أنهم استفتوا شيوخ المالكية في تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل ، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد فرجماً آذوهم إيذاء شديداً^(٢) .

وقد قضت هذه الفتنة على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد ويكفي أن نلقى نظرة على كتاب الصلة لابن بشكوال حتى نجد فيه الكثير ممن ترجم لهم من العلماء : إما قتلوا في الفتنة أو آثروا الهجرة إلى المدن الأندلسية الأخرى .

ولقد كان من بين هؤلاء المهاجرين ، أبو عمر بن عبد البر ، الذي اضطر تحت هول مارآه من حوادث إلى ترك بلده الحبيبة ومرجع صباه ، خصوصاً وقد أثر في نفسه قتل أستاذه الكبير وصديقه العظيم : أبي الوليد بن الفرضي مظلوماً في بيته بيد البربر الذين لم يرعوا للرجل علمه ومكانته ، أو يرحموا فيه ضعفه وشيخوخته^(٣) .

تجوله في بلاد الأندلس :

خرج أبو عمر من قرطبه مهاجراً — أو على الأصح — هارباً إلى غيرها من بلاد الأندلس ويبدو أنه في خروجه ذلك لم يكن يقصد بلدة بعينها ، إذ لم تترك له الحوادث الرهيبة التي خلفها وراءه فرصة للتفكير أو الاختيار .

(١) اللبخيرة ١/١ ، ٢٥ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٦٧/٣ .

(٣) انظر قصة استشهاده هذا العالم في جنوة المنبس : ٢٣٨ ، بقية الماتمس ٣٢٠ ، وفيات الأعيان

هذا إلى جانب أن بلاد الأندلس نفسها - بعد انقراط عقد الخلافة الأموية ، وزوال أسرة المنصور بن أبي عامر ، كانت قد فقدت وحدتها ، وأخذت تفور بالفتنة والقتال وقد أخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات ، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم ، أو دَرءاً لأطماع غيره فيه ، فلم يكن هناك - والحالة هذه - مكان يمكن أن ياجأ إليه هو أفضل من غيره .

وأخذ أبو عمر في هذه الفترة يجول في بلاد غرب الأندلس ؛ مستغلاً جولاته الاضطرابية هذه في الاستماع إلى علماء هذا البلاد والأخذ عنهم ، ومن بينهم خاصة من أنيحت له فرصة الذهاب إلى المشرق والتلقي عن أسانئده ، وقد اتى من هؤلاء كثيرين بذكرهم الحميدى في ترجمته في جذوة المقتبس .

وعلى الرغم من أن هذه الفترة من حياته ، والتي تعتقد أنها كانت قريبة من عشر سنوات - كانت فترة غنية حقاً بما أخذه عن هؤلاء العلماء ، إلا أنها كانت من جهة أخرى كافية لحياة التجول وعدم الاستقرار التي يجيهاها ، ومن هنا أخذ أبو عمر يتطلع من حوله إلى الدويلات الكثيرة التي ملأت رقعة الأندلس ، فلم يرد دولة هي أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً من دانية التي تقع في أقصى شرق الأندلس ، والتي يحكمها أمير حازم شجاع ، يحترم العلم ويقرب العلماء ، هو الأمير مجاهد العامري .

صاحب دانية : مجاهد العامري (١) :

كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري مولى رومياً من موالى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبي عامر ، ولكنه كان متحلياً بالعلم والشجاعة والإقدام ، وحين انتهى أمر الدولة العامرية ودبت الفرقة وعوامل الانحلال في جسم الدولة ، وسارع كل حاكم إلى تقطيع

(١) اعتمدنا فيما كتبناه هنا عنه ، على : جذوة المقتبس ٣٣١ ، بشية المناس ٤٥٧ ، البيان المغرب ١٥٥/٣ ، مقدمة التحقيق لكتاب المحكم لابن سبويه .

أوصالها والاستقلال بأجزائها ، ذهب مجاهد بجمع من موالى العامريين إلى شرق الأندلس ، فاستولى على دانية وما والاها من جزائر : ميورقة ومنورقة ويابسة عام ٤٠٦ أو ٤٠٧ هـ .
 وحين استقرت به الحال في الدولة الجديدة ، تطلع به طموحه إلى جزيرة سرديانية القريبة منه ، وسرعان ما هاجمها وضمها إلى ملكه ثم جعلها قسبة بلاده ، ولسكن ملوك ألمانيا وإيطاليا خشوا خطورة هذا المغامر الجريء الذي أصبح على مرمى حجر من قلب بلادهم فوجهوا إليه الجيوش والأساطيل تكيل له الضربات الساحقة في وحشية وعنفة حتى أفلتتها من يده في موقعة بالغة الضراوة ، عاكست فيها الرياح أسطوله ودفعته دفعا إلى أيدي أعدائه فنجاهو من القتل بشق النفس ، على حين أسر أولاده وبعض نسائه ولم يستطع افتداهم إلا بعد فترة طويلة من الزمن .

بعد هذه المغامرة الفاشلة لم يفكر مجاهد مرة أخرى في الغزو ، بل اتجه بكلية إلى إمارته يصلح من أورها ويعنى بشؤونها ، حتى أصبحت تتمتع بقسط وافر من الأمن والرخاء والاستقرار دام نحواً من ثلاثين عاماً ، حتى وقت وفاته سنة ٤٣٦ هـ .

ولعل أهم ما كان يمتاز به مجاهد إلى جانب كفاءته الإدارية وشجاعته ، هو حبه الشديد للعلم والعلماء ، ويدكر المؤرخون عنه أنه كان ذا دراية بعلوم العربية ، وتصرف في علوم القرآن : قراءته ومعانيه وغريبه ، عنى بطلب ذلك من صباه إلى اكتهاله وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت إليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع لديه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، فكان وزيره والمتصرف في دولته أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب^(١) إلى جانب بعض أمثال العلماء كأبي عمرو الداني^(٢) وابن سيده^(٣) وكان له من المصنفين عدة يقومون على التصنيف في علوم القرآن خاصة ويشاركون في فنون أخرى من العلم ، يجمعون بها ملكه ويشرفون دولته ، حتى اشتهرت دانية آنذاك بأن أهلها أقرأ الناس للقرآن ، وأكثرهم معرفة بعلومه .^(٤)

(١) الفخر ترجمته في : جذوة المقتبس ١١٤ ، بنية الملتبس ١٦٦ ، وليس هو بالطبع أبا الحسن بن رشيق القيرواني صاحب العمدة .

(٢) عثمان بن سعيد بن عمر الداني ، عالم القراءات الكبير ؛ ترجمته في نفح الطيب ٣٨٦/١ ، معجم الأدباء ٣٦/٥ .

(٣) علي بن إسماعيل بن سيده ، صاحب المخصص والمحكم ، ترجمته في بنية الملتبس ٤٠٥ ، وفيات الأعيان ٣٤٢/١ .

(٤) معجم البلدان لياقوت ، ط بيروت ، مادة دانية .

لهذا ليس غريباً أن تصادف دانية ، من بين دول الأندلس جميعاً . هوى قويا من نفس أبي عمر بن عبد البر ، فيذهب إليها ويلتقي بها عصا الترحال ، وقد وجد أخيراً المكان الذي حلم به مستقراً وملاذاً .

ابن عبد البر في دانية :

تعد الفترة التي قضاها أبو عمر في دانية من أخصب فترات حياته إنتاجاً ، ففيها ألف معظم كتبه المطولة التي اشتهر بها ، وتدلنا رسالة ابن حزم التي كتبها^(١) في فضل الأندلس وذكر رجالها ، وهي رسالة كتبت نحو سنة ٤١٢ هـ . على ما كان يتمتع به أبو عمر في ذلك الوقت من شهرة وما تحتله كتبه من مكانه ، فيقول : « ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف ابن عبد البر ، وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا أعلم في فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه ، ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ، ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لامثيل لها منها : كتابه المسمى الكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، خمسة عشر جزءاً ، وكتابه في الصحابة ، والاكتفا ، ثم بهجة المجالس ، وجامع بيان العلم .. » .

وليست هذه بالطبع كل مؤلفات أبي عمر ، ولكنها تكاد تكون أهمها كلها . وهي كما قلنا التي قامت عليها أساساً شهرة أبي عمر في كل أرجاء الأندلس . وجعلت طلبية العلم يهرعون إلى دانية للتلقى عن الحافظ الكبير والسامع عليه ، حتى كان سنده مما يتفاخر به بينهم .

ويمكننا أن نقول إن أبا عمر أحس بالسعادة الحقة في دانية . وبادل أهلها حبا بحب . حتى إن الظروف حينما دعت به بعد ذلك إلى الرحيل عنها — كما سنبين فيما بعد أبي بعد انتهاء هذه الظروف إلا أن يقضى شيخوخته بتردد بين دانية وما جاورها من المدن القريبة منها وحتى إنه تحقيقاً لهوى أهل دانية وحب أهلها لعلوم القرآن . ألف في القراءات أربع كتب لا بأس من ذكرها وهي :

(١) انظر هذه الرسالة في نفع الطيب ٧٦٧/٢ ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ٢٩١ .

١ — البيان عن تلاوة القرآن .

٢ — الاكتفاء في القراءة .

٣ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف .

٤ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد .

توليه القضاء في الأشبونة وشنترين :

يذكر المؤرخون أن أبا عمر تولى قضاء الأشبونة وشنترين لفترة من الوقت في عهد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس^(١) . ولما كانت هذه البلاد في غرب الأندلس . فهو لابد إذاً قد فارق شرق الأندلس . أو بتمبير أدق فارق دانية . وهي كما قلنا مهد شهرته ومركز أمنه وراحته . فكيف فارقها وهي على حد قول ابن سعيد : « الأفق الداني الذي ظهر فيه علمه . وعند ملوكه خفق علمه^(٢) » .

الحق أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن السبب في ذلك ، ولكن يمكننا أن نقول — بناء على تطورات الأحداث في دانية نفسها — إن أبا عمر ترك دانية مضطراً ، ولعل السبب في ذلك يرجع في المرتبة الأولى إلى وفاة مؤسس دانية وراعيها الأمير مجاهد العامري في عام ٤٣٦ هـ ، وعلى الرغم من أن ابنه إقبال الدولة علي بن مجاهد^(٣) ، كانت له نفس ميول أبيه العامية نحو تكريم العلماء والحدب عليهم ، إلا أننا نكاد نلمح في بعض تصرفاته ما يشير إلى أنه لم تكن له شخصية والده القوية ولا سعة صدره ، فقد غضب مثلاً على ابن سيده العالم اللغوي الضير ، واضطر هذا إلى الهرب والاختفاء ، ولم يتمكن من الظهور في دانية إلا بعد أن عفا عنه إقبال الدولة ، بعد أن استعطفه ابن سيده بقصيدة مؤثرة .

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلامة التجيبي الأندلسي ، الملك المظفر أبو بكر بن الأفطس ، تولى سنة ٤٣٧ هـ وكان من أعظم ملوك الطوائف ، عالم بالأدب . انظر ترجمته في البيان المغرب ٣/٢٢٠ ، الوافي بالوفيات ٣/٣٢٣ .

(٢) المغرب ٢/٤٠٢ .

(٣) ترجمته في البيان المغرب ٣/١٥٧ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٧٤

ولسكن هذا الأمر في الواقع مجرد فرض ، فنحن لا نعرف حادثة واحدة وقعت بين أبي عمر وبين إقبال الدولة تدل على قطيعة أو جفاء ، ولكننا نحسب نحاول استنتاج الأسباب التي دفعت أبا عمر إلى ترك مستقره في أنصى شرق الأندلس والهجرة إلى أقصى غربها ، وربما أمكننا القول بأن الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف في الأندلس عموماً كانت تعكس ظلالها على نفوس الأدباء والعلماء ، فتجعلهم دائماً يبحثون عن المكان الأكثر استقراراً والأشد طمأنينة ، وبالنسبة لأبي عمر خاصة فإن التجربة المريرة التي عاشها في قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره في هذا الصدد .

لهذا لا نستبعد أن يكون قد قدر في نفسه أن دانية يحكمها حدث صغير تحيط به الأعداء من كل جانب (١) على حين تقوم في بطليوس دولة في طور التسكوتين تتولى أمرها حاكم يتصف بالحزم والشجاعة ، فاحتمالات المستقبل بالنسبة لها أكبر وأفضل ، ولهذا فهو يقرر الهجرة إليها .

ويبدو أن أبا عمر قد استقبل في بطليوس استقبالاً كريماً ، وعرف له المظفر مكانته وفضله فولاه قضاء الأشبونة وشنترين وهما من أكبر مدن الأندلس ، ولكننا لا نعرف بدء تاريخ توليه هذا المنصب ، ولا المدة التي قضاها فيه ، وإن كنا نرجح — بناء على ما كانت تتميز به طبيعة أبي عمر من هدوء وحب للاستقرار — أنه قضى فبه زمناً طويلاً ، استمر حتى وفاة المظفر سنة ٤٦٠ هـ .

أما الأعوام القليلة الباقية من عمره ، فقد قضاها متنقلاً في بلاد شرق الأندلس التي أحبها طول حياته ، فكان يتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة ، وهذه الأخيرة مات فيها عام ٤٦٣ هـ (٢) بالغا من العمر خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام .

(١) سقطت دانية سنة ٤٦٨ هـ في يد المقنتر بن هود ، واضطر على بن مجاهد إلى الرحيل عنها إلى سرقةطة وأقام بها إلى أن توفي سنة ٤٧٤ هـ .

(٢) ذكر الحميدى في الجذوة وتابعه صاحب البغية ، أن ابن عبد البر توفي سنة ٤٦٠ هـ ، وليس هذا صحيحاً فقد ورد في كل المراجع الأخرى سنة وفاته التي ذكرناها بالتحديد ، ولعل خطأ الحميدى راجع إلى أنه كان في بغداد آنذاك ، وهو نفسه لا يورد كلامه بصيغة اليقين ، إذ يقول : بلغت وفاته سنة ٤٦٠ هـ ، أقول : ثم إن المطيب البغدادي الذي توفي هو وأبو عمر في سنة واحدة ، توفي سنة ٤٦٣ هـ بلا خلاف .

ومن المصادفات القريبة أن يموت في نفس العام الخطيب البغدادي ، المؤرخ والمحدث المشهور وكان يعرف بحافظ المشرق ، فيقول الناس : مات حافظا المشرق والمغرب في سنة واحدة .

شخصيته وأخلاقه :

لعل أهم ما كان يمتاز به أبو عمر — رحمه الله — هو الدأب في طلب العلم والانقطاع إليه ، وصرف النظر عما عدا ذلك من أمور الدنيا ومغرياتها ، وحسبه منها أن تترك له مسكناً آمناً وملاذاً مستقراً ، يفرغ فيه إلى التقييد والتأليف ، أو يلتقى فيه بتلاميذه وراغبى علمه فإن توفر له ذلك فهو قادر على إعطاء الناس من جهده الدائب وعمله النشيط ، مالا يرجو عليه إلا ثواب الله وحسن مكافأته ، وهو في هذه الناحية يسكاد يرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » .

ويذكر المؤرخون أنه كان : ديناً صيباً حجة ثبناً ، ولعل ذلك من صفات يؤدي إلى صفات أخرى أهمها : طيبة القلب ، وتجرى الصدق ، وطهارة اليد والضمير ، وهى فى مجموعها الصفات التى تغلب على من يشتغلون بحديث الرسول الكريم ، وإيس أحق من أبى عمر بالاتصاف بها فقد كان شيخ حفاظ الحديث ومن أعظم من أنجبته الأندلس من رجالها فيه .

ولكن إذا كانت هذه الصفات فى مضمونها تحمل كثيراً من معنى المسألة والموادعة ، فإنها فى الحقيقة لاتعنى التفريط فى الكرامة ، أو الاستهانة بقدر العلم .

وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر ، ويحرص عليه طول حياته ، إذ كان مع ما يمتاز به من دماثة فى الخلق ، من أشد الناس حفاظاً على كرامته ، ومعرفة بقدر العلم ومسكاته .

أما احترام العلم فى مفهومه ، فقد كان يعنى أن يجعل الجهد فيه خالصاً لله ، موجهاً إلى التماس مرضاته .

وثمة حادثة تبين حرصه الشديد على التمسك بهذا المفهوم ، فالمعروف أنه قضى مدة طويلة

في دانية ، في رعاية أميرها مجاهد العامري وكان مما يؤثر عن مجاهد أنه كان يميل كثيراً إلى ذكر اسمه في مقدمات مؤلفات العلماء باعتباره المشجع على تأليفها ، الحاث على إخراجها ، ولقد ذكره ابن سيده في مقدمة كتابيه « المحكم » و « المخصص » ، ولا شك أن غيره ممن كانوا يظفرون بإكرام الأمير ورعايته فعل ذلك أيضاً . وتدل قصة ذكرها ابن حزم في رسالته التي أشرنا إليها قبل « في فضل علماء الأندلس » على مبالغ الحرص الشديد لدى مجاهد في هذه الناحية ، يقول ابن حزم : وها هنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا عنها وهي : أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي ، حدثني أن أبا الجيش مجاهداً العامري ، صاحب الجزائر ودانية ، وجه إلى أبي غالب ^(١) — أيام غلبته على مرسية — وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور « مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد » فرد الدنانير ، وأبى من ذلك . ولم يفتح في ذلك باباً ألينة ، وقال : « والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، لأنني لم أجمعه له خاصة بل لسكل طالب عامة » .

وكذلك كان أبو عمر ، إذا لم تر له ، والثابت أنه ألف معظم كتبه ، والهامته منها بصفة خاصة في دانية . كتاباً واحداً يرد فيها ذكر مجاهد أو الإشارة إليه .

قد تكون هناك بعض الكتب والرسائل الصغيرة مما لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد البر قد جاء فيها ذكر ذلك الأمير ، ولكننا لانعتقد أن هذا — إن كان قد وقع — مما يمكن أن يقنع به مجاهد . أو حتى يشرف به . باعتباره عملاً كبيراً أشار بتنفيذه . والغالب أن هذا كان مبدأ أبي عمر فما لم يفعله في الكبيرة لم يفعله في الصغيرة . وبين أيدينا ثلاثة من كتبه الصغيرة التي طبعت وهي : التصدق والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ، والإنباه على قبائل الرواة ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء . ليس فيها ذكر أحد . وكذلك كتبه الكبيرة كالتمهيد والاستيعاب وبهجة المجالس لا ترى فيها إلا ذكر الله وحده ، والتقرب بها إلى مرضاته .

(١) هو تمام بن غالب المعروف بابن إتياني ، أبو غالب المرسي ، ترجمته في الجدوة ١٧٢ النسخة ٢٣٦ ، أما هذا الكتاب المذكور في الخبر فهو كتابه « الموعب » في اللغة .

وكما وقر أبو عمر العلم ، وترفع به عن أن يكون مقصوداً به غير وجه الله ، كذلك وقره العلم وكرمه ، ورفع من شأنه بين العامة والخاصة ، فكان مهاباً حتى بين أيدي الطغاة والجبابرة .

ولقد حدث أن وصل ابن لأبي عمر وهو المعروف بأبي محمد بن عبد البر^(١) إلى مرتبة الوزارة في إشبيلية لدى ملكها المعتضد بن عباد^(٢) ، وكان المعتضد ممن عرفوا بالسطوة والتجبر حتى ليقال إنه جعل في حديقة قصره أعمدة على هيئة الأشجار طلعها رعوس أعدائه وأوراقها آذانهم ، وقد حدث أن غضب المعتضد على كاتبه ووزيره أبي محمد بن عبد البر ، وأمر بإلقائه في غياهب سجنه .

ويذكر ابن الأبار هذه الحادثة ثم يقول : « سمعت بعض شيوخى يحكى أن أباه الإمام أبا عمر بن عبد البر سار في أمره من مستقره بشرق الأندلس ، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة فلأول دخوله على عباد نادى رافعاً صوته : ابني يا معتضد ، ابني يا معتضد . فشفعه فيه وانصرفا عنه محفوفين بالإكرام ، ومكتوفين بالاحترام »^(٣) .

ولا شك أن ذلك المعفو السريع ، ما كان لينزع من بين فكي المعتضد ، لولا هيبه العلم ووقار الورع ، قد أجبرا الطاغية على الرضوخ لها ، والاستسلام العاجل لأمرها .

شيوخه :

امتازت ثقافة أبي عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها ، ويبدو هذا واضحاً في مؤلفاته العديدة التي تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول ، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة والدسامة ، حتى لنحس عند قراءتها بأن المؤلف يستمد ما يذكره فيها من معين لا ينضب من رواياته وسماعاته ، وبأنه لا يتكلف جهداً كبيراً في الإحاطة بموضوعه ، وطرق جوانبه المتعددة في سهولة ويسر .

(١) ترجمته في الجذوة ٢٤٩ .

(٢) ترجمته في البيان المغرب ٣/٢٠٤ ، وفيات الأعيان ٢/٢٨ ، شذرات الذهب ١/٣١٦ ، جذوة المقتبس ٢٧٧ .

(٣) إعتاب الكتاب لابن الأبار ٢٢١ .

والواقع أن ذلك لم يتأت لأبي عمر إلا نتيجة لجهد المتواصل في التلقى عن العلماء والدأب
الذى لا يسكل في القراءة والاطلاع .

وثمة ناحية معروفة شهيرة في حياة ابن عبد البر ، وهى أنه لم يرحل إلى المشرق في طلب
العلم كمادة العلماء الأندلسيين ، مع أن هذه الرحلة كانت مما يرفع من شأن العالم بين أقرانه ويجعل
له بينهم منزلة خاصة ، والواقع أننا لا نعرف أية ظروف حالت بينه وبين ذلك ، وإن كان
يمكننا أن نؤكد أنها ظروف خارجة عن إرادته ، إذ أن الرجل عاش طول حياته بعد ذلك
يعوض ما اعتبره نقصاً فيه ، وذلك بالحرص على مقابلة من زحل إلى المشرق من العلماء ، والتلقى
عنهم ما استمعوا إليه من علم ، وتلك ظاهرة واضحة تمام الوضوح ، تكفى النظرة العاجلة إلى
كتاب جذوة المقتبس للحميدى ، لإثبات صحتها ، فقد ذكر الحميدى عدداً كبيراً من تراجم
العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ، والعجيب أنه لا تكاد تخلو ترجمة منها عن ذكر : أن أبا عمر
استمع على صاحبها ، وقرأ عليه كتاب كذا وكذا من المؤلفات الشرقية .

وهكذا فإن ما اعتبره أبو عمر نقصاً وشرأ بالنسبة إليه ، كان في الحقيقة خيراً وبركة ،
إذ أنه حرص على تقييد ما تلقاه وإثباته في مؤلفاته ، ربما أكثر من حرص هؤلاء العلماء أنفسهم
على تقييده وإثباته .

وعلى أية حال ، فأمامنا الآن جملة وافرة من شيوخ أبي عمر ، يمكن أن نقسمهم
إلى قسمين :

- ١ — الشيوخ الذين تلقى عنهم في نشأته ، ولازمهم ملازمة طويلة ، وكان لهم أثر في
تحديد اتجاهه العلمى في المستقبل .
- ٢ — الشيوخ الذين تلقى عنهم لفترة من الوقت ، وكانت تتوفر فيهم خاصة صفة
الرحيل إلى المشرق .

أما القسم الأول من العلماء ، فمنهم :

- ١ — عبد الله بن محمد يوسف ، المعروف بابن الفرضى ، أبو الوليد القاضى ، صاحب تاريخ

العلماء والرواة بالأندلس ، كان حافظًا متقنًا ، عالمًا ذا حظ وافر من الأدب ، له رحلة طويلة في بلاد المشرق في طلب العلم ، وقد سمع على جلة من المشايخ بمصر وإفريقية ومكة .

قرأ عليه أبو عمر : كتابه في التاريخ ، وكتابه المؤلف والمختلف في أسماء الرجال ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه ، وكتاب النبذ لذوى الفطن على غوائل الفتن لأبي الحسن القاسبي^(١) .

٢ — أحمد بن محمد بن عبد الله المقرئ الطلمنكي ، أبو عمر ، محدث منسوب إلى بلده ، كان إمامًا في القراءات ، وثقة في الرواية . رحل إلى المشرق رحلة طويلة ، وسمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق ، شيخ أبي عمر في القراءات والحديث^(٢) .

٣ — أحمد بن عبد الملك بن هاشم ، أبو عمر ، المعروف بابن المكوي الإشبيلي ، كان فقيهاً معظماً ، ومفتياً مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة ، جمع هو وأبو مروان الميعطي الفقيه كتاباً ضخماً في أقاويل مالك رحمه الله ، لازمه أبو عمر مدة طويلة وكتب بين يديه^(٣) .

٤ — عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، من تلاميذ قاسم بن أصبغ البياني^(٤) ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال إنه قلما فاته شيء مما قرئ عليه .

لازمه أبو عمر مدة طويلة ، وقرأ عليه : مصنف قاسم بن أصبغ في السنن ، ومصنف وكيع ابن الجراح ، وكتابي المعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة^(٥) .

٥ — سعيد بن نصر ، أبو عثمان ، محدث فاضل أديب ، كان من أهل الدين والورع والفضل معرباً فصيحاً ، قرأ عليه أبو عمر كتاب المجتبي لقاسم بن أصبغ^(٦) .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦

(١) الجنوة ٢٠٧ .

(٤) إمام من أئمة الحديث ، حافظ مكثراً مصنف ،

(٣) المصدر نفسه ١٢٣ .

وكان من الثقة والعلم بحيث اشتهر أمره وعلا ذكره وقد روى عنه جماعة من أكابر علماء بلده ، توفي

سنة ٣٤٠ هـ الجنوة ٣١٢ .

(٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .

(٥) الجنوة ٢٧٦ .

٦ — أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر ، رحل إلى مصر وإفريقية وسمع على جلة من علمائها ، قرأ عليه أبو عمر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبة النميري في سبعة أجزاء^(١) .

٧ — أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز ، كان ثقة فاضلا ، اختص بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي وسمع منه تواليه كلها .

سمع منه أبو عمر كتب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ومنها : صريح السنة وفضائل الجهاد ورسائله إلى أهل طبرستان المعروفة بالتبصير^(٢) .

٨ — يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد ، قاضي الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم ، كان زاهداً فاضلاً يميل إلى التحقيق والتصوف ، وله فيه مصنفات . قرأ عليه أبو عمر كتبه : المنقطعين إلى الله عز وجل ، كتاب التهجدين ، كتاب النسيب والتقريب ، وسمع منه كذلك أشعاره في الرقائق والزهد^(٣) .

٩ — أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن الجسور ، محدث مكثّر مؤرخ ، قرأ عليه التاريخ المعروف بذييل المذيل لأبي جعفر بن جرير الطبري^(٤) .

١٠ — خلف بن قاسم بن سهل ويقال ابن سهلون ، المعروف بابن الدباغ ، كان محدثاً مكثراً حافظاً ، رحل إلى مصر ومكة والشام ، وسمع عدداً من علماء هذه البلاد لا يحصون كثرة ، ويقول الحميدى : سمع عنه شيخنا أبو عمر الحافظ فأكثر ، وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحداً ، وذكره لنا فقال : أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيوخنا أبي الوليد بن الفرضي وغيره ، كتب بالشرق عن نحو ثلاثمائة رجل ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له^(٥) .

هؤلاء هم من نستطيع أن نقول : إنهم شيوخ ابن عبد البر الذين تلقى عنهم في مطلع حياته ،

(٢) المصدر نفسه : ١٣٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .

(١) الجذوة ١٣٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٦٢ .

(٥) المصدر نفسه : ١٩٥ .

ولازمهم مدة طويلة حتى تأثر بهم في منهج تفكيرهم ، واكتسب منهم ثقافته العلمية ، والملاحظ أنهم جميعاً من رجال الحديث والفقهاء والتاريخ والقراءات ، وهي العلوم التي قامت عليها أساساً مؤلفات ابن عبد البر . وعليها انبنت شهرته .

وبالإضافة إلى هؤلاء هناك رجال القسم الثاني الذي أشرنا إليه من قبل ممن تلقى عنهم أبو عمر وهم في الحقيقة لا يقلون أهمية عن ذكرنا في مسدى استفادته منهم ، ونخص منهم بالذكر :

١ — أحمد بن قاسم بن عيسى ، أبو العباس المقرئ الأقلبي . له رحلة إلى بغداد وغيرها . ويقول أبو عمر عنه : إنه سمع من أبي القاسم عبد الله بن محمد بن حبابة حديث علي بن الجعد وسمعناه منه . وكتبت عنه منثوراً كثيراً ، وكتبت عن رحمة الله^(١) .

٢ — إسماعيل بن عبد الرحمن ، أبو القرشي العامري ، ولد في مصر ، وسمع جماعة من أكابر علمائها ، ثم قدم الأندلس فسكن إشبيلية سنين كثيرة قبل موت المنصور بن أبي عامر . قال أبو عمر : حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بكتاب أبي إسحاق بن شعبان في مختصر ما ليس في مختصر ابن عبد الحكم ، وبكتابه في الأشربة ، وبكتابه في النساء عن أبي إسحاق سماعاً عنه^(٢) .

٣ — سلمة بن سعيد الأستجي ، محدث له رحلة ، سمع منه أبو عمر كتاب : التأمين خلف الإمام ، وشرح قصيدة ابن أبي داود ، عن أبي بكر الأجرى من علماء مكة وهما من تأليفه^(٣) .

٤ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني البزاز ، سمع بالأندلس ، ورحل ، فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة . سمع منه أبو عمر مصنف أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي^(٤) .

(٢) المصدر نفسه ١٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ٢٣٤ .

(١) الجذوة : ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢١٩ .

٥ — عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن ، رحل إلى العراق وغيرها وسمع كثيراً من مشهورى العلماء بالمشرق ، روى عنه أبو عمر كثيراً^(١) .

٦ — عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهرائي ، محدث ثقة ، رحل إلى العراق وغيرها^(٢) .

٧ — عبد الرحمن بن مروان القنَازعى أبوالمطرف ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى ، روى عنه أبو عمر^(٣) .

٨ — عبدالرحمن بن يحيى بن محمد ، أبوزيد العطار ، رحل إلى المشرق ، وسمع منه أبو عمر جامع ابن وهب^(٤) .

٩ — عبد العزيز بن أحمد النحوى ، أبو الأصبع ، ويعرف بالأخفش ، قرأ عليه أبو عمر كتباً فى النحو والأدب ، له رحلة إلى المشرق^(٥) .

١٠ — على بن إبراهيم بن حمويه الشيرازى ، أبو الحسن ، قدم الأندلس ، وحدث بها ، وروى عنه أبو عمر^(٦) .

هؤلاء قليل من كثير من قرأ عليهم أبو عمر وروى عنهم ، والواقع أن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم المصنف مما لا يتيسر بسهولة ويسر ، إذ هو كما يقول الحميدى : قديم السماع كثير الشيوخ ، ولعل فيمن ذكرناه منهم دليلاً كافياً على اجتهاد أبي عمر ودأبه فى طلب العلم وعلى أنه من ناحية أخرى لم يستحق لقب حافظ الأندلس وغيره من ألقاب التشريف التى خلعها عليه المؤرخون عبثاً ، إذ أننا فى الحقيقة لا نرى مثله فى الحرص على العلم والاستكثار منه ، فى كل من ترجم لهم الحميدى من العلماء سوى واحداً آخر هو ابن حزم الذى يفخر هو نفسه بأنه عاصر واحداً من الأئمة المجتهدين هو أبو عمر بن عبد البر^(٧) .

(٢) المصدر نفسه ٢٥٦ .

(١) الجنوة : ٢٣٥ .

(٤) المصدر نفسه ٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه ٢٦٠ .

(٦) المصدر نفسه ٢٩٤ .

(٥) المصدر نفسه ٢٦٩ .

(٧) انظر جوامع السيرة لابن حزم ، تحقيق الدكتورين إحسان عباس وناصر الدين الأندلسى ، ٣٣٥ .

مؤلفاته :

يقول ابن خلكان : « كان أبو عمر — رحمه الله — موفقاً في التأليف معاناً عليه ، وقد نفع الله بكتبه »^(١) والواقع أن هذا صحيح تماماً ، فقد ترك لنا أبو عمر مكتبة قيمة من مؤلفاته ، تشمل علوم الفقه والحديث والتاريخ والسير والأنساب والأدب وغيرها .

وهذه المؤلفات بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة ، وبعضها رسائل صغيرة يمكننا أن نورد لها ثبثاً فيما يلي :

١ — التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، موسوعة في فقه الحديث ، تقع في عشرين مجلداً ، أو سبعين جزءاً كما يقول الحميدى . ويصف ابن حزم هذا الكتاب بقوله : « التمهيد لصاحبنا أبي عمر ، لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً ، فكيف أحسن منه » ويذكره أبو عمر نفسه بهذه الأبيات :

سمير فـؤادى من ثلاثين حجة وصاقل ذهنى والمفرج عن همى
بسطة لهم فيه من كلام نبيهم لما فى معانيه من الفقه والعالم
وفيه من الآداب ما يهتدى به إلى البر والتقوى ونهى عن الظلم^(٢)

ولا يزال هذا الكتاب ينتظر الطبع ، وتوجد أجزاءه المخطوطة في معهد المخطوطات ، ودار الكتب المصرية .

٢ — الاستيعاب في طبقات الأصحاب ، صنفه في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم ، في اثني عشر مجلداً ، وقد طبع في حيدر أباد الدكن في مجلدين سنة ١٣١٩ هـ وطبع مؤخراً مرتباً على حروف المعجم بتحقيق الأستاذ على البجاوى .

(١) وفيات الأعيان ٦/٦٥ .

(٢) انظر رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس ، وانظر وفيات الأعيان بالرقم السابق .

٣ — جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله . وهو في الآداب الشرعية والتاريخ ، ويشتمل في تضاعيفه على ثمانية وثمانين ومائتي ترجمة لبعض الشعراء والأدباء والفقهاء ، طبع مرتين ، الأولى مجرداً عن الإسناد باسم « مختصر جامع بيان العلم » في جزء واحد اختصره أحمد بن عمر الحصاني البيروتي الأزهرى بالقاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والثانية في جزئين في (المطبعة المنيرية) سنة ١٣٤٦ هـ بالقاهرة .

٤ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١) .

٥ — الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم ، طبع بمطبعة القدس سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٦ — الإنباه على قبائل الرواة ، نشره القدس سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٧ -- القصد والأسم في التعريف بأصول العرب والمعجم ، رسالة صغيرة في الأنساب ، طبعها حسام القدس سنة ١٣٥٠ هـ مع الكتاب السابق ، وقد لقيت هذه الرسالة عناية من المستشرقين ، ودرسها كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب دراسة ممتازة ونقل عن نولده أنه يعتقد أن هذه الرسالة ذيل لكتاب كبير في الأنساب (٢) .

٨ — الدرر في اختصار المغازي والسير ، وهو مختصر السيرة النبوية لابن هشام ، ويوجد مخطوطاً في دار الكتب وهو تحت الطبع بتحقيق الدكتور شوقي ضيف .

٩ — أخبار أئمة الأمصار سبعة أجزاء ، ذكره الحميدى في الجذوة ، والضبي في البقية .

١٠ — الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة ستة عشر جزءاً ، ذكره الحميدى وابن خير الإشبيلي والضبي ، ويوجد مخطوطاً في الفاتيكان والمدينة .

١١ — اختلاف أصحاب مالك بن أنس ، واختلاف رواياتهم عنه ، أربعة وعشرون جزءاً ذكره الحميدى والضبي .

١٢ — الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار . توجد منه أجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية .

(١) ذكر هذا الكتاب في بروكلمان باسم : الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف ، وهو بهذا الاسم أيضاً في كنف الظنون .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هانم ٢٧٣/١

- ١٣ - رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان . مخطوطة في دار الكتب .
- ١٤ - شرح زهديات أبي العتاهية ، توجد مخطوطة منه بمكتبة عارف حكمت بالمدينة ،
منها نسخة في معهد المخطوطات .
- ١٥ - نزهة المستمين ، وروضة الخائفين ، مخطوطة في الفانيكان .
- ١٦ - الشواهد في إثبات خبر الواحد ، ذكره الحميدى والضبي .
- ١٧ - التنصيص لما في الموطأ من حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أجزاء . ذكره
الحميدى والضبي .
- ١٨ - العقل والعقلاء ، وما جاء في أوصافهم عن الحكماء والعلماء . جزء واحد ذكره
الحميدى والضبي وابن فرحون .
- ١٩ - أسماء المعروفين بالسكنى ، سبعة أجزاء .
- ٢٠ - البستان في الأخدان .
- ٢١ - الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة . ذكره صاحب كشف الظنون .
- ٢٢ - اختصار التحرير ، واختصار التمييز لمسلم .
- ٢٣ - الإشراف في الفرائض . ذكره صاحب كشف الظنون .
- ٢٤ - اختصار تاريخ أحمد بن سعيد^(١) ذكره الحميدى والضبي .
- ٢٥ - الاكتفا في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء والحجة لكل منهما . ذكره
الحميدى والضبي .

(١) هو أحمد بن سعيد بن حزم الصوفي المتجمل ، أبو عمر ، ألف في تاريخ الرجال كتاباً كبيراً جمع فيه كل ما أمكنه من أحوال الناس في أهل العبادة والتجريح ، هو هذا الذي اختصره أبو عمر . الجذوة ١١٧ .

٢٦ — جمهرة الأنساب ذكره ابن فرحون ، وابن خلكان .

٢٧ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد ، ذكره الحميدى والضبي .

٢٨ — البيان عن تلاوة القرآن ، ذكره الحميدى والضبي .

٢٩ — فهرست شيوخه .

٣٠ — وأخيراً : بهجة المجالس . وأنس المجالس ، هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم .

بهجة المجالس وأنس المجالس^(١) :

هذا الكتاب يأبى به أبو عمر ألا أن يثبت أنه لم يأل جهداً فى خدمة العلم وتقييده والحفاظ عليه ، فمن بين مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة فى علوم الحديث ورجاله وأنسابهم ، وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل ، ثم الفقه ومسائله وتقريعاته وما يتعلق به من أحكام ، والتدريس للطلبة وما يستلزمه من وقت وجهد ، يجد أبو عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته فى الأدب ، مجموعة ليست فى كتيب صغير ، بل فى مجلدين كبيرين ، فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد : فى حلبة الأدب فارس ، وكفاك دليلاً كتابه بهجة المجالس^(٢) .

والواقع أننا يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مثلاً من الأمثلة التى ضربها لنا العلماء المسلمون فى استغلال كل طاقاتهم الممكنة فى خدمة العلم ، واعتبار أنفسهم جنوداً فى ميدانه ، يجب عليهم أن يقدموا كل ما فى جعبتهم منه للأجيال القادمة تأدية منهم لحق الأمانة نحو الحفاظ عليه وتعميته .

ولقد كان أبو عمر من رجال الحديث والفقه ، ولكنه على ما يبدو وجد لديه ذخيرة كبيرة من نماذج الأدب الثمينة التى قرأها أو سمعها على شيوخه ممن جابوا أقطار الأرض فى طلبها فرأى أن يسجل من هذا كله أشرفه وأطرفه هدية خالصة من جهده لجيله ، ولن يأتى بعده من أجيال العربية .

(١) طبعت مقتطفات منه مع كتاب الأدب الكبير لابن المقفع فى كتاب بعنوان جواهر الحكاء الحقى بالمجلد الخامس من مجلة المحيط سنة ١٩٠٧ بالقاهرة .

(٢) العرب ٢ / ٤٠٨ .

ولقد رسم أبو عمر غايته من كتابه ومنهجه فيه . أما من حيث الغاية فيمكننا أن نقول إنه قصد فيه إلى ثلاثة أشياء :

أولاً : أن معرفة الأدب في حد ذاتها قريبة إلى الله ، وهي أولى ما يجب أن يعنى به الطالب بمسد الوقوف على معانى السنة والكتاب . فهي : « تبيث على المسكارم وتنهى عن الدنيا والمحارم » .

ثانياً : أن في جمع « نواذر العرب وأمثالها وأجوبتها ومقاملها . وهادئها وفصولها ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها » .

ثالثاً : « أنها زين لمن حفظها في مجالسه . وأنس لمجالسه . وشهد لذهنه وهاجسه » (١) .

ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره أبو عمر ، أن كتابه هذا والكتب الأدبية الأخبارية الكثيرة التي على شاكلته قصد بها المؤلفون العرب إلى هدف سام آخر . وهو تربية الملكة العربية ، وتجهيز اللغة إلى الدارسين وتزجية أوقات فراغهم بالمفيد المجدى من لغة العرب وأساليبهم وأخبارهم وسممهم وحكمهم وأمثالهم والمختار من أشعارهم .

ونعود مرة ثانية إلى الكتاب فنقول : أما من حيث منهج الكتاب فإنه بسيط لاتمقيد فيه إذ أن المصنف قسم كتابه إلى عدد من الأبواب بلغ مائة واثنين وثلاثين باباً ، كل منها يضم معنى من معانى الدين أو الدنيا ، ثم هو يفتتح الباب بآية من القرآن إن تيسر ، ثم بحديث من أحاديث الرسول إن تيسر كذلك ، ثم يورد من أشعار العرب وحكمها ، أو ما أثر عن غيرهم من المعجم والروم من كل ما قيل في هذا المعنى أو اتصل به .

والواقع أنه بذلك يتبع إلى حد كبير منهج ابن فتيبة في عيون الأخبار ، أو ابن عبد ربه في العقد الفريد ، ولكنه يزيد عليها أنه يذكر في الباب الواحد منه المعنى وضده : « ليكون أبلغ

(١) انظر مقدمة المؤلف فيما يلي بعد

وأشنى وأمتع^(١)» وهو من هذه الناحية يسكاد يشبه كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ .

ونأتى إلى مادة الكتاب فنقول : إن أبا عمر استقاهها من عدد ضخيم من المصادر ، بعضها معروف تماماً والآخر فقد ولا نعرف عنه شيئاً . أما تلك المعروفة فهي تشمل : كتب ابن قتيبة وخاصة عيون الأخبار والمعارف والشعر والشعراء . وكتب الجاحظ : البيان والتبيين والحيوان ، وكتاب أبي حيان التوحيدى في الصداقة والصدق ، وحماسة أبي تمام ودواوين معظم الشعراء المشهورين وغير المشهورين مما وجد منها في عصره ، ثم الموسوعتين الكبيرتين تفسير الطبرى وتاريخه ، وهذه المصادر واضحة تمام الوضوح بحيث تحتاج إلى أيسر الجهد لمعرفة مواضعها في الكتاب .

ومن الملاحظ أن مادة الكتاب في معظمها مادة مشرقية ، ولكن الكتاب إلى جانب ذلك يمتاز بعدد من المزايا الهامة ، نستطيع أن نورد بعضها فيما يلي :

١ — أنه أورد قدراً ممتازاً من شعر الشعراء الأندلسيين ، كيعقوب بن حكيم الفزالي ، ويوسف بن هارون الكندي الرمادى ، وأبي القاسم محمد بن نصير الكاتب ، وابن عبد ربه وغيرهم ، لا يوجد في أية مصادر أخرى .

٢ — أنه حفظ لنا مادة مشرقية فقدت مصادرهما في المشرق نفسه . ولم تصل إلينا إلا عن طريقه ، ومن أهم ذلك : شعر منصور الفقيه الأديب المصرى الوطن^(٢) . الذى كان شعره مشهوراً في الأندلس في ذلك الحين ، وقد أورد له الكتاب كمية وافرة من شعره نصلح أن تكون له ديواناً ، أو على الأقل تعطى فكرة كاملة وصحيحة عن شعره يمكن على ضوءها دراسته . وهذا القول يمكن أن ينطبق أيضاً على ما أوردته في الكتاب للشاعر البغدادي محمود الوراق .

(١) انظر مقامة المؤلف .

(٢) سوف ترد ترجمته ومن بعده في أماكنها من الكتاب .

ثم هناك أشعار لأبي العتاهية ذكرها ابن عبد البر هنا ولم ترد في الديوان المطبوع ، وأشعار لم تنشر من قبل لأبي بكر العرزمي وكشاجم والناشيء الأكبر وخالد بن يزيد الكاتب وسعيد ابن حميد ، وسهل الوراق ، وأبي الفرج البغواء ، والحسن البصري وغيرهم .

٣ — أن الكتاب هام ومفيد لدراسة تطور الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومعرفة الكتب وألوان الثقافة الشرقية التي وصلت إلى الأندلس حينذاك .

ومن الملاحظ أن الأدب الأندلسي في هذه الفترة كانت تغلب عليه ظاهرتان واختتان :

الأولى : غلبة الثقافة الشرقية عليه والثانية : طابع الزهد والتصوف الفاشيين فيه وكلاهما واضح تمام الوضوح في كتابنا هذا . وقد درس الباحثون هاتين الظاهرتين بكثير من العناية^(١) ويمكن أن يقدم كتابنا في هذا الصدد معلومات أوفى تزيد الدراسات جلاء ووضوحاً .

على أننا يجب أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة بالنسبة لعمل المصنف في الكتاب إذ المعروف أن كتب المختارات الأدبية ومن بينها كتابنا هذا تسير على نسق واحد من حيث اختيار مآثور الحكم والأشعار ويمتاز كل منها بأنه تبدو فيه شخصية المؤلف وميوله الأدبية من اختياراته ، ومن بعض الآراء التي يعقب فيها على بعض الأخبار .

ويمكننا أن نقول : إن شخصية ابن عبد البر تبدو واضحة فيما يلي :

أولاً : ميله الشديد إلى العبارات المهذبة ، والألفاظ التي لا تجرح الحياء ، ونادراً ما تجرد في كتابه هذا حكاية فاحشة ، أو لفظاً ساقطاً .

ثانياً : حرصه على استقصاء المعنى وإيراد عدد وافر مما قيل فيه نظماً ونثراً ، مع تكملة الشواهد التي وردت في الكتب الأخرى إن كانت لها مناسبة بالمعنى ، إما بإيراد بعض الأبيات قبلها أو بعدها ، وقد أشرنا في تعليقاتنا في الهوامش على أمثلة من هذا .

(١) انظر كتابه تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة فرطية) للدكتور إحسان عباس .

ثالثاً : نقده لبعض الأخبار التي وردت في الكتب وشهرت بين الناس ، كفقده لما روي عن مجيء وفد ملك الروم إلى معاوية وفيه رجلان أحدهما طويل والآخر أيد ، فنذب لمخالبتهما قيس بن سعد الأنصاري ، ومحمد بن الحنفية ، أما قيس وكان طوالا بين الرجال فإنه خلع سراويله في مجلس معاوية وألقى بها إلى الرومي فلما لبسها لم تبلع ثنودته ، وأما ابن الحنفية فإنه عرض على الرومي إما أن يقعد هو وقيمه الرومي أو يقعد الرومي وقيمه هو ، فلما قعد محمد لم يستطع أن يقيمه الرومي ... إلى آخر ما ورد في هذه القصة ، ويعقب عليها ابن عبد البر بأنها في رأيه منكورة وليست بصحيحة ولا لها أصل لأنها تخالف أخلاق قيس ومحمد ، وليس فيها كبير فائدة لمنزلتهما .

وكفقده لما ورد في كتاب الجان للجاحظ عن الغيلان وظهورها لبني آدم وزواج بعضهم منها فهو يقول عن ذلك : إنها من دعابات عمرو بن بحر ومجونه . إلى غير ذلك مما تراه مغرقاً في مواضع مختلفة من الكتاب .

إلا أننا مع تقديرنا لهذه النقدرات الصائبة ، نلاحظ أنه يورد كثيراً من الأخبار الأسطورية التي لا يقبلها عقل في كتابه ، وغالبا ما يكون ذلك في القصص التاريخية المتداولة ، ومثال ذلك ما أورده من قصة اليهودي الذي كان كلما فتح المصحف (كذا) وقرأ فيه : « بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فحاسوا خلال الديار ... الخ » يدعو الله ويقول : رب أرني من جعلت خراب بني إسرائيل على يديه ، حتى أوحى الله إليه بأوصاف يختصر الموجود بأرض بابل فذهب إليه ... الخ . فأى مصحف هذا الذي كان موجوداً على عهد مختصر . ؟ .

ومثل ذلك مما لا يقبله العقل من أخبار المعمرين الذين عاش بعضهم ثلاثمائة سنة وبعضهم أكثر .

ولكن على أية حال نرى أن ما أورده أبو عمر في كتابه من مثل هذه الأخبار المنقولة عن الكتب الأدبية ، لا يعد شيئاً بالنسبة لما ورد في الكتب الأخرى من أمثالها ، وحسبنا أن نقرأ صفحات مما ورد في كتب ابن قتيبة والجاحظ والمبرد والطبري لنرى أي قصص يملأ بطون هذه الكتب ، وبخاصة في ما ورد من القصص والنقول الأسطورية الموهلة في القدم .

المخطوطات ومنهج التحقيق :

كانت النسخ التي عثرت عليها للكتاب أولاً نسختين :

الأولى : نسخة دار الكتب ، وهي ملفقة من نسختين :

(أ) القسم الأول : يحتوي على الجزئين الأول والثاني ، بدار السكتب رقم ١٣٦٦ أدب مصورة معهد المخطوطات رقم ٩٨ ، وهذه النسخة كتبت سنة ١٣١٣ هـ ، نقلا عن نسخة محفوظة أيضاً في دار السكتب تحت رقم ٣٤٢ أدب ، وهذه الأخيرة كتبت سنة ٩١٥ هـ بخط مغربي حسن إلا أنها أصبحت في حالة شديدة من التلف والتآكل ، مما جعل المشرفون على المخطوطات ينسخونها في النسخة الأولى ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أن الناسخ لم يستطع بالطبع نقل ما نافع منها نترك مكانه خالياً ، وبقي هذا القسم حتى الآن على الرغم من إعادة نسخه مرة ثانية في مخطوطة أخرى محفوظة برقم ١٩٦٣ أدب ، لا يمكن الاعتماد عليه في نشر الكتاب وإن أمكن اعتبار الموجود منه مرجعاً لقراءة ما تمسر قراءته في النسخ الأخرى .

(ب) القسم الثاني : ويحتوي على الجزئين الثالث والرابع من الكتاب في مجلد واحد وهذا القسم من نسخة أخرى كتبت سنة ٦٧٧ هـ ، بخط نسخ جيد واضح مضبوط بالشكل ويقع كاملاً في مائة وخمس وثمانين ورقة ، ويعد بالمقارنة إلى النسخ الأخرى ، أدق وأكمل نسخ الكتاب وإن عابه اضطراب بمص الصفحات في أوله ووضع بعضها مكان بعض ، وهو عيب طفيف أمكن علاجه بالمقارنة بالنسخ الأخرى .

النسخة الثانية : وهي نسخة مراد ملا باسانبول رقم ١٤٨٧ ، مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب وهذه النسخة نسخة خزائنية قيمة ، كتبت سنة ٧٩٣ هـ برسم خزانة الملك أبي العباس علي بن رسول الفسائي ملك اليمن ، وهي أربعة أجزاء في مجلد يبلغ عدد صفحاته ٢٦٥ صحيفة وتعتبر هذه كاملة تماماً ولا يعيبها إلا أن الناسخ تصرف في بعض الألفاظ والمجل التي عسرت عليه قراءتها في النص بألفاظ وجمل من عنده .

النسخة الثالثة : نسخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر . وهذه عثرنا عليها أخيراً ولم تتمكن

من الاطلاع عليها إلا بعد جهد شديد ، وهي نسخة مفريية قيمة . كتبت سنة ١١٥٨ هـ ١٩٠٤ ،
بجد واحد يقع في حوالى أربعائة ورقة . وقد أمكننا بالعثور عايتها تصحيح ألفاظ كثيرة في
القسم الأول من الكتاب ، كما عثرنا بها على باب كامل كان ساقطاً من نسخة دار الكتب
ومراد ملا فأثبتناه ، ولكننا لم نكد نجد بالنسبة للقسم الثانى فارقاً بينها وبين نسخة دار الكتب
القيمة ، بل على العكس فإن هذه النسخة الأخيرة أكمل من نسخة رواق المغاربة فذهبنا إليها
كثيرة من الأبواب الأخيرة ليست فى النسخة الثانية ، مما يرجح أن الناسخ انقص بعضها
ربما لطول الكتاب وصخامة العمل .

وعلى هذا قررنا أن أنسب الطرق لتحقيق الكتاب ، هو العمل بطريقة النص الخمار
رغبة منا فى أن يظهر الكتاب فى أنصى درجة ممكنة من الكمال ، ولهذا ففينا يتماهى بالقسم
الأول فقد اعتمدنا فيه على ما يلى :

أولاً : نسخة رواق المغاربة لأنها فى هذا القسم أم وأكل النسخ ، فصلا عن صحة نكلمتها
وأمانة نقلها .

ثانياً : نسخة مراد ملا ، التى ذكرنا من قبل أنها كاملة وليس ثمة ما يؤخذ عايتها إلا نصرف
الناسخ فى بعض كلمات النص .

ثالثاً : نسخة دار الكتب الناقصة «ب» للاستئناس والمقارنة .

وفىما يتعلق بالقسم الثانى اعتمدنا على ما يلى :

أولاً : نسخة دار الكتب القيمة « أ » بعد أن رتبنا ما حدث فى أوراقها الأولى من خلط
وتشويش ، وقد اعتمدنا عليها بعد ذلك لتمامها ودقتها ووضوح كلماتها وضبطها بالشكل فضلاً
عن أنها أقدم النسخ الموجودة للكتاب .

ثانياً : نسخة رواق المغاربة .

ثالثاً : نسخة مراد ملا .

وقد رمزنا إلى نسخة رواق المغاربة في الهوامش بالحرف (م) وإلى نسخة مراد ملا بالحرف (أ) وإلى نسخة دار الكتب بالحرف (ب) .

وأما فيما يتعلق بعملنا في تحقيق النص ، فقد حرصنا على ما يلي :

١ - معارضة الأصول بعضها ببعض وإثبات الخلافات .

٢ - ضبط الآيات القرآنية بالشكل وتخريجها .

٣ - كان المصنف يذكر في أول كل باب بعد إيراد الآيات القرآنية بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه لم نأل جهداً في تصحيح نصها وضبطها ، ولكننا رأينا أن تخريجها من كتب الحديث سيخرج بالكتاب عن طبيعته الأدبية التي قصد إليها المؤلف وثقله بما هو خارج عن موضعه ، ولهذا فلم نخرج من الأحاديث إلا تلك التي تحتاج إلى شرح أو بيان أو التي لم تذكر بتامها ، فشرحنا الغامض وأكملنا الناقص من كتب الأحاديث المختلفة .

٤ - ضبط الأعلام الواردة في النص والتعريف بها ، وخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ - ضبط الأبيات بالشكل الكامل ، مع بذلنا غاية الجهد في تخريجها من شتى كتب الأدب ودواوين الشعراء ، مع إثبات الروايات المختلفة إن وجدت .

٦ - ومن جهة الأخبار ، فقد قابلناها على مثيلاتها في الكتب الأدبية والتاريخية المختلفة ولم نحصر على ذكر المرجع في الأخبار الجزئية إلا حين تختلف الرواية للخبر اختلافاً بيناً ، أو يكون ثمة خطأ .

٧ - قننا بعمل فهرس مفصلة للأعلام والأماكن والأبواب ليسهل على القارئ الرجوع إلى المادة التي يود الاطلاع عليها .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه من تحقيق هذا الكتاب فإن لم أكن فحسبي أني قد بذلت غاية الوسع وما قصرت .

والله أسأل أن ينفع به ، كما نفع بصاحبه من قبل ، إنه سميع مجيب .

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم^(١).

أما بعد : فإن أولى^(٢) ما ابتدئ^(٣) به كتاب ، وافتتح به خطاب ، حمد الله على جزيل آلائه ، وشكره لجليل^(٤) بلائه ، ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وعافيه رسله ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وسلام عليهم في العالمين وبركاته . والحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وفضلنا على جميع الأنام ، وجعلنا من أمة محمد نبيه عليه الصلاة والسلام^(٥).

وبعد : فإن أولى ما عني به الطالب ، ورغب فيه الراغب ، وصرف إليه العاقل همه ، وأكد فيه عزمه ، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب ، مطالعة فنون الآداب ، وما اشتملت عليه وجوه الصواب ، من أنواع الحكيم التي تحيي النفس والقلب ، وتشحذ الذهن واللُب ، وتبعث على المبكارم ، وتنهى عن الدنيا والمحارم ، ولا شيء أنظم لشمس^(٦) ذلك كله ، وأجمع لفنونه ، وأهدى إلى عيونه ، وأعقل لشارده ، وأثقف لنادره ؛ من تقييد الأمثال السائرة ، والآيات النادرة ، والفصول الشريفة ، والأخبار الظريفة ، من حكم الحكماء ، وكلام البلاء^(٧) العقلاء : من أئمة

(١) ب : بوبه العون بدلا من هذه الجملة .

(٢) ب : أفتتح .

(٣) ب : فالحمد .

(٤) ب : ساقط من ب .

(٥) ب : أول .

(٦) ب : ساقط من ب .

(٧) ب : ساقط من م .

(٨) أ : الألباء .

السلف ، وصالحى الخلف ، الذين امتثلوا فى أفعالهم وأقوالهم ، آداب^(١) التنزيل ، ومعانى سنن الرسول ، ونوادى العرب وأمثالها ، وأجوبتها ومقاطعها ، ومبادئها وفصولها ، وما حووه من حكم المعجم ، وسائر الأمم ، فى تقييد أخبارهم ، وحفظ مذاهبهم ، ما يعمت على امتثال طرقهم^(٢) واحتذائها ، واتباع آثارهم واقتنائها .

وقد جمعتُ فى كتابى هذا من الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والحكم البالغة ، والحكايات الممتعة فى فنون كثيرة وأنواع جمة ، من معانى الدين والدنيا ، ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمته روايتى وعنايتى ، ليكون لمن حفظه ووعاه ، وأتقنه وأحصاه زيناً فى مجالسه ، وأنساً لمجالسه ، وشحذاً لذهنه وما جسده ، فلا يمرّ به معنى فى الأغلب^(٣) مما يذكر به ، إلا أورد فيه بيتاً نادراً ، أو مثلاً سائراً ، أو حكاية مستطرفة ، أو حكمة مستحسنة ، يحسنُ موقع ذلك فى الأسماع ، ويخفف على النفس والطباع ، ويكون لقارئه أنساً فى الخلاء ، كما هو زين له فى الملاء ، وصاحباً فى الاغتراب ، كما هو حلى بين الأصحاب .

وجمعتُ فى الباب به منه المعنى وضدّه لمن أراد متابعة جلسه فيما يُورده فى مجلسه ، ولئن أراد معارضة بضدّه فى ذلك المعنى بعينه ، ليكون أبلغ وأشقى وأمتع .

وقد قرّبه ، وبوّّبه ليسهل حفظه ، وتقرب مطالعته ، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره ، وتيمناً بآثاره .

(١) ب : أدب .

(٣) ب : لاغلب .

(٢) ١ : طروقههم .

وإلى الله أتبهُلُ في حسن العون^(١) و^(٢) التأييد لما يحبُّ ، والتسديد ، وهو حسبي
هو نعم الوكيل .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هديةً
أفضلُ من كلمة واحدة ، يزيد الله بها هدىً ، ويصرفه بها عن ردى » .

ويروى عن عيسى الخياط ، عن الشعبي ، قال : لو أن رجلاً سافر من أقصى
الشام إلى أقصى اليمن لبسمع كلمةً ينتفع بها فيما يستقبل من ثمرة ، ما رأيتُ أن
سفرةً قد ضاع^(٣) .

قال محمد بن سلام الجحفي ، عن ابن جعدة^(٤) ، قال : ما أبرم عمرُ بن الخطاب
أمرًا قطَّ إلا تمَّثل فيه بيتٌ شعر .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه^(٥) : كفاك من
علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل .

وقال أبو الزناد : ما رأيتُ أحدًا أروى للشعر من غروة بن الزبير . فقيل^(٥) له :
ما أرواك للشعر ! قال : وما روايتي من رواية عائشة له ، ما كان ينزل بها شيء إلا
أنشدت فيه شعراً .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : العلمُ أكثر من أن يحصى ،
فغنوا أرواحه ، ودعوا ظروفه .

(١) ب : العوافب .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ١ : جعرة والصحيح ما أفتناه ، فهو يزيد بن عياض بن جعدة اللبي ، أبو الحكم المدني نزل
البصرة ، محدث ثقة ، ترجمته في تهذيب التهذيب ١١ / ٣٥٢ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : وقيل .

ولقد أحسن القائل ، وقيل إنه منصور الفقيه^(١) :

قَالُوا: خذ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ فَقَلْتُ لَهُمْ: فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ، وَلَكِنْ نَاطِرُ الْعَيْنِ
حَرْفَانِ فِي أَلْفِ طُومَارٍ مُسْوَدَّةٍ وَرَبَّمَا لَمْ تَجِدْ فِي الْأَلْفِ حَرْفَيْنِ^(٢)

وروى عن محمد بن يزيد ، عن جابر بن معدان قال : كلَّ حكمة لم ينزل فيها
كتاب ، ولم يُبعث بها نبي^٣ ، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسنُ الشعراء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً » .

روى ابن نعيم ، عن الحسن بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : خذ الحكمة ممن سمعتها ، فإنَّ الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، كما أن
الرمية قد تجيء من غير رام^(٣) .

(١) منصور بن إسماعيل التيمي ، فقيه شافعي مشهور ، أغلب شعره في الحكم والأمثال ، يروي به
سنة ٥٣٠٦ هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان ١٢٥/٢ ، شذرات الذهب ٢٤٩/٢ مجمع الأدباء ١٨٥/٧ - ١٨٩

(٢) جامع بيان العلم ١٠٦/١ ، التنثيل والمحاضرة ١٦٠ .

(٣) ساقطة من ب .

بَابُ أَدَبِ الْمَجَالِسَةِ ، وَحَقِّ (١) الْجَلِيسِ الصَّالِحِ (٢)

أخبرنا عبد الله بن محمد بن يوسف ، وأحمد بن عبد الله بن عمر (٣) ، وخلف بن سعيد بن أحمد ، وسعيد بن سيّد ، ومحمد بن عبد الله بن حكّم ، وأحمد بن عبد الله ابن (٢) محمد بن عليّ ، واللفظ لسعيد بن سيّد ، قالوا : حدثنا محمد بن عمر بن لبانة ، وسليمان بن عبد السلام ، قالوا : حدثنا محمد بن أحمد العتيبيّ ، عن أبي المصعب (٤) الزّهريّ ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، وحدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا بكر بن حماد ، قال : حدثنا مسدد : حدثنا أبو عوانة كلاهما عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ مِنْ مَجَالِسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » .

ورواه حماد بن سلمة ، عن سهيل ، بإسناده : مثله .

وحدثنا سعيد بن نصر ، وعبد الوارث بن سفيان ، وأحمد بن محمد ، وأحمد بن قاسم قالوا : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا ابن وضّاح ، قال : حدثنا محمد بن مسعود ، قال : حدثنا يحيى القطّان ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبريّ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال :

-
- (١) في ب : وحسن .
(٢) ساقطة من ب .
(٣) ساقطة من ب .
(٤) في ب : المصعب وهو تحريف واضح .

« إِذَا أتَى أَحَدُكُمْ الْمَجْلِسَ فَلْيَسَلِّمْ ، وَإِذَا قَامَ فَلْيَسَلِّمْ ، فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ^(١) مِنَ الْأُخْرَى . »

وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن بكر بن داسة قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا عبد الله بن مسامة القعني^(٢)، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي المولى^(٣) عن عبد الرحمن^(٤) بن أبي عمرة الأنصاري عن أبي سعيد الخدري^(٥)، قال: سمعت^(٥) رسول الله عليه وسلم، يقول: « لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ . »

قال: وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه، من غير أن يُقيمه لم يجلس فيه. ومن حديث أبي بكر^(٦) عن النبي صلى الله عليه وسلم: مثله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المَجْلِسُ بِالْأَمَانَةِ ، وَإِنَّمَا يَتَجَالَسُ الرَّجُلَانِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ — عَزَّ وَجَلَّ — فَإِذَا تَفَرَّقَا فَلْيَسْتُرْ كُلُّهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ . » وقال أبو البخترى^(٧): كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن لِيُوسِّعَ لَهُ .

(١) في ب: أحق .

(٢) في ب: العفي، وهو خطأ، فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعني، ثقة، من أهل المدينة سكن البصرة، يروي عن أبي سعيد، ومالك من أنس، وسليمان بن بلال، ومات بالبصرة سنة ٢٢١ هـ .
اللباب في تهذيب الأساس ٢/٢٧٥ .

(٣) ساقط في أ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) في ب: قال .

(٦) أبو بكر: نفع بن الحارث بن كلدة الثقفي، صحابي مشهور، من أهل الطائف، وإنما قيل له أبو بكره لأنه نطق ببكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم. توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ . الإصابة الترجمة ٨٢٩٥، تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٩ .

(٧) سعيد بن فيروز الطائي بالولاء، من فقهاء الكوفة. ثقة في الحديث، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، نفل سنة ٨٢ هـ. شذرات الذهب ١/٩٢، تهذيب التهذيب ٤/٢٢ .

ومن حديث سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يُوسَعُ فِي المَجَالِسِ إِلَّا لثَلَاثَةٍ : لذي عِلْمٍ لِمِائِمِهِ ، ولذي سِنِّ لِسِنِّهِ ، أو لذي سُلْطَانٍ لِسُلْطَانِهِ » .

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « المَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ : مَجْلِسٌ سَفِكَ فِيهِ دَمٌ حَرَامٌ ، ومَجْلِسٌ اسْتَحِلَّ فِيهِ فَرْجٌ حَرَامٌ (١) ، ومَجْلِسٌ اسْتَحِلَّ فِيهِ مَالٌ حَرَامٌ بِغَيْرِ حَقِّهِ » .

(٢) ومن حديث عمر بن عبد العزيز ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفٌ ، وَإِنْ شَرَفَ المَجَالِسِ ، مَا اسْتَقْبِلَ بِهِ القِبْلَةَ » (٣) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ رَجُلٌ ، فَلَا تَقُومَنَّ حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا قَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ حَتَّى يَنْصَرِفَ إِلَيْهِ ، مَا لَمْ يُوَدِّعْ (٣) جُلُوسًا بِالسَّلَامِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَفْرَقُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ بَيْنَ اثْنَيْنِ مُتَجَالِسَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَأَوْسِعُوا » .

وقال (٢) أنس بن مالك : مَا أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُكْبَتَيْهِ

(٢) ساقط من م .

(١) ب : ومجلس استحل فيه قوم حراما .

(٣) ساقط من ب .

ولا قَدَمَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ قَطُّ ، وَلَا تَنَاوُلُ أَحَدُهُ يَدَهُ فَتَرَكَهَا حَتَّى يَكُونَ هُوَ
الَّذِي يَدَعُهَا .

وقال ابن شهاب : كَانَ رَجُلٌ يَجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ
لَا يَزَالُ يَتَنَاوَلُ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّيْءَ ، وَكَانَ ذَلِكَ آذِيًا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إِذَا نَزَعَ أَحَدُكُمْ عَنْ أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيُرِهِ إِيَّاهُ » .

وحدث الحسن البصرى : أَنَّ رَجُلًا تَنَاوَلُ عَنْ رَأْسِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ شَيْئًا
فَتَرَكَهُ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ تَنَاوَلُ الثَّلَاثَةَ ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : أَرِنِي مَا أَخَذْتَ ؟ وَإِذَا هُوَ
لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا ۖ فَقَالَ : انظُرُوا إِلَى هَذَا ، قَدْ صَنَعَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ يُرِينِي أَنَّهُ يَأْخُذُ
مِنْ رَأْسِي شَيْئًا وَلَا يَأْخُذُهُ ، فَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ مِنْ رَأْسِ أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيُرِهِ إِيَّاهُ .

قال الحسن : ^(١) نَهَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمَلَقِ .

وقال الحسن ^(١) : لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَخَذَ مِنْ رَأْسِي شَيْئًا ، قُلْتُ : حَسْرَفَ اللَّهُ عَنْكَ
الشَّيْءَ .

وكان محمد بن سيرين : إِذَا أَخَذَ أَحَدٌ مِنْ لِحْيَتِهِ أَوْ رَأْسِهِ شَيْئًا ، قَالَ : لَا عَدَمِيَّةَ
نَافِعًا .

وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : إِذَا أَخَذَ أَحَدٌ عَنْكَ شَيْئًا ، فَقُلْ : أَخَذْتَ
بِيَدِكَ خَيْرًا .

(١) ساقط من ب .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لأبي أيوب الأنصاري — وقد نزع عنه أذى — : « نَزَعَ اللهُ عَنْكَ مَا تَكَرَّرَهُ يَا أَبَا أَيُوبِ » .

قال عمرُ بن الخطَّاب : فحسبُ^(١) المرء من العبي^(٢) أن يؤذَى جليسه بما لا يعنيه . وأن يَجِدَ على النَّاسِ فيما تأتيه^(٣) ،^(٤) وأن يَظْهَرَ له من النَّاسِ ما يَخْفَى عليه من نفسه .

وعن عمر رضى الله عنه قال : إن مما يُصَنِّقُ وِدادَ أخيك ، أن تبدأه بالسَّلام إذا لقيته ، وأن تدعوهُ بأحبِّ الأسماءِ إليه ، وأن توسَّعَ له في المجلسِ^(٥) .

قال أبو أيوب الأنصاري : من أراد أن يكثرَ علمُهُ ، فليجالسْ غيرَ عشيرته .

روى سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن مالك بن مَعْن ، قال : قال عيسى صلى الله عليه وسلم : جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيدُ في علمكم منطلقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

قال المدائني : أوصى يحيى بنُ خالد ابنه ، فقال : يا بُنَيَّ إذا حدثتُك جليستُك حديثاً ، فأقبلِ عليه وأصغِ إليه ، ولا تَقُلْ فد سمعته^(٥) وإن كنتَ أحفظُ له ، وكأنك لم تسمعه إلا منه ، فإنَّ ذلك يكسبُك المحبةَ والميلَ إليك .

وعن عبد الملك بن عمير ، قال : قال سعيد بن العاص^(٦) : حلّيسى على ثلاثِ خصال : إذا دنا رحبتُ به ، وإذا جلس وسعتُ له ، وإذا حدثت أقبلتُ عليه .

(١) و ب : حسب .

(٢) و عيون الأخبار : أن يعيب على الناس ما تأتي .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : العاصي .

(٥) ب : سمعته .

وذكر ابن مقسم^(١) ، قال : سمعت المبرّد يقول : الاستماعُ بالعين ، فإذا رأيتَ عين من تحدّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يُحسّن الاستماع . وقد رُوينا هذا القول عن سهل بن عبادة .

ومن حديث جابر عن النبيّ عليه السلام ، أنّه قال : « من كان له أخٌ في الله فأكرّمه فإنّما يكرّم الله » .

ورُوينا عن ثعلب النحوى ، أنّه قام لصديقٍ قصده^(٢) ، وأنشد :

لَيْتَ قُمْتُ مَا فِي ذَاكَ مِنْهَا غَضَاظَةً عَلَى وَائِي لِلْكَرَامِ مُذَالٍ
عَلَى أَنَّهَا مِنِّي لَغَيْرِكَ هُجْنَةٌ^(٣) وَلَكِنَّا بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَجْمُلُ

ولغيره في هذا المعنى :

إِذَا مَا تَبَدَّيْ لَنَا طَالِعًا حَلَلْنَا الْحَبَا^(٤) وَابْتَدَرْنَا الْقِيَامَا
فَلَا تُتَكْرَنُ قِيَامِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ يُجِلُّ الْكَرَامَا^(٥)

ورُوينا من حديث عائشة ، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنّه قال : « أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » .

قال ابنُ وهب^(٦) : سمعتُ مالكا يقول : إذا كان الرجلُ عند رجلٍ جالسا ،

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب المروفي بابن مقسم العطار ، عالم بالعربية والقراءات ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٣٥٤ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٢٠١/٢ مجلد الأدباء ٤٩٦/٦ .

(٢) ب : لتصر بن قصره .

(٣) الهجنة : العيب .

(٤) الحبا : الثوب المشتمل به ، وحللنا الحبا : كناية عن الخروج عن حدود الأتزم والوقار .

(٥) الحاسن والمساوي للبيهقي ١١٢/١ ، من غير نسبة .

(٦) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري المصري ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، كان حافظا ثقة مجتهدا ،

مات سنة ١٩٧ هـ . تهذيب التهذيب ٧١/٦ . الوفيات ٢٤٩/١ .

فجاءه^(١) طالب حاجةٍ ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه^(٢) .

قال عمرو بن العاص : لا أملٌ جليسي ما فهم عني ، وإنما الملالُ لدناءة الرجال .

قال الشعبي في قوم ذكركم : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تنابُذًا^(٣) في مجلس ، ولا أحسنَ فهماً من محدث .

روى الأصمعي عن العلاء بن جرير عن أبيه ، قال : قال الأحنفُ بن قيس : لو جلس إلى مائة لأحببتُ أن أتمسَ رضى كل واحدٍ منهم .

وقال عبد الله بن عباس : أعزُّ الناس على جليسي الذي يتخطى الناس إلى ، أما والله إن الذباب يقعُ عليه^(٥) فيشقى على .
قال كشاجم^(٤) .

وجليس لي أخى ثقةٌ كان حديثه خبيره
يسركُ حُسنُ ظاهره وتحمدهُ منه مختصره
ويسترُ عيبَ صاحبه ويستترُ أنه ستره

وقال آخر^(٥) :

جليسٌ لي له أدبٌ رعائيةٌ مثله تجيبُ

(٢) ساقط من ب .

(١) ا ، ب : فجاء

(٣) معنى التناوبها تميز كل فريق لرأيه ، ودفاعه عنه بما يملك من حجة ودليل وانظر العبارة في البيان ٣٧/٢ .

(٤) محمود بن الحسين المعروف بكشاجم ، شاعر متفنن ، من شعراء سيف الدولة . ولقبه هذا منحوت من علوم كان يتقنها : الكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للانشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق ، وقيل ، عبر ذلك . تولى كشاجم سنة ٣٦٠ هـ ، انظر في ترجمته : شذراب الذهب ٣٧/٣ ، الأعلام ٤٣/٨ ، وانظر الأبيات في نهاية الأرب ٤/١٢٦ .

(٥) ساقط من ب .

لو انتقدت خلافة لُبَّهِجِ (١) عندها الذهب (٢)

وعن ابن عباس ، أنه قال : إني لأكره أن يطاء الرجل بساطي ثلاثاً فلا يرى عليه أثرى .

وعنه أيضاً (٣) رضى الله عنه ، أنه سئل : من أكرم الناس عليك ؟ قال : جليسى حتى يفارقنى .

قال معاوية لعرابة الأوسى : بأى شىء استحققت أن يقول فيك الشماخ (٤) :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى اخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لجديد تلقاها عرابة باليمين

فقال عرابة : سماع هذا من غيرى أولى بك وبى يا أمير المؤمنين ، فقال : عزمته . بيتك لتخبرتنى . فقال : يا كرامى جليسى ، ومحاماتى على (٥) صديقى .

فقال معاوية : لقد استحققت (٦) .

قال على بن الحسين : ما جلس إلى أحد قط ، إلا عرفت له فضله حتى يقوم .

قال أبو عبادة (٧) : ما جلس رجل بين يدي ، إلا مثل لى أنى جالس بين يديه .

(١) ب : ليبرج . والبهرج : الباطل أو الردى .

(٢) البيتان للقاضى أبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى ، انظر وفيات الأعيان ٥٠٠/٥ .

(٣) ب : وعن ابن عباس .

(٤) هو الشماخ بن ضرار النطفانى . شاعر مجيد مخضرم من طبقة لييد والباينة ، توفى سنة ٧٧ هـ ، وكان الشماخ قد التقى بهراة وهو يشوق أبرة عليها زبيب وأدم قد أقبل بها من الطائف ، فاستطعمه شيئاً منها ، فقال له : خذ برأس القطار ، فقال الشماخ : أتتهزأ بى ؟ فقال : خذ عافاك الله برأس القطار فهو لك فأخذ الإبل وما عليها ، وقال بيتيه الخالدين . انظر أنساب الأشراف ٢٧٧/١ ، ديوانه ٩٦ ، الشعر والشعراء ٢٧٨ ، وفيات الأعيان ١١٦/٥ .

(٥) ب : عن . (٦) ب : استحققت .

(٧) أبو عبادة : عيسى بن عبد الرحمن بن فروة ، ويقال ابن سبرة الأنصارى ، أبو عبادة الزرقى المدنى ، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢١٨/٨ .

روى عن عبدالله بن يزيد ، وقد روى ذلك لأبي حازم ، أنه قال : وطن نفسك على^(١) المجلس السوء ، فإنه لا يكاد يخطئك . وقد روى ذلك عن الأحنف ، والله أعلم قال بعض الحكماء : رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما ، رجل وسّع له في مجلس ضيق فتربّع وتفتح^(٢) ، ورجل أهديت إليه نصيحة فجملها ذنباً .

وقال مسعر بن كدام : رحم الله من أهدي إلى عيوبى في ستر بينى وبينه ، فإن النصيحة في الملاء تقريع .

^(٣) قال الأحنف : لأن أذعى من بعد أحب إلى من أن أقصى عن قرب .

وعن الأحنف أيضاً أنه قال : ما جلست مجلساً قط ، أخاف أن أقام منه لنيرى^(٤)

وقال البعيث بن حرِيث^(٥) :

وإن مكاني في الندى ومجلسي له الموضع الأقصى إذا لم أقرب^(٥)
ولست وإن قربت يوماً يبايع خلّاتي ولا ديني ابتغاء التحبب
ويعتده قوم كثير تجارة^(٦) ويمنعني من ذلك ديني ومنصبي

جلس رجل^(٧) إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال : جلست إلينا على حين

قيام ، أفتأذن ؟

(١) ب : عن . (٢) ب : وافتح . (٣) زياده في ب .
(٤) ب : المغيث بن حريب ، وهو محريف ، انظر ترجمته في المؤلفات والمختلف ٥٦ ، وانظر الأبيات في
عيون الأخبار ٢٧٦/٣ ، حساسة أبي تمام ١٤٨/١ ، ١٤٩ ، العقد الفريد ٧٩/١ .
(٥) و ١ : وإن مكاني في الزاء... الخ ، وفي عيون الأخبار : فإن مسيرى في البلاد ومترى لها بمنزل الأقصى
... الخ وفي العقد : هو لنزل .
(٦) في العقد : وقد عده قوم تجارة رابع . (٧) ب : رجال .

كان يقال : إِيَّاكَ وَكُلُّهُ جَلِيسٍ لَا تَصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا .
 وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّهُ قَالَ : إِيَّاكَ وَكُلُّ جَلِيسٍ لَا يَفِيدُكَ عِلْمًا .
 (١) كان يقال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُهُ ، وَيَنْفَعُهُ عِلْمُهُ (١) ، فَلْيَقِلِّ مَنْ مَجَالَسْتَهُ
 مِنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ .

وقال الحسن البصري : انتقوا الإخوان ، والأصحاب ، والمجالس .
 وروى هشام بن عروة ، عن محمد بن المنكدر ، قال : كان يقال : خياركم أليئكم
 مناكب في الصلاة ، وركنا في المجالس ، الموطئون أكنافاً ، الذين يَأْتُونَ وَيُؤْتُونَ .
 تباعد كعب الأخبار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب ، فأنكر ذلك عليه ، فقال :
 يا أمير المؤمنين ! إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه : إذا جلست إلى ذي سلطان
 فليكن بينك وبينه مقعد رجل ، فاعلمه يأتيه مَنْ هو آثر عنده منك فينحنيك فيكون
 نقصاً عليك .

وكان يقال : الجليس الصالح خيرٌ من الوحدة ، والوحدة خيرٌ من الجليس السوء .
 (٢) وعن جعفر بن سليمان الضبيعي ، قال : رأيتُ مع مالك بن دينار كلباً ، فقلت له :
 ما هذا ؟ قال : هذا خيرٌ من الجليس السوء (٢) .

قال زياد : إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلساً أن يعرف أين يكون
 مجلسه ، وإني لآتي المجلس ، فأدعُ مالي مخافة أن أدفع عما ليس لي .
 وكان الأحنف إذا أتاه رجلٌ أوسع له ، فإن لم يكن له سعة أراه كأنه
 يُوسع له .

(١) ساقط من ١ .

(٢) ساقط من ب .

طرح أبو قلابَةَ^(١) لجلس له وسادة ، فردّها فقال له : أما سمعت الحديث :
« لا تردنّ على أخيك كرامته » .

قال ابن شبرمة^(٢) لابنه : يا بني ! إياك وطولَ المجالسة ، فإنَّ الأسدَ إنما يجترى^(٣)
عليها من أدام النظرَ إليها .

وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير^(٤) لابنه : يا بني لا تمكّن الناس من نفسك
فإن أجراً الناس على السّباع ، أكثرهم لها معاينة . ومن هذا — والله أعلم — أخذ
ابن المعتز قولَه^(٥) :

رأيت حياة المرء تُرخِصُ قدره فإن مات أغلته المنايا الطوائح
كما يُخلقُ الثوبَ الجديدَ ابتذاله ؛ كذا تُخلقُ المرءُ العيونُ اللوامحُ
^(٥) ومن سوء الأدب في المجالسة : أن تقطع على جلسك حديثه ، أو تبدّره إلى
تمام ما ابتدأ به منه خيراً كان أو شعراً ، مُتِمِّمٌ له البيتَ الذي بدأ به ، تريه أنك
أحفظُ له منه . فهذا غايةٌ في سوء المجالسة ، بل يجب أن تصنى إليه كأنك لم تسمعه
قط إلاّ منه^(٥) .

قيل لداود الطائي^(٦) : لم تركتَ مجالسةَ الناسِ ؟ قال : ما بقيَ إلاّ كبيرٌ يتحفّظُ
عليك ، أو صغيرٌ لا يُوقرُك .

(١) هو : عبد الله بن يزيد بن عمرو، أبو قلابة الجرمي ، عالم بالقضاء والأحكام ، من أهل البصرة، توفى
سنة ١٠٤ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٢٤/٥ ، شذرات الذهب ١٢٦/٩ .

(٢) ابن شبرمة : عبدالله بن شبرمة الضبي ، تولى قضاء السواد لأبي جعفر النصور، وكان عفيفاً صارماً .
عاقلاً جواداً ، ثقة قليل الحديث ، توفى سنة ١٤٤ هـ . انظر شذرات الذهب ٢١٥/١ ، تهذيب التهذيب ٢٥٠/٥ .
(٣) ب : الأشر .

(٤) ورد البيت الثاني فقط في الديوان ٢٩ ، وفيه : فابدل كما ، وانظرها معاني التمثيل والمخازمة ١٦٧ .
(٥) ساقطة من ب .

(٦) أبو سليمان بن نصير الطائي الكوفي ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين ، توفى سنة ١٦٥ هـ ،
انظر تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ ، وفيات الأعيان ١٧٧/١ .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى : لا تجالسُ عدوك ، فإنه يحفظُ عليك سقطاتِكَ
ويمباريك في صوابك .
قالت الخنساء :

إِنَّ الْجَلِيسَ يَقُولُ الْقَوْلَ تَحْسِبُهُ خَيْرًا وَهَيَّاتَ فَاظْطَرَّ مَا بِهِ (١) التَّمَسَا
كان يقال : رأسُ التواضع ، الرضا بالذنون من المجلس . وهذا يُروى عن
ابن مسعود أنه قال : إن من التواضع أن ترضى بالذنون من المجلس ، وأن تبدأ
بالسلام من لقيت .

قال إبراهيم النخعي : إن الرجلَ ليجلسُ مع القومِ فيتكلمُ بالكلام ، يريدُ الله
به ، فتصيبُهُ الرَّحمةُ فتعمُّ من حوله ، (٢) وإن الرجلَ يجلسُ مع القومِ فيتكلمُ بالكلام
يسخطُ الله به ، فتصيبُهُ السَّخَطَةُ فتعمُّ من حوله (٢) .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً في مجلسه ، فرفع رأسه إلى
السماء ثم طأطأه (٣) ثم رفعه فسئل عن ذلك ، فقال : « هؤلاء قومٌ كانوا يذكرون
الله فأنزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة كالثَّبة ، فلما دنت
منهم تكلم رجلٌ منهم (٥) بباطلٍ فرُفعت عنهم ، ثم تلا : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ
يَخْسَرُ الْبَاطِلُونَ (٤) ﴾ . »

وفي حديث أبي هريرة عن النبي عليه السلام (٥) ، أنه قال : « ما جلس قومٌ

(١) في ب : ماله ، ولم أعر عليه في الديوان . (٢) ساقطة من ب .

(٣) في ب طأطأ . (٤) سورة الجاثية الآية : ٢٧ . (٥) ساقطة من ب .

يجلساً يقرءون فيه القرآن ، ويذكرون الشّنين ، ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم ،
إلاّ حَفَّتْ بهم الملائكة ، ونزات عليهم السّكينة ، وغشبتهم الرحمة ، وذكرهم الله
فيمن عنده . فقيل له : يا رسول الله ! الرّجلُ يجلسُ إليهم وليس منهم ، ولا شأنه
بشأنهم ، أناخذه الرحمة معهم ؟ قال : نعم ، هم القومُ لا يشقى جلسُهم .

أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ويقال إنها له :

إِنْ صَحِبْنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا وَعَقُوا وَاسْتَحَفُّوا كِبْرًا بِحَقِّ الْجَلِيسِ
أَوْ صَحِبْنَا التَّجَارَ صِرْنَا إِلَى الْبُؤْسِ سِ وَعُدْنَا إِلَى عِدَادِ الْفُلُوسِ
فَلَزِمْنَا الْبُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ الْعِدَّ مَ وَنَمْلًا بِهِ بَطُونُ الطُّرُوسِ^(١)

كان يقال : ذؤو المروءة والدين ، إذا أحرزوا القوتَ لزمو البيوت . أنشد أبو
عبدالله بن الأعرابيّ -- صاحب الغريب^(٢) -- :

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيًّا وَمَشْهَدًا
يُفِيدُونَنَا^(٣) مِنْ عَامِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَعَقْلًا وَتَأْدِيبًا وَرَأْيًا مُسَدَّدًا
بِلا فِتْنَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ وَلَا نَتَقِي مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا
فَإِنْ قَلَّتْ أَمْوَاتٌ فَلَسْتُ بِكَاذِبٍ وَإِنْ قَلَّتْ أَحْيَاءُ فَلَسْتُ مُفْنَدًا^(٤)

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابي مع أحمد بن محمد بن شجاع ، ذكرناه مع

(١) يروى : تاهوا علينا ، ولزمتنا البيوت نستكثر . وانظر الأبيات في جلع البيان العلم ٢٠٣/٢ .
(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، أبو عبد الله ، راوية علامة بالغة من أهل الكوفة ، لم ير أحد
في علم الشعر أغزر منه ، مات سنة ٢٣١ هـ . انظر معجم الأدباء ١٨٩/١٨ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ ،
تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ .

(٣) يروى : يهروننا . (٤) جامع بيان العلم ٢٠٢/٢ ، معجم الأدباء ١٨٠/١٨ .

مع الآيات في آخر كتاب « بيان العلم وفضله » . ولمحمد بن بشير في هذا المعنى من قصيد له :

فصرتُ في البيتِ مشروراً تُحدِّثني
 قرداً تُخَبِّرنِي أَوْتِي وَتَنْطِقُ (١) لِي
 اللَّهُ مِنْ جَلَسَاءِ لَا جَلِيسُهُمْ
 لَا بَادِرَاتُ الْأَذَى يَخْشَى رَفِيقُهُمْ
 أَبْقُوا لَنَا حِكْمًا تَبْقَى مَنَافِعُهَا
 إِنْ شِئْتَ مِنْ مُحْكِمِ الْأَتَارِ يَرْفَعُهَا
 أَوْ شِئْتَ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بَأْوَالِهِمْ
 أَوْ شِئْتَ مِنْ سَيْرِ الْأَمْلَاقِ مِنْ عَجْمٍ
 حَتَّى كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمْ
 مَا مَاتَ قَوْمٌ إِذَا أَبْقَوْا لَنَا أَدْبًا
 وَعَلِمَ دِينَ وَلَا بَانُوا وَلَا ذَهَبُوا (٤)

عَنْ عِلْمٍ مَا غَابَ عَنِّي فِي الْوَرَى الْكُتُبُ
 فَلَيْسَ لِي فِي أَنْاسٍ غَيْرَهُمْ أَرَبُ
 وَلَا خَلِيطُهُمْ لِلْسُّوءِ مُرْتَقِبُ
 وَلَا يُبَلِّغُهُ مِنْهُمْ مَنَاطِقُ ذَرْبٍ (٢)
 أُخْرَى اللَّيَالِي عَلَى الْأَيَّامِ وَانْشَعَبُوا (٣)
 إِلَى النَّبِيِّ ثَقَاتٌ خَيْرَةٌ تُجِبُ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُنْبِئُنِي بِهَا الْعَرَبُ
 تُنْبِئُنِي وَتُخْبِرُ كَيْفَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبُ
 وَقَدْ هَضَمْتُ ذُوْنَهُمْ مِنْ دَهْرِنَا حَقَبُ
 وَعِلْمَ دِينَ وَلَا بَانُوا وَلَا ذَهَبُوا (٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفارة ما يكون في المجلس من اللغظ (٥) أن تقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

وفي حديث آخر :

(١) : وتنظر .

(٢) البادرة : ما يصدر عن الحدة في الغضب من قول أو فعل ، والذرب : حدة اللسان وسلطانه .

(٣) ب : والشعب ، وانشعب : تفرق وتبدد .

(٤) انظر الآيات في جامع بيان العلم ٢/٢٠٣ . (٥) اللغظ : الجلبة والصياح .

« كفارة ما يكون في المجلس ألاّ تقومَ حتى تقول : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوبُ إليك ، ياربّ تَبَّ علىّ واغفر لي ، فإن كان مجلسٌ لغويٍّ^(١) كان كفّارته ، وإن كان مجلسَ ذكرٍ كان كالطّابع عليه . »

وقال حسان بن عطية : ما من قوم كانوا في مجلس لغويّ نتموه بالاستغفار إلاّ كتّيب لهم مجلسهم ذلك استغفاراً^(٢) كله .

وروى عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن ، في قول الله عز وجل : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾^(٣) ، منهم^(٤) مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا : حين تقوم من كل مجلس تقول فيه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، قالوا : ومن قالها غفر له ما كان منه^(٥) في المجلس .

وقال عطاء : إن كنت أحسنت ازددت إحساناً ، وإن كان غبر ذلك ، كان كفارة .

ومنهم من قال : تقول حين تقوم : سبحان الله وبحمده من كل مكانٍ ومن كل مجلس .

(٢) في ا : استغفار .

(٤) في ب زعم .

(١) لفظه في ب .

(٣) سورة الطور آية : ٤٨ .

(٥) ساقط من ب .

بابُ سَمَدِ اللِّسَانِ وَفَضْلِ البَيَانِ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَّغَتْ يَكْتُبُ اللهُ (١) لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ حَتَّى يَلْقَاهُ ... (٢) » الحديث .

قال مُعَاذٌ : قلت يا رسول الله ! أيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟

قال : « لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذَكَرِ اللهِ » .

وروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صدقة اللسان ، تَدْفَعُ بِهَا الكَرِيهَةَ ، وَتَحْقِنُ بِهَا الدَّمَ » .

وقال عليه السلام : « أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ » .

قال أبو عَيْنَةَ الخَوْلَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : رُبَّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ إعْطَاءِ المَالِ . وقال أَبَانُ ابنِ سَأِيمٍ : كَلِمَةٌ حِكْمَةٌ لَكَ مِنْ أَخِيكَ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَالٍ يُعْطِيكَ ؟ لِأَنَّ المَالِ يُطْفِئُكَ ، وَالكَلِمَةُ تَهْدِيكَ .

قالوا : خَيْرُ الكَلَامِ مَا دَلَّ عَلَى هَدْيٍ ، أَوْ نَهَى عَنِ رَدْيٍ .

ذُكِرَ عِنْدَ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ : الصَّمْتُ وَالكَلَامُ ، فَقَالَ قَوْمٌ : الصَّمْتُ أَفْضَلُ (٣) فَقَالَ الأَحْنَفُ : الكَلَامُ أَفْضَلُ (٣) لِأَنَّ الصَّمْتَ لا يَمْدُو صَاحِبَهُ ، وَالكَلَامُ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْ سَمْعِهِ ، وَمِثْلُ كَرَةِ الرِّجَالِ تَلْقِيحُ لَعْقُولِهَا .

(١) ساقط من أ .

(٢) سترد بقية الحديث في باب تل من ٧٩ ، وقد أخرج ابن ماجه نحوه مطولا في سننه من ١٣١٣ حديث

٢٩٦٩ - ٢ .

(٣) ساقط من ب .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله عبداً تكلم بخيرٍ فغتم ، أو سكت فسلم » .

قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : رأيتُ ابنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الكعبةِ آخِذاً بِلسانِهِ وهو يقول : يا لسانُ قل خيراً تنعم ، أو اسكتْ تسلم .
وقالوا : السكوتُ سلامة ، والكلامُ بالخيرِ غنيمة ، ومن غمَّ أفضلُ ممن سلم .

قال أعرابيٌّ : من فضل اللسان ، أن الله عزَّ وجلَّ أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح .

وقال عبدُ الملك بن مروان : الصمتُ نومٌ والنطقُ يقظة .

قال خالدُ بنُ صفوان : ما الإنسانُ لولا اللسانُ إلا صورةٌ مُمثلةٌ ، أو بهيمةٌ مرسلةٌ^(١) ، أو ضالَّةٌ مهملَةٌ .

كان يقال : الألسنُ خدامُ القرائح .

قال ربيعةُ الرأى^(٢) : الساكيتُ بين النائمِ والأخرس .

قالوا : إنما المرءُ بأصغريه : لسانه وقلبه .

كان يقال : اللسانُ تُرجانُ الفؤاد ، واللسانُ حيَّةُ الفم .

كان يقال : يجدُ البليغُ من ألمِ السكوتِ ما يجدُ العيُّ من ألمِ الكلام .

وقالوا : المرءُ مغبوبٌ تحت لسانه .

(١) ق ب : منملة .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ ، من موالى التميميين ، كان من أجود الناس رأياً وعلماً ومنطقاً ولهذا لقب ربيعة الرأى ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥٨/٣ ، الوفيات ١٨٣/١ ، تاريخ بغداد ٤٢٠/٨ .

وقال حسان بن ثابت :

لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مِذْوَدِي^(١)

وقال جرير :

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَا السَّيْفُ أَشْوَى وَقَعَةً مِنْ لِسَانِيَا^(٢)

وقال الخليل بن أحمد :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى ذِي السَّرْوِ أَهْيَى مِنَ اللَّسَانِ الْبَهِيِّ^(٣)

قال ابن سيرين : لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان ، ولا شيء أزين

على المرأة من الشحم .

قال الشاعر :

وَكَأَنَّ تَرْمِيَّ مِنْ سَاكِتٍ^(٤) لَكَ مُعْجَبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ تَقْصُصُهُ فِي التَّكَلِّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ ، وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ^(٥)

(١) المذود : اللسان ، وانظر البيت في ديوانه ١٢٧ .

(٢) وردت الشطرة الأولى في ب : لساني وسيفي صارمان كلاهما أيضاً ، وأحسب أنه تكرير من الناسخ

لشطرة البيت السابق ، وما هنا موافق لرواية الديوان ٦٠٦ .

(٣) السرو : المروعة في شرف ، وانظر البيت مع أبيات أخرى سترد بعد في عيون الأخبار ١/١٠٠ ،

جمع بيان العلم ١٦٨/٢ .

(٤) في ١ : صامت .

(٥) نسب الجاحظ البيتين في البيان ١٨١/١ إلى الأعور الشني ، ونسبها في هامش التحقيق أنهما لزهير في مملته ، ولكنني لم أعثر على البيتين وأخ لهما ثالث سيرد بعد ، بين أبيات معاقبة زهير في شرح ديوانه لثعلب ط طر الكتف ١٩٤٤ وفيه أصح روايات المعلقة . نعم وجدتهما منسوبين له في جمهرة أشعار العرب ٥١ ، وفي المجلات ط مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ ، وفي ذلك الأخير علق الأستاذ الشنقيطي على البيتين بأنهما ليسا لزهير بل للخضر جد جرير ، وفي حواشي البحري ورد البيتان مرتين نسبهما في الأولى ص ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية الجهمري مع ورود الشطر الأول هكذا : وكائن فتى من معجب لك حسنه ، ونسبهما في الثانية ص ٣٦٧ إلى زهير ، وفي فصل المقال ٤٨٢ : زد في نسبهما بن الهيثم بن الأسود النخعي ، وبن الأعور الشني .

قال أبو العتاهية^(١):

وللناسِ خوضٌ في الكلامِ والسُّنِّ وأقربُها من كلِّ خيرٍ صدوقها^(٢)

وروى ابنُ صمر قال: قدم رجلان من المشرق نخطبا، فمجب الناس لبيانها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا». فتأولت طائفة هذا على الدم لأن السحر مذموم، وذهب الأكثر^(٣) من أهل العلم، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن، وقد أوضحنا هذا في كتاب التمهيد، والحمد لله.

وقد قال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله وقال: هذا — والله — السحرُ الحلال.

وقال علي بن العباس الرومي:

وَحَدِيثُهَا السُّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ^(٤)
في أبيات قد ذكرتُها في موضعها من هذا الكتاب.

وقال الحسن: الرجال ثلاثة، رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بعاله.

وكان يقال: في اللسان عشر خصال: أداة يظهرها البيان، وشاهدٌ يخبر عن الضمير، وحاكمٌ يفصل به القضاء، وناطقٌ يردّ به الجواب، وشافعٌ تقضى به الحاجات، وواصفٌ تعرف به الأشياء، وواعظٌ ينهى به عن القبيح، ومُعزٌّ تسكنُ

(١) ديوانه ١٧٧.

(٢) ب: الأكثرون.

(٣) ساقط من ب.

(٤) المتحرز: المتوفى والمحصن، وانظر البيت في ديوانه ٤٠٩، الأمل ٨٤/١، نهاية الأرب ٧١/٢.

به الأحراب ، وملاطف تذهب به الضغينة ، ومونق يملهي الأسماع .

ونظر معاوية إلى ابن عباس رضى الله عنهما ، فأتبعه بصره ثم قال متمثلاً :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ مُصِيبٍ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ^(١) عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ^(٢)

ولحسان بن ثابت في ابن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ مُبْغِضَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا
شَقَى وَكَفَى مَا فِي الثُّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ لِنَدَى إِذْبَةِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا^(٣)

في أبيات قد ذكرت في باب ابن عباس من كتاب « الصحابة » .

كان يقال : الجمال في اللسان .

قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طولُ الجسم ، وضخمُ الهامة ، ورُحْبُ الشدق ،
وبُعْدُ الصوت .

قال حبيب :

لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ^(٤)

(١) ١ : الرجال

(٢) في المقدم ٢/٢٧٠ : « ولم يقف ... لعيى » مكان لقائل مصيب ، وانظر عيون الأخبار ١/١٧٠ ،
معجم الأدباء ٦/١٨٨ . والهجر : التبجح من الكلام .

(٣) ديوانه ٧٤ ، المقدم الفريد ٢/٦٦٧ ، عيون الأخبار ١/١٧٠ ، معجم الأدباء ٦/١٨٦ ، وفيها :
علتقات . والمتقطات : المتخيرات .

(٤) عجزيت لحبيب بن أوسى الطائي أبي تمام وصدره : ومما كانت الحكاه قالت : ديوانه ٨٠ .

وقال آخرُ:

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرَامُ^(١)

^(٢) قال امرؤ القيس ^(٢) :

وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ^(٣)

قال ابن أبي حازم:

أَوْجَعُ مِنْ وَقْعَةِ السِّنَانِ لِنَيْ الْحِجَا وَخِزَّةُ اللِّسَانِ^(٤)

(١) عجزيت للأخطل ، وصدره : حتى أقرروا وهم منى على ضنن * ديوانه ١٠٥/١ ، البيان ١٥٨/١ -

١٧٠ ، القد ٤٤٥/٢ .

(٢) عجزيت وصدره : ولو عن شاغيره جاءني * والثا : الحديث المنقصر ، وانظر ديوانه ١٨٥ القد الفريد .

٤٤٥/٢ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ١٨٤/٣ وفيه : وخزة السنان .

باب ذمّ العيِّ وحشوا الكلام

قال أبو هريرة : لا خيرَ في فضول الكلام .

وقال عطاء : كانوا يكرهون فضول الكلام .

وقال : بترك الفضول تكملُ العقول .

(٢) وقال : فضول الكلام ما ليس في دين ولا دُنيا مباحاً (٣)

وقال : الصمّت صيانةُ اللسان ، وسترُ العيِّ .

وقالوا : العيِّ الناطقُ أعيا من العيِّ الساكت .

وقالوا : أحسنُ الكلام ما كان قليلاً يُفنيك عن كثيره ، وما ظهر معناه في لفظه .

وروى (١) عن عبد الله بن عمر ، أنّه قيل له : لو دعوت لنا بدعوات . فقال :

اللهم اهدنا وعافنا وارزقنا . فقال له رجلٌ . لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أعودُ

بالله من الإسباب .

وقال شفي بن مائع (٢) : (٤) من كثر كلامه كثر خطاياه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر كلامه كثر سقطه .

قال يعقوب عليه السلام لبنيه : يا بنيّ إذا دخلتم على السلطان فأقلوا الكلام .

قال ابن هبيرة : ما من شيء إلا وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً ، إلا فضولُ الكلام .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من م .

(٣) ١ : سبعمي بن مائع ، ب : شفي بن مائع . والصحيح ما أثبتناه ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب

٣٦٠/٤ .

(٤) من هنا وتقمس نسخة ب قصصاً كبيراً ، إذ سقط منها بقية هذا الباب ، وأربعة أبواب أخرى تالية .

قال الحسن : رحم الله عبداً أوجز في كلامه ، واتصر على فصاحته ، فإن الله يكره كثرة الكلام .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه ، أخذه هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب^(١) فقال :

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ
وَالعِي مَعْنَى قَصِيرٌ يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وقال أبو العتاهية^(٢) :

الصَّمْتُ أَلْيَقُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ
لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عِيُونِهِ

وقال منصور الفقيه :

تَعَمَّدَ لِحَذْفِ فُضُولِ الْكَلَامِ إِذَا مَا نَأَيْتَ وَعِنْدَ التَّدَانِي
وَلَا تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الْكَلَامِ أَلْ قَلِيلِ الْحُرُوفِ الْكَثِيرِ الْمَعَانِي

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — وقد عزله : لِمَ عزلتني ؟

قال : بلغني أن كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين .

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحصباء المعروف بنطاحة ، كان كاتب عبدة الله بن عبد الله بن طاهر والي خراسان ، وكان بليغا مترسلا شاعرا أديبا ، قتل سنة ٢٩٠ هـ . انظر معجم الأدباء ٢/٢٢٩ الفهرست ١٨٠ ، وانظر البيهقي في معجم الأدباء ٢/٢٢٨ .

(٢) ديوانه ٢٨٢ ، البيان ١/٢٢٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ ، وفي حساسة البحري ٣٦٤ ، أورد بيتين قريبين من هذين ، والثاني قبل الأول وهما :

لأنك تكثرن حشو الكلام
والصمت أحسن بالمتى

م إذا اهتديت إلى عيونه
من منطلق في غير حينه

وتسميهما لصالح بن عبد القاسم .

تكلّم ربيعة الرأي يوماً فأكثر الكلام ، فأعجبته نفسه ، وإلى جنبه أعرابي فقال له : يا أعرابي ! ما تمدّون البلاغة فقال : قلة الكلام . قال : ما تمدون العي فيكم ؟ فقال : ما كنت فيه منذ اليوم .

وأُشِدُّ الخشني^(١) — رحمه الله — :

وما العيُّ إلاَّ منطِقٌ مُتَّبَعٌ سِوَا عَليِّهِ حَقُّ أَمْرٍ وَبَاطِلُهُ^(٢)

قالت العرب : لا يجترى على الكلام إلا فائق أو مائق .

قال النمر بن تُوَيْبٍ^(٣) :

أَعِدُّنِي رَبِّ مِنْ حَضْرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجَهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَاعْصِمْنِي فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَاً^(٤)

وقال آخر :

عَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمَّتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٥)

(١) الخشني : محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرظي ، رحل إلى المشرق ومكث فيه طويلاً متجولاً في طلب الحديث ، وكان ثقة كبير الشأن ، انظر بقية الوعاة ٦٧ ، جذوة المقتبس ٦٣ .

(٢) البيت لعبد الله بن بكر المزني ، لباب الآداب ٢٧٥ .

(٣) شاعر محضرم ، يسمى السكيس لحسن شعره ، انظر ترجمته في الشعر الشعراء ١٠٥ ، الباب ٣/٤٣٨

(٤) عيون الأخبار ١/١٠٩ ، البيان ١/١٨ .

(٥) نسب البيتاني في البيان ٢٢٦/٥ ، مجموعة المعاني ١٦٩ إلى حذيفة الخطمي جديري ، وفي العقد الفريد ٢/٢٦٦ نال الحسن بن جعفر ونسباً في حماسة البحري ٣٦٧ إلى مالك بن سامة العنسي ، وورد في عيون الأخبار ١/١٧٥ ، معجم الأديب ١/٩٠ بغير نسبة ، وفيها لإزراء العي بدلا من إدلال .

قال بعض الحكماء : ليس شيء [إلا^(١)] إذا نثيته قَصُرَ إلا الكلام ، فإنك كلما نثيته طال .

قالوا : أعياء الميِّ بلاغة بمعنى ، وأقبحُ الأحنِ لحنٌ يُعراب .

كان مالك بن أنس يميم كثرة الكلام ويذمه ويقول : كثرة الكلام لا توجد إلا في النساء والضعفاء .

ذمَّ أعرابيُّ رجلاً ، فقال : هو من يتأى المجالس ، أعياء ما يكون عند جلسائه ، أبلغُ ما يكون عند نفسه .

بابٌ في اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب
وذم الغريب في الخطاب

كتب عمرُ إلى أبا موسى : أمّا بعد ، فتفقهروا في السنّة ، وتعلّموا العربية
وروى عنه رحمه الله أنه قال : رحم الله امرأً أصلح من لسانه .
وقال عليّ بنُ محمد المَلَوِيّ (١) :

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فَاَنْظُرْ بِمَاذَا تُعْنُونَ
وَلَا تَعُدُّ إِصْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يُخْبِرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيَبَيِّنُ
وَيُعْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ فَيَسْتَقْطُبُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يَلْحَنُ

كان عبد الله بن عمر يضربُ ولده على اللحن .

قال شعبة : مثل الذي يتعلّم الحديث ، ولا يتعلم النحو مثل البرنسي لا رأس له .
قال المأمون لأحد أولاده — وقد سمع منه لحنًا — : ما على أحدكم أن يتعلم العربية
فيقيم بها أودّه ، ويزين بها مشهده ، ويفلّ بها حجيج خصمه بمسكتات حُكمه ،
ويملك مجلسَ سلطانه بظاهر بيانه . أَوْ يَسُرُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ لِسَانُهُ كَلِسَانِ عَبْدِهِ
أَوْ أُمَّتِهِ ، فَلَا يَزَالُ الدَّهْرُ أُسِيرَ كَلِمَتِهِ ، قَاتِلَ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :

(١) كذا وردت نسبه في الأصل . والصحيح أنه علي بن محمد بن المرتضى نسبه إلى قرية عرما من نواحي
النهروان من أعمال بغداد . وقد اشتهر بابن بسام والبسامي ، تولى سنة ٣٠٢ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٢/٦٣ ،
اللباب ١/١٢١ ، وانظر الأبيات في معجم الأدباء ١٥١/١٥ ، معجم الشعراء ٢٩٠ ، زهر الآداب ٣/١٣٨
وفيها : واند عقله فكان رائد .

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الْفُؤَادِ لِسَانَهُ
وَكَاثِنِ تَرَى مِنْ صَاحِبِ لِكَ مُعْجَبِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ
وَقَالَ الْأَمَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ :

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدِّينِيِّ
لَا يَكُونُ الْأَلْدُ ذُو الْمَقُولِ الْمُرِّ
أَيُّ شَيْءٍ مِنْ اللَّبَّاسِ عَلَى ذِي السَّرِّ
يَنْظِمُ الْحِجَّةَ السَّنِيَّةَ فِي السُّلْدِ
وَتَرَى اللَّحْنَ بِالْحَسْبِ أَخِي الْهَيْ
فَاطْلُبِ النَّحْوَ الْمَحْجَاجَ وَاللُّشَّةَ
وَإِخْطَابِ الْبَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْأُ
وَارْفُضِ الْقَوْلَ مِنْ طَعَامِ جَفَوَاعِدِ
قِيَمَةُ الْمَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ الْمَرْءُ
قَضَاءً مِنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ

قال ثعلب : سمعت محمد بن سلام يقول : ما أحدث الناس مروءة أفضل من طلب النحو .

قال عبد الله بن المبارك ، اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه .

(١) ورد هذا البيت في حماسة البحرى ٣٦٧ وحده برواية أخرى هي :

ولن لسان المرء مفتاح قلبه
لذا هو أبدى ما يمين من الفم

وقد نسبها لصالح بن عبد القدوس ، هذا وانظر التعليق السابق على البيتين بعده في ص ٥٦ .

(٢) الألد : الحصم الذي لا يحميد عن خصومته أورأيه ، والهدى : العروس . والطفام : الأوغاد أو الخلق

وانظر الأبيات في جامع بيان العلم ١٦٨/٢ .

وقال عبد الملك : اللحنُ هَجْنَةٌ بالشريف .

قال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً ، ويصغر في عينك من كان فيها كبيراً فتعلم العربية ، فإنها تجريك^(١) وتدنيك من السلطان .

قال الشاعر :

النحوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ وَالرَّءُ تَشْكُرُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَالنَّحْوُ مِثْلُ الْمَلِجِ إِنْ أَلْقَيْتَهُ فِي كُلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعَامِكَ يَحْسُنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلَهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسِنِ^(٢)

رأى أبو الأسود الدؤلي أعدالاً^(٣) للتجار مكتوباً عليها : لأبو فلان ١١ فقال :

سبحان الله ! يلحنون ويربحون .

قال رجل للحسن البصري : يا أبو سعيد ! فقال : كسبُ الدوانيق شغلك أن

تقول : يا أبا سعيد .

مر خالد بن صفوان بقوم من الموالي يتكلمون في العربية ، فقال : لئن تكلمتم فيها لأنتم أول من أفسدها .

وقالوا : العربية تزيد في المروعة .

وقالوا : من أحب أن يجد في نفسه الكثير فليتعلم النحو .

(١) في عيون الأخبار ٢/ ١٥٧ : تجريك على المنطق ، وتدنيك ... الخ ، وانظر العبارة أيضاً في المصون لأبي أحمد العسكري ١٤٥ .

(٢) نسبت الأبيات في الكامل ١/ ٢٤٨ ، زهر الآداب ٣/ ١٣٨ إلى إسحاق بن خلف البهراي ، وورد البيت الثالث في جامع بيان العام ١/ ٥٨ منسوبا إلى أبي حاطب من غير تعيين ، وانظرها في عيون الأخبار ١/ ١٧٥ ، معجم الأدياء : ١/ ٢٦٧ ، والبيتين الأول والثالث في التمثيل والمحاضرة ١٦١ من غير نسبة .

(٣) الدليل : نصف حل الدابة .

وقال أبو شمر^(١) : قارىء النحو إذا دخله الكبر استفاد السخط من الله ، والمقت
سمن الناس .

وقال الخليل يوماً : لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه ، إلا بما لا يحتاج
إليه ، فقد صار إذا ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه .

وروى عنه في هذا الخبر ، أنه قال : من لم يصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج
إليه ، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يحتاج إليه .

وروى أن هذه القصة ، عرضت للخليل مع أبي الهذيل^(٢) وروى أنها عرضت
لأبي عبيدة مع النظم^(٣) ، والذي تقدم أصبح إن شاء الله تعالى .

وقال المأمون^(٤) :

سَأَتْرُكُ النَّحْوَ لِأَصْحَابِهِ وَأَصْرِفُ الْهِمَّةَ فِي الصَّيْدِ
إِنَّ ذَوِي النَّحْوِ لَهُمْ هِمَّةٌ مَوْسُومَةٌ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ
يَضْرِبُ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا وَمَا يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ زَيْدٍ

(١) الضحى البصرى ، من ثقات رجال الحديث ، ترجمته في تهذيب التهذيب ١٢/١٢٦ .
(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، أبو الهذيل الغلاب ، من أئمة المعتزلة ، ترجمته في
تاريخ بغداد ٣/٢٦٦ ، وفيات الأعيان ١/٤٨٠ .
(٣) إبراهيم بن سيار بن هاني البصرى ، أبو إسحاق النظم من أئمة المعتزلة ، ترجمته في تاريخ بغداد
٦/٩٧ ، الباب ٣/٢٣٠ .
(٤) عبد السلام بن الحسين المأمون ، شاعر رقيق يتصل نسبه بالمأمون العباسى ، توفي سنة ٢٨٣ هـ ، انظر
الموات الوفيات ١/٢٧٣ ، قيمة الدهر ٤/١٦٩ ، وانظر الابيات في المقدم الفريد ٢/٢٨٧ مذكوبة إلى بعض
الوراقين ، وقد ورد فيه البيت الأول :

رأيت يا حاد في الصيد آراباً تزحف بالأهدى

كتب غسان بن ربيع - المعروف بدمآذ^(١) - إلى أبي عثمان النحوي المازني :

تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلَّيْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي [بِهِ] وَالْبَدَنُ
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ^(٢) ذَا فَطْنٍ
خَلَا أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ الْعَفَا : لِلِقَاءِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَلِلْوَاوِ بَابٌ إِذَا جِئْتَهُ^(٣) مِنْ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لَعِنَ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَا : لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِيَنِ
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا عَلَى النَّصْبِ ؟ قَالُوا : بِإِضْمَارِ أَنْ

ورويانا عن أبي حاتم السجستاني رحمه الله قيل : إنها له . والله أعلم .

وقال آخر^(٤) :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى مَرَّ فِي الْمُنْطِقِ مَرًّا وَاتَّسَعُ
وَإِتْقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعٍ
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوَ الْفَتَى هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا وَانْقَمَعَ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ مَا فَعَلَ الْإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعَ

(١) م : حسان ، وقد ورد اسمه هكذا في بقية الأصول كما ورد في عيون الأخبار ، والصحيح أنه يدعى ربيع بن سلمة أبو غسان ، انظر أمالي القالي ١٨٦/٢ ، العقد الفريد ٤٨٩/٢ .
(٢) و ١ : بظاهره .
(٣) في ب : إلى جنبه ، وكذلك في عيون الأخبار والعقد الفريد .
(٤) قائلها الكسائي ، انظر ترجمته والآيات في معجم الأدباء ١٩١/١٣ .

يَخْفِضُ الصَّوْتِ إِذَا يَقْرُوهُ
وَالَّذِي يَقْرُوهُ عِلْمًا بِهِ
نَظِيرًا فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ
أَهْمًا فِيهِ سَوَاءً عِنْدَكُمْ
وَكَذَلِكَ الْجَهْلُ وَالْعِلْمُ فَخُذْ
وَهُوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيمَا أُتْبِعَ
إِنْ عَرَاهُ الشَّكُّ فِي الْحَرْفِ رَجَعَ
فَإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقُّ صَدَعَ
لَيْسَتْ السَّنَةُ فِينَا كَالْبِدَعِ
مِنْهُ مَا شِئْتَ وَمَا شِئْتَ فَدَعِ

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان ، قد نظر في النحو ، فلما أحدث
الناس التصريف لم يحسنه ، وهجا أصحابه فقال :

قَدْ كَانَ أَخَذَهُمْ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي
لَمَّا سَمِعْتُ كَلَامًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ
تَرَكْتُ نَحْوَهُمْ وَاللَّهُ يَعْصِمَنِي
وَقَالَ عَمَّارُ الْكَلْبِيِّ :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بَكَرًا يَكُونُ لَهَا
قَالُوا لَحْنَتْ فَهَذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَأَجْتَهَدُوا
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَابُهُمْ
قِيَاسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
مَعْنَى يُخَالِفُ مَا تَأَسُّوْا وَمَا صَنَعُوا
وَذَلِكَ نَصَبٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالِكَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ بِالْإِيجَازِ تَنْقَطِعُ

(١) البيتان الأول والثاني في معجم الأدباء ١٣/١٩٣، ١٩٤ وقد ورد الشطر الأول من الثاني فيه : بعمل
فعل لاطاب من كلم .

مَا كَلَّ قَوْلِي مَشْرُوحَ لَكُمْ فَخَذُوا
 حَتَّى أَعُودَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَدُوا
 فَتَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفْوَهُ بِهِ
 كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْظِقِهِمْ
 وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا أَشْيَاءَ مُعَايِنَةً
 إِنِّي رُيِّبْتُ بِأَرْضٍ لَا يُشَبُّ بِهَا
 وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَاللِّئَازِيرُ تَرَبَّتَهَا
 وَقَالَ أَبُو هَفَانَ (٢) :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْطَى
 وَأَنْ تَصْبِحَ ذَا مَالٍ
 وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَشْقَى
 فَكُنْ ذَا نَسَبٍ ضَخْمٍ
 وَأَنْ تَلْبَسَ قَوْهِيًّا (١)
 فَكُنْ عَلَجًا نَبِيْطِيًّا (٥)
 وَأَنْ تُصْبِحَ مَقْلِيًّا
 وَكُنْ مَعَ ذَلِكَ نَحْوِيًّا

(١) شرح : سواء .

(٢) انظر الأبيات في «مجم الأدباء» ١١ / ٢٢٨ ، وأوردها الأخفش رواية عن أحد الأعراب .

(٣) أبو هفان عبد الله بن أحمد بن -رب المهزبي ، كان شاعراً عالماً راوية من أهل البصرة ، وسكن بغداد . قال السيوطي في بنية الرعاة ، كان مقرراً ضيق الحال ، يلبس مالا يكاد يستر جسده . توفي سنة ٢٥٧ هـ . انظر اللباب . ١٩٤ / ٣ ، تاريخ بغداد ٩ / ٣٧٠ .

(٤) القومى : الثوب الأبيض .

(٥) العاج : الرجل من كفار العجم ، والنبيط والنبط والأباط : جبل من القرس ، كانوا ينزلون بالبطائح بن الحرايين كانوا يستنطقون للياه الجوفية لاستعمالها في الزراعة .

بابُ اِخْتِلافِ عِبارَتِهِمُ عَنِ البِلاغةِ

قال المفضل الضبي لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في غير عجز ، والإطناب في غير خطل .

وقيل للأحنف : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في استحكام الحجج ، والوقوفُ عند ما يُكتفى به .

وقال خالد بن صفوان لرجل كثير كلامه : إنَّ البلاغة ليست بكثرة الكلام ، ولا بجملة اللسان ، ولا كثرة الهديان . ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ فقال : لمحة دالة .

وقيل لبشر بن مالك : ما البلاغة ؟ قال : التقربُ من المعنى ، والتباعدُ عن حشو الكلام ، ودلالةٌ بقليل على كثير .

سئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما البلاغة ؟ فقال : القصدُ إلى عين الحجة بتقليل اللفظ .

وقال غيره : البلاغة معرفة الفصل من الوصل ، وفرق ما بين المُشترك والمفرد وفصل ما بين المقيد والمطلق ، وما يحتمل التأويل ويستغنى عن الدليل .

وقيل لبعض اليونانية : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل لرجل من الروم : ما البلاغة ؟ قال : حسنُ الاقتصاد عند البديهة ، والفرارةُ يوم الإطالة .

وقيل لرجل : ما البلاغة ؟ فقال : حسنُ الإشارة ، وإيضاحُ الدلالة ، والبصْرُ
بالحجة ، واتهازُ مواضع الفرصة .

وسأل معاوية بن أبي سفيان صحاراً العبدى ؟ ما البلاغة عندكم ؟ ، قال : الإيجاز .
قال : ما الإيجاز ؟ قال : أن تقول فلا تخطى ، وتسرع فلا تبطى . فقال معاوية .
وكذلك تقول ؟ قال : أقلنى يا أمير المؤمنين . أنت لا تخطى ولا تبطى .

وقد روى مثل هذا المعنى للحجاج مع ابن القُبَيْرَى . فإله أعلم .

وقالوا : أبلغُ الناس أحسنهم بديهة ، وأمثلهم لفظاً .

قال خالد بن صفوان : خيرُ الكلام ما ظُرِفَتْ معانيه ، وشُرِفَتْ مَبَانِيه ، والتدَّتْ

بِه أذَان سامعيه .

بَابُ مَنْ خَطَبَ فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ (١)

قال الحرث بن جابر ، وكان أحد حكماء العرب — فيما أوصى به ابنه : وإياك
والخطب فإنها مشوارٌ كثير العثار .

صعد عثمان بن عفان رضى الله عنه على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه ،
فقال : أما بعد ، فإن أول كُفْلٍ مركبٍ صعب ، وما كنا خطباء ، وسيعلم الله ، وإن
امراً ليس بينه وبين آدم أب (٢) حتى لموعوظ .

ويروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه . فقال : إن
أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالا ، وأتم إلى إمام فقال أحوج منكم إلى
إمام قوال .

وروى في هذا الخبر : أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل .

وروى أن عثمان لما بويح ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه ، فقال : وليناكم
وعدّنا فيكم ، وعدّنا عليكم خيراً من خطبتنا فيكم ، فإِنْ أَعِشْ يَأْتِكُمُ الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِهِ .

وروى أن عبد الرحمن بن جابر بن الوليد ، خطب الناس على منبر حمص فأرتج
عليه ، فقال : يا أهل حمص ! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب
مصقع (٣) ، ثم نزل .

وأرتج يوماً على عبد الملك بن مروان ، فقال : نحن إلى الفضل في الرأى ، أحوج
منا إلى الفضل في المنطق .

(١) أى استغلق عليه الكلام . (٢) ساقط من أ ، ب .
(٣) الخطيب المصقع : البليغ ، أو العادل الصوت ، أو الذى لا يرتج عليه ولا يلامه .

وأرتج على معن بن زائدة ، وهو على المنبر ، فضرب يده ثم قال : فتي حرب
لافتي منابر .

صعد عبدالله بن عامر منبر البصرة ، فخصر ، فشق ذلك عليه ، فقال له زياد :
أيها الأمير ! إنك إن أقتَ عامة من ترى أصابهم أكثر مما أصابك .
صعد على بن أرطاة المنبر ، فقال : الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم .

أرتج على خالد بن عبدالله القسري على منبر الكوفة ، فقال : إن هذا الكلام يجيء
أحياناً ويعزبُ أحياناً ، ويسهل عند مجيئه ، ويعسر عند عزوبه طلبه ، وربما مطلب^(١)
فأبى ، وكوبِ رفصى^(٢) ، فالتأني لمجيئه أيسر من التعاطي لأبيه وهو يخارج^(٣) من الجريء
جنانه ، وينقطع من الدرب لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع^(٤) ، ولا يكسره
النطق إذا امتنع ، وسأعود فأقول إن شاء الله .

خطب رجل من الأزد أقامه زياد للخطبة على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر ، وقال
الحمد لله ، أرتج عليه . فقال : قد والله هممتُ ألا أحضر اليوم ، فقالت لي امرأتى :
نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها ، فأطعتها ، فوقفتُ هذا الموقف ، فاشهدوا
أنها طالق . فقالوا له : انزل قبحك الله . وأنزل إنزالاً عنيفاً . وقد قيل : إن هذه
القصة لوازع البشكري ، وفي ذلك قال الشاعر :

وما ضرَّني إلا أقومَ مخطبةً وما رغبتني في مثل ما قالَ وازع^(٥)

(١) في ١ : طلبه ، وما أميتهاه موافق لما في عيون الأخبار ٢٥٧/١ .
(٢) في العيون : فمسا ، ومعناها : عسر وشق .
(٣) في عيون الأخبار ٢٥٧/١ : وقد يختلط .
(٤) وفيها أيضاً بدل هذا : فلا يبطره ذلك ولا يكسره .
(٥) البيان والتبيين ٢٨٠/٢ ، وفيه : وما رغبتني في ذا الذي قاله وازع .

وذكر القهري عن أبيه قال : قام القلاخ بن حزن^(١) يوم عيد خطيباً ، فقال : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أشهر . فقيل له : إنما خلقها في ستة أيام فقال : أقبلوني ، فوالله لقد ظننتُ أتى أقلتُ ، وكنت أريدُ أن أقول في ستة سنين .

صعد رَوْحُ بنُ حاتم المنبر ، فلما رآهم قد فتحوا أسماعهم وشققوا أبصارهم ، قال : نكسوا رؤوسكم ، وغضّوا أبصاركم ، فإن أول كلِّ مركب صعب ، وإذا يسر الله فتح قفل يُسر .

خطب مُصعبُ بن حَيَّان خطبة نكاحٍ مُخصر ، فقال : لقنوا موتاكم شهادة ألا إله إلا الله ، فقالت أمّ الجارية : عجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟

قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر فتكلم ، فقام . فلما صعد المنبر حُصر ، فقال : الحمد لله الذي يرزق هؤلاء . وبقي ساكناً فأنزلوه وأصعدوا آخر ، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناس بوجهه ، وقعت عينه على رجلٍ أصلع وحُصر ، فقال : اللهم العن هذه الصلعة .

صعد عتابُ بنُ ورقاء منبر أصحابان فحصر ، فقال : والله لا أجمع عليكم عيًّا وبمخلاً ، ادخلوا سوقَ الغنم فن أخذ شاة فهي له وثمانها على . وقد روى أن هذا إنما عرض لعبد الله بن حاصر على منبر البصرة ، وأن عتاب بن ورقاء هو الذي قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه ، فجعل يقول : أمّا بعد أمّا بعد ... ، وقبالة وجهه شيخ أصلع

(١) في الأصل الفلاح ، وما أبتناه هو الصحيح فهو القلاخ بن حزن السدي أبو خراش ، من شعراء بني أمية انظر مشبه النسبة للذهبي ١٣/٢ .

فقال : أمّا بعدُ يا أصلع ، فوالله ما غلّطني غيرك ، علىّ به ، فأتى به فضربه أسواطًا .
 وصعد آخر المنبر فقال : إن الله لا يرضى لعباده المعاصي ، وقد أهلك أمة من
 الأمم بعقرم ناقة لا تساوي مائتين وخمسين درهما ، فسَمِيَ مَقْوَمُ الناقَةِ .
 وهذا هو عبد الله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة .
 ذكر عمرو بن شبة ، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة ، قال : ثم عزّل
 ابنُ الزبير عبيدة بنَ الزبير ، واستعمل عبدَ الله بنَ أبي ثورٍ حليفَ بني عبد مناف ،
 فلَقَّبَهُ أهلُ المدينة مَقْوَمَ ناقةِ الله ، وغلتِ الأسمارُ فتشاءموا به ، فعزّله ابنُ الزبير .
 صعد أعرابيُّ المنبر فقال : أقولُ لكم ما قال العبدُ الصّالح : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى
 وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (١) ، فقالوا له : هذا فرعونُ . فقال : قد والله
 أحسنَ القول .

قال بزرجمهر : هَيْبَةُ الزَّالِ تَوْرَثُ حَصْرًا ، وَهَيْبَةُ الْعَاقِبَةِ تَوْرَثُ جُبْنًا .

بابُ حَمْدِ الصَّمْتِ وَذَمِّ الْمُنْطِقِ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » .
ورُوينا عن عُقْبَةَ بْنِ حَامِرٍ ، أنه قال : يا رسولَ الله ! فيم النجاة ؟ فقال :
« يا عقبة ! أمسك عليك لسانك ، ولْيَسْمَعْكَ بَيْتُكَ ، وَاْبِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ » .
وروى أنه من كلام لقمان والله أعلم .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْلٌ لِمَنْ يَحْدُثُ النَّاسَ فِيكَذِبٍ
لِيُضْحَكَهُمْ ، وَيْلٌ لَهُ ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ » .

وعن عيسى عليه السلام ، أنه قال : لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ
فَتَفْتِنُوا قُلُوبَكُمْ .

وَبَلَّغْنَا أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقِيَ لِقْمَانَ بَعْدَ مَا كَبُرَتْ سُنُّهُ ، فَقَالَ : مَا بَقِيَ مِنْ
عَقْلِكَ ؟ فَقَالَ : لَا أَنْطِقُ فِيمَا لَا يَعْنِينِي ، وَلَا أَتُكَلِّفُ مَا كُفِّيَتْهُ .

وقال ابن مسعود : أَنْذَرَكُمْ فَضُولَ الْكَلَامِ .

وعن ابن مسعود وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، قَالَا : أَكْثَرُ النَّاسِ وَقُوفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ .

وعن عطاء : فَضُولُ الْكَلَامِ مَا عَدَا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَالْقَوْلَ بِالسَّنَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ ،
وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَنْ تَنْطُقَ فِي أَمْرٍ لَا بَدَلَ لَكَ مِنْهُ فِي مَعِيشَتِكَ ،

أَمَا يَسْتَحْيِي أَحَدُكُمْ أَنْ لَوْ نُشِرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَاهَا صَدْرُ نَهَارِهِ أَنْ يَرَى أَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾^(١) وَ ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدَةً ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(٢) .

وعنه عليه السلام أنه قال : « البرُّ ثلاثة : المنطقُ والنظرُ والصمتُ ، فمن كان منطوقه في غير ذكر فقد لغأ ، ومن كان نظره في غير اعتبارٍ فقد سها ، ومن كان صمته في غير تفكير فقد لها » .

قال بعضُ الشعراء :

لَسْتُ بِمَنْ لَيْسَ يَذَرِي مَا هَوَانُ مِنْ كِرَامَةٍ
 إِنَّ لِلنُّصْحِ وَاللِّغْثِ عَلَى الْعَيْنِ عِلْمَةٌ
 لَيْسَ يَخْفَى الْحُبُّ وَالْبُتَّةُ ضُؤٌّ وَإِنْ رُمْتَ اكْتِسَامَةٌ
 لَيْسَ فِي أَخْذِكَ بِالْفَضْلِ وَبِالْحِلْمِ نَدَامَةٌ
 وَجَوَابِ الْجَاهِلِ الصَّمْتُ وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ

وعن الأصمعيّ قال ، قال أعرابيّ : السكوتُ صيانةٌ للسانٍ ومسترٌ للعيّ .

وقال أعرابيّ في رجلٍ رماه بالعيّ : رأيتُ عثراتِ النَّاسِ فِي أَرْجُلِهِمْ ، وَعَثْرَةَ فُلَانٍ بَيْنَ فُكَيْهِ .

(١) سورة الانعام الآيات ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة ق : الآيات ١٧ ، ١٨ .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(١) » .
وروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إنَّ اللهُ يَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ » .

وذكر الأصبهني قال ، قال أعرابيٌّ : الكَلِمَةُ أُسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا كَانَ أُسِيرًا فِي وَثَاقِهَا .

قيل لبكر بن عبد الله المزني : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إن لسانى سبعٌ ، إن تركته أكلنى .

وأنشد الخشني :

لِسَانُ الْفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ فَإِنَّ لَمْ يَزَعْ مِنْ غَرْبِهِ فَهَوَّ آكِلُهُ ^(٢)
وقال الراجز :

الْقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا تَمَّ كَالسَّهْمِ لَا يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمًا

وقال آخر :

فَدَاوَيْتُهُ بِالْحَلِيمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى مَسْمُومِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ ^(٣)
قال هبيرة بن أبي وهب :

(١) راجع أول الحديث في ص ٥٤ .

(٢) البيت لبكر بن عبد الله المزني ، كما في باب الآداب ٢٧٥ ، وفيه : شداته بدل مراقب ، والشذاه الجراء والحدة ، وزع : يكف . والترب : الحدة والسفه .

(٣) البيان ١٩٧/٣ بدير نسبة ، وقد نسبت في حاشية البعزى ٣٨٢ لمن بن أوس الزنى ، ووردت الشطرة الأولى فيه : فبادرت منه النأى والمرء قادر . ويقال فلان يرأب النأى أى يصلح الفصاد موافق له في العقد التريبد ٢٧٦/٢ .

وإنَّ مَقَالَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالْتَبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهُمَا^(١)
قال أبو العتاهية :

مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا مَنْ قَالَ بِالْخَيْرِ غَنِمَ^(٢)

اجتمع أربعة حكماء ، فقال أحدهم : أنا على ردِّ ما لم أقل ، أقدر مني على ردِّ ما قلت ، وقال الآخر : لأن أندم على ما لم أقل ، أحبُّ إليَّ من أن أندم على ما قلت ، وقال الثالث : إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ، فإذا لم أتكلم بها ملكتها ، وقال الرابع : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ، إن ذكرت عنه ضرته ؛ وإن لم تذكر عنه لم تنفعه .

قال طرفة بن العبد :

وإنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حِصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

عَلَيْكَ الشُّكُوتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْقَوْلِ بُدٌّ فَقُلْ أَحْسَنَهُ
فَرَمَّ بَمَا فَارَقْتَ بِالذِّي تَقُولُ أَمَا كِنَهَا الْأَلْسِنَةُ

وقال آخر :

أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا تَقُولَنَّ قَوْلًا لَسْتَ تَدْرِي مَاذَا يَجِيئُكَ مِنْهُ
وَاخْزِنْ الْقَوْلَ؛ إِنَّ فِي الصَّمْتِ حِكْمًا وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلًا فَرِزْهُ

(١) البيان ١٩٧/٣ ، الأمل ٧٢/١ ، حاسة البحري ٣٦٨ .

(٢) ديوانه ٢٤٣ ، جامع بيان العلم ١٣٩/١ .

(٣) ديوانه ٧٦ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، مجموعة المأني ٧٠ . حاسة ابن تمام ١٧٤/٢ ، والحصاة : إرأى والعقل .

وَإِذَا النَّاسُ أَكْثَرُوا فِي حَدِيثِ لَيْسَ مِمَّا يَزِيدُهُمْ قَالَهُ عَنْهُ (١)
وَقَالَ أُحَيْحَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ (٢) :

الصَّمْتُ أَكْرَمُ بِالْفَقَى مَا لَمْ يَكُنْ عَيْيُ يَشِينُهُ
وَالْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبُّ يُعِينُهُ

قال ابن مقسم ، سمعت جحظة يقول : سمعت المأمون يقول : السخافة كثرة الكلام ، وصحبة الأندال .

أنشد ابن المبارك (٣) أخاه له كان يصحبه :

وَاعْتَنِمِ رَكَعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحًا
وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْمَنْطِقِ الْبَاطِلِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا
إِنَّ بَعْضَ الشُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْقِ وَإِنْ كُنْتَ بِالْكَلامِ فَصِيحًا

وقال أبو العتاهية (٤) :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ النَّخْرِ ذُخْرًا تُنِيلُهُ وَشَرُّ كَلَامِ الْقَائِلِينَ قُضُولُهُ
عَلَيْكَ عَمَّا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَرَى وَبِالصَّمْتِ إِلَّا عَنْ جَمِيلِ تَقْوَلُهُ

(١) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، المتوفى سنة ١٢٩ هـ ، انظر البيان والتبيين ١/٢٧٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ .

(٢) ابن الحريش الأوسى ، شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، مات قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة . انظر الأغاني ١٣/١١٥ ، خزنة الأدب ٢/٢٣ ، وانظر البيتين في البيان ١/٢٠ ، وفيه : أحسن بالفق ، لباب الآداب ٢٧٧ وفيه : أجمل ...

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح المنظلي ، شيخ الإسلام ، جمع المعرفة بالحديث والفقه والعربية وأيام الناس تولى سنة ١٨١ هـ . انظر شذرات الذهب ١/٢٩٥ ، تاريخ بغداد ١٠/١٥٢ .

(٤) ديوانه ٢٣١ ، ورواية النضر الأول له : ألا إن أبقى النضر خير تنيله .

وله :

وَحَسْبُكَ مِمَّنْ إِنْ نَوَى الْخَيْرَ قَالَهُ وَإِنْ قَالَ خَيْرًا لَمْ يُكَذِّبُهُ فِعْلُهُ (١)

كان يقال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وجزء في الهرب من الناس .

كان يقال : من طَوَّلَ صَمْتَهُ ، اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ ، وَمِنَ الْوَحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرِمُونَ اتِّقَاءَ أَلْسِنَتِهِمْ » .

وقال الشاعر :

صَمْتُ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَبْقِ لِلصَّلَاحِ مَوْضِعًا (٢)

وقال منصور الفقيه :

خَرِسٌ إِذَا سَأَلُوا وَإِنْ قَالُوا : عَيٌّْ أَوْ جَبَانٌ
فَالعِيُّ لَيْسَ بِقَاتِلٍ وَلِرَبِّمَا قَتَلَ اللِّسَانَ

كان يقال : اخزن لسانك كما تخزن مالك .

قال امرؤ القيس (٣) :

إِذَا المرءُ لَمْ يَخْزِنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخِزَانٍ

(١) ديوانه ٢٣٦ .

(٢) وفيات الاعيان ١٣٣/٥ ، وفيه : وأغضى على ...

(٣) ديوانه ١١٤ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، فصل المقال ٢١ ، السكامل ١٥/٢ ، حاسة البحري ٢٢٤ .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ صَمْتِكَ أَلْفَ عَامٍ لِأَصْلَحُ مِنْ كَلَامِكَ بِالْفُضُولِ
فَأَمْسِكْ أَوْ تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا يَبِينُ صَوَابَهُ لِدَوَى الْمُقُولِ

روينا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال :
ها إن ذا^(١) أوردنى الموارد .

وقال ابن مسعود رحمه الله : إن كان الشُّومُ فى اللِّسانِ ، ووالله ما على وجه الأرض
شئٌ أحقُّ بطولِ سَجْنِ من اللِّسانِ .

أخذه الشاعر^(٢) فقال :

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ أَحَقُّ بِطَوْلِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانِ

كان يقال : اللِّسانُ سَبْعُ عَقُورِ .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَأَسَهُ الْجَهْلُ كَيْثًا مُغِيرًا^(٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ
إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» .

قال الله عز وجل : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(٤) ﴾ ، وقال :

(١) ب : هذا .

(٢) هو الحسين بن محمد النجيبى القرطبى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٥٩ .

(٣) عيون الأخبار ١/٣٣٠ ، ٣/١٧٨ ، فصل المقال ٢٠ .

(٤) سورة ق آية : ١٨ .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .
 ورؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله عند لسان كل قائل ،
 فلينظر كل امرئ ما يقول » .

قال عمار الكلابي :

وَقُلِ الْحَقُّ وَإِلَّا فَاصْمِنَ إِنَّهُ مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ سَلِمَ
 إِنَّ طَوْلَ الصَّمْتِ زَيْنٌ لِلْفَتَى مِنْ مَقَالٍ فِيهِ عَيٌّْ وَبِكُمْ
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءاً أمسك فُضْلَ لِسَانِهِ ، وبذل
 فضل ماله ، وعلم أن كَلَاهَهُ مَحْصِيٌّ عَلَيْهِ » .

قال الأصمعي : من كثر كلامه كثرت خطاياه .

وقال أبو الدرداء : من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه .

وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا ، لأقلنا الكلام .

قال الشاعر :

فِي نَبْوَةِ الدَّهْرِ لِي عُذْرٌ فَلَا تَلْمِ
 حَصْرٌ (٢) يُقَصِّرُ بِي عَنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ
 مَنْ أَعْدَدَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَقْصُرْ
 وَمَا تُقَصِّرُ عَنْ نَيْلِ لَهَا هِمَمِي
 حَبَسُ الْفَتَى نُطْقَهُ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ
 إِنَّ عَابِي عَائِبٍ بِالصَّمْتِ قَاتٌ لَهُ

وقال معمر بن حمار البارق :

(١) سورة الانطار ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢) الحصر بالتحريك : العى فى المنطق .

الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ (١)
وقال آخر :

وَالْقَوْلُ يُنْفَذُ مَالًا تَنْفَذُ الْإِبْرَمُ (٢)

لما خرج يونسُ عليه السلام من بطن الحوت ، أطل الصمت ، فقيل له :
ألا تتكلم ؟ فقال : الكلامُ صيرني في بطن الحوت .
قال عمرُ بن عبد العزيز : المحظوظُ التقيُّ يلجم لسانه ، أخذَه الحسن بن
هانيء فقال :

إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ أَلَّ جَمَّ فَأَهُ بِلِجَامٍ .
مُتَّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ (٣)

سئل عمرُ بن عبد العزيز — رحمه الله — عن قتلةِ عثمان ، فقال : تلك دماء كفت
الله عنها يدي ، فأنا أكره أن أغمسَ فيها لساني .
وقال يزيدُ بن أبي خُبَيْبٍ : المتكلمُ ينتظرُ اللعنة ، والمتمصِّتُ ينتظرُ الرحمة .
ويقال : شر ما طبع الله عليه المرء ، خلق دَينِي ، ولسان بَدِي .
وقالوا : البُذَاءُ مِنَ النِّفَاقِ .

وقال ابن القاسم : سمعتُ مالكا يقول : لا خير في كثرة الكلام ، واعتبر
ذلك بالنساء والصبيان . إنما هم أبدأ يتكلمون ، لا يصمتون .

(١) الحيوان ٦١/٣ ، ونسب في معجم الشعراء ٤١١ ، الأغاني ١٠/١٦٧ إلى التوكل المثنى .

(٢) نصف بيت الأخطل ، وقد سبق في ص ٥٩ .

(٣) حيوانه ١٩٤ ، البيان ٧٩/٢ ، ١٩٩/٣ ، لباب الآداب ٣٧٤ ، مع تأخير الشطر الأول وتقديم الثاني

فنها جمعا ، وانظر وفيات الأعيان ١٢٩/٢ ، ١٣٠٠ ، مجموعة المعاني ٧٠ .

وقال الحسنُ: لسانُ العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلمَ ففكر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكوت ، وقلبُ الجاهل من وراء لسانه .

قال نصر بن أحمد (١) :

لِسَانُ الْفَقِي حَتْفُ الْفَقِي حِينَ يَجْهَلُ وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فِكْرِهِ مَقْتَلُ
وَكَمْ فَاتِحَ أَبْوَابِ شَرِّ لِنَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَوْلُهُ عَلَى فِيهِ مُقْتَلُ
إِذَا مَا لِسَانُ الرَّءِ أَكْثَرَ هَذْرَهُ فَذَلِكَ لِسَانُ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسَلَّمًا فَدَبَّرْهُ وَمَيِّزْهُ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ

قال صالح بن جناح (٢) :

أَقْلَبُ كَلَامَكَ وَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ الْبَلَاءَ يَبْعُضِيهِ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غِيهِ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّه مَسْجُونُ
وَكَوْنُ فُؤَادِكَ بِاللِّسَانِ وَقَوْلُهُ إِنَّ الْكَلَامَ طَلُّكُمْ مَوْزُونُ
فَرِنَاهُ وَلَيْكَ مُحْكَمًا فِي قَلْبِهِ إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ

(١) نصر بن أحمد الجبزي أروزي البصري ، شاعر غزل ظريف ، كان يخبز خبز الأرز بمدينة البصرة في دكان ، ويضد فيه أشعاره في الفزل ، مات سنة ٣٢٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٥ / ٦٨ ، الأعلام ٨ / ٣٣٧ ، وانظر الأبيات من تصديده طويلة في تاريخ بغداد : ١٣ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ جامع بيان العلم ١ / ١٣٨ .

(٢) اللخمي ، شاعر دمشقي من الحكماء ، أدرك النابيين ، انظر الأعلام ٣ / ٢٧٥ ولم يذكر فيه شيئاً عن تاريخ مولده أو وفاته ، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ عمود شاكر ذكر في لباب الآداب تحقيق الشيخ أحمد شاكر هاشم من ٢٨ أنه يجهل أن يكون صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس ، وأنه أخى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الطب ، وساق في ذلك دليلاً حريماً بالتقدير ، فارجع إليه ، وانظر البيت لأول في جامع بيان العلم ١ / ١٣٧ . منسوبة إلى عبد الله بن طاهر .

قال اللاحق^(١) :

أخْفِضِ الصَّوْتِ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ وَالتَّفِيتِ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
قال آخر :

أَرَى الصَّمْتَ خَيْرًا مِنْ كَلَامٍ بِمَأْتَمٍ فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمُ وَإِنْ قُلْتَ فَاعْدِلِ
وَلَا تَكُ فِي حَقِّ الْإِخَاءِ مُفْرَطًا وَإِنْ أَنْتَ أَبْغَضْتَ الْبَغِيضَ فَأَعْجِلِ
وَلَا تَعْجَلَنَّ يَوْمًا بِشَرِّ تَرْيْدِهِ وَإِذْ مَا هَمَمْتَ الدَّهْرَ بِالْخَيْرِ فَاعْجَلِ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ مَمَّيَّةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ^(٢)

وقال آخر :

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوِّدَتْ مُعْتَادُ^(٣)

وقال الحكماء : إذا تمَّ العقل نقصَّ الكلام ، فضل العقل على المنطق حكمة ،
وفضل المنطق على العقل هُجْنَةٌ^(٤) .

وقال عمرو بن العاص : زَلَّةُ الرَّجُلِ عَظْمٌ يُجْبَرُ ، وَزَلَّةُ اللِّسَانِ لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ :

وقال أعرابي :

عَثَرْتُ اللِّسَانَ لَا تُسْقَطُ وَبِأَيْدِي الرِّجَالِ تُجْزَى الرِّجَالُ

(١) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي ، شاعر مكث من أهل البصرة ، اتصل بالبراءة وخس
بعدمهم ، ونظم لهم كلمة ودهنة شعرا ، انظر خزائن الأدب ٤٥٨/٣ ، الأعلام ٢٠/١ ، وانظر البيت في عيون
الأخبار ٤١/١ ، لباب الآداب ٢٦٦ .

(٢) ورد البيت الأول في حساسة البحتری ٣٦٤ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس ، وورد البيت الأخير
فيها أيضا ٢٥٠ منسوبا إلى أعشى باهلة .

(٣) لباب الآداب ٣٢٦ . (٤) الهجئة : العيب والنقص .

فَجَعَلَ الْعَقْلَ لِلِّسَانِ عِقَالًا فَشِرَادُ اللِّسَانِ دَاءٌ عَضَالُ
 إِنَّ ذَمَّ اللِّسَانِ مُبِينٌ عَلَى الْعِرْضِ ضِيٌّ وَبِالْقَوْلِ تُسْتَبَانُ الْفِعَالُ

وقال غيره :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ (١)
 لَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرَبَّى بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأَ عَلَى مَهْلٍ (٢)

وقال منصور الفقيه :

وَاخْرَسَ إِذَا خَفِيَتْ أُمُو رُمِ الْحَقُّ عَنْكَ عَنِ الْإِجَابَةِ
 فَأَقْلُ مَا يُجْزَى الْفَتَى بِسُكُوتِهِ عِزُّ الْعَهَابَةِ

وقال محمود الوراق :

وَالْفُظُّكَ حِينَ تَلْفِظُ فِي جَمِيعِ وَلَا تَكْذِبْ مُقَدِّمَةً لِفِعْلِكَ (٣)
 فَرْنَهُ إِنْ أَرَدْتَ الْقَوْلَ وَزَنَا وَإِلَّا هَدَّ مِنْ أَرْكَانِ نُبْلِكَ

وقال آخر :

وَمَنْ لَا يَمْلِكُ الشَّقَاتَيْنِ يَسْخُو بِسُوءِ اللَّفْظِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ

(١) سائط من ب .

(٢) ورد البيتان في عيون الأخبار ١٨٠/٣ غير منسويين ، ونسبهما في العقد الفريد ٤٧٣/٢ إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وانظرهما في وفيات الأعيان ٤٤٢/٥ من غير نسبة .

(٣) ١ : فتغذبه لعقلك ، ب : فتقدمه لعقلك .

كَانَ يُؤَسُّ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى يَنْشُدُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ :

قَدْ أَفْلَحَ السَّائِكَةُ الصَّمُوتُ كَلَامٌ وَإِىَ الْكَلَامِ قُوْتُ
 مَا كُلُّ قَوْلٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابٌ مَا تَكَرَّرَهُ السَّكُوتُ
 يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومٍ مُسْتَقِيمٍ أَنَّهُ يَمُوتُ (١)

(١) نسبت هذه الأبيات في الأغاني ٣/١٧٠ إلى محمد بن أبي التاهية، وهي أيضا في ديوان والده ص ٦٤، والفرها في عيون الأخبار ١/١٧٩، لباب الآداب ٢٧٦.

بابٌ من مُزدَوِّجِ الكَلَامِ

الزوجةُ أحدُ الكاسِبَيْنِ ، وقيل إصلاحُ المالِ أحدُ الكاسِبَيْنِ .

قلَّةُ العِيَالِ أحدُ اليَسَارَيْنِ .

القلمُ أحدُ اللِّسَانَيْنِ .

الشَّيْبُ أحدُ المُسْرَيْنِ (١) .

اليأسُ أحدُ التَّجَبُّحَيْنِ . ويقال : تعجَّلُ اليأسُ (٢) أحدُ الظَّفَرَيْنِ .

حُسْنُ التَّقْدِيرِ أحدُ الكَسْبَيْنِ .

اللَّبَنُ أحدُ الجُبْنَيْنِ (٣) .

كثرةُ العِيَالِ أحدُ الفقْرَيْنِ .

المالُ أحدُ الجَاهَيْنِ (٤) .

(٥) الدَّعَاءُ لِلسَّائِلِ أحدُ العَطَائَيْنِ (٥) ، وقيل : الرَّدُّ عَلَى السَّائِلِ بالدَّعَاءِ إِحْدَى

الصَّدَقَتَيْنِ .

العَجِيْرَةُ (٦) أحدُ الوَجْهَيْنِ (٦) . وقيل : الشَّعْرُ أحدُ الوَجْهَيْنِ .

(١) في ب : الميْتَيْنِ .

(٢) و ب : اليأسِ .

(٣) في ب : اللحينِ .

(٤) في ب : الجاهلَيْنِ .

(٥) ساقط من أ .

(٦) ساقط من أ .

الشَّعْمُ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ .

الْبِيَاضُ أَحَدُ الْجَمَلَيْنِ .

الْمَرَقُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ .

مَلِكُ الْمُعْجِنِ أَحَدُ الرَّيْمَيْنِ^(١) . قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : اَمَلَكُوا الْمُعْجِنَ فَإِنَّهُ

أَحَدُ الرَّيْمَيْنِ .

الْمَبْلَغُ أَحَدُ الشَّائِمَيْنِ .

السَّامِعُ لِلْغَيْبَةِ أَحَدُ الْمُفْتَائِمَيْنِ .

الرَّأْوِيَةُ لِلْهِجَاءِ أَحَدُ الْمَهْجَاتَيْنِ .

فصل منه (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل أوصاه : « حافظ على المصرين » .

والمصران : الصبح والظهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى البردَيْنِ دخل الجنة » .

البردان : النداء والعشى .

وقال بعضهم : الأبردان : النداء والعشى .

الأيهمان : السيل والحريق .

(١) الريح : فضل كل شيء ، وزيادته ، والملك والإملاك : إحكام العيون وإجاده ، والمراد بالريحين .
زيادة الدليل عند الطعن على كيبيل المنطة ؛ وعند الخبر على الدقيق .

(٢) ساقط من ب .

الأحمران : الذهب والزعفران .

الأسودان : التمر والماء .

الأطبيان : الأكل والجماع .

الأجوفان : الفم والفرج .

الأصنران : القلب واللسان .

الأكبران : الهيمة واللّب .

الأصممان : الفهم الذكي والرأي الحازم .

الجديدان : الليل والنهار ، وكذلك الملوآن ، وكذلك العصران ، قال محمد

ابن ثور الهلالي^(١) :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمًا وَ لَيْلَةً إِذَا طَلَبًا أَنْ يُدْرِكَ مَا تَيْمَمًا^(٢)

وقال أبو بكر^(٣) بن دريد :

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوْلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَدْنِيَاهُ لِلْبَلَى

^(٤) وقال سليمان بن بطلال^(٥) :

وَتَقَلُّبُ الْمَلَوَيْنِ بَيْنَهُمَا الرَّدَى إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا يَجِيءُ بِهِ فَذَا

(١) ساقط من أ .

(٢) ديوانه ٨ : الأمل ١/١٣٨ ، ٨٧/٢ نهاية الأرب ٣/٦٢ ، وفيها جميعا : ولا يلبث .

(٣) في ب : محمد ، وهو على أي حال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، من أئمة اللغة والأدب كانوا يصفونه بأنه أعلم الشعراء ، وأشهر العلماء ترجمته في معجم الأدباء ٦/٤٨٣ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٧ ، تاريخ بغداد ٢/١٩٥ .

(٤) من هنا وتنقص النسخة ب ، قدرأ كبيراً ، إلى جزء كبير من باب الأدب التالي .

(٥) البطليوسى ، فقيه مقدم ، وشاعر عسّن الشعر ، ترجمته في جذوة المقتبس ٦/٢٠٦ .

العمران : أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - هذا قول الأكثر .
 كما قالوا : المسكتان : مكة والمدينة .
 والقمران : الشمس والقمر .

قال الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمَا لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(١) .
 لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر .

وقال أبو عبيدة في قول قيس بن زهير .

جَزَانِي الزَّهْدَمَانَ جَزَاءً سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالكَرَامَةِ

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابني محمد بن وهب من بني عبس بن بغيض ، وقال

أبو عبيدة : الزهدمان : زهدمٌ وكردم .

قال أبو عمر : الحجة في هذا قول الله عز وجل : « وَالْأَبْوَيْهَ »^(٢) ، فالأبوان

الأب والأم .

وقد قال قتادة : العمران : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز . والأول

أشهر وأكثر .

(١) شرح ديوانه ٥١٩ ، الأمل ٨٤/١ .

(٢) سورة النساء آية ١١ .

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة^(١)

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر بضرب عنق عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط^(٢)، فقال له: من للصبيّة يا محمد؟ قال: النَّار.

قال الأعمش: احذروا الجواب، فإن عمرو بن العاص قال لعدى بن حاتم: متى فقتعت عينك يا أبا طريف؟ قال: يوم طُعمنت في استك وأنت مولّ يوم صفين.

شهد أعرابيّ بشهادة عند معاوية^(٣) على شيء، فقال: كذبت. فقال: الكاذب والله مزمل في ثيابك. فتبسم معاوية^(٣) وقال: هذا جزاء من عجل.

أنشد ابن الرّاق قصيدة يذكر فيها الخمر، فقال له معاوية^(٤): أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب، فقال: وأنا قد ارتبت بك في معرفته.

قال تميم بن نصر بن سيّار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قط؟ قال: أما من طعامك وشرابك فلا.

قال عبد الملك بن مروان لبثينة: ما رجا منك جميل؟ قالت: ما رجت منك الأمانة حين ملكتك أمرها.

(١) هذا الباب كله زيادة في م، ولم يرد في النسختين ا، ب.

(٢) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس، كنية أبيه «أبو معيط»، كان شديد الأذى للرسول وللمسلمين عند ظهور الدعوة، فأُسِر يوم بدر، وأمر الرسول بقتله ثم صلب، الأعلام ٥/٢٦٠.

(٣) ساقط من م، والتكلمة من الأجوبة المسكتة لابن أبي عون مخطوطة رقم ٨ أدب — معهد المخطوطات.

(٤) هنا خطأ، فالمعروف أن معاوية توفى سنة ٦٠ هـ، وابن الرّاق ولد نحو سنة ٩٠ هـ، والأقرب أن تكون هذه القصة قد حدثت بين ابن الرّاق والوليد بن عبد الملك، وهو الملقب الذي كان يقرب الشاعر ويعجب به.

وفي عيون الأخبار ٢/٢٦٧. أن أعرابيا دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا أعرابي صف الخمر. فلما وصفها قال له: ويحك يا أعرابي، لقد اتهمك عندي حسن صفتك لها، فقال: يا أمير المؤمنين، واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها. وفي الأغاني ٦/١٢٧: دخل ابن الأفرع على الوليد بن يزيد... الخ.

قيل لبعضهم : صحبت الأمير فلانا إلى اليمن ، فما ولأك ؟ قال : قفاه .

قيل لأعرابي : صف لنا النخلة . فقال : صعبة المرتقى ، بعيدة المهوى ، مهولة المجتنى ، رهيبة السلاح ، شديدة المؤونة ، قليلة المعونة ، خشنة الممس ، ضئيلة الظل .
دخل معن بن زائدة على المنصور ، فأسرع المشى وقارب الخطر ، فقال له المنصور : كبرت سنك يا معن ؟ قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : وإنك مع ذلك لجلد . قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين . قال : وإن فيك لبقية . قال : هي لك يا أمير المؤمنين .

دخل عدى بن حاتم على معاوية ، وعنده عبد الله بن عمرو ، فقال له عبد الله : يا عدى متى ذهبت عينك ؟ قال : يوم مثل أبوك هارباً ، وضرب على قفاه مولياً ، وأنا يومئذ على الحق ، وأنت وأبوك على الباطل .

قال المهديّ لجرير بن زيد : يا جرير إني لأعِدُّكَ لأمر . قال جرير : إن الله قد أعدَّ لك منى قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوداً على عدوك ، إذا ما شئت .

قالت جارية ابن السَّمَك له : ما أحسن كلامك إلا أنك تردده . قال : أردده حتى يفهمه من لم يكن يفهمه . قالت : فإلى أن يفهمه من لم يكن يفهمه يله من فهمه^(١) .
قال الحسنُ لابن سيرين : تعبرُ الرؤيا كأنك من آل يعقوب . فقال ابن سيرين : وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل .

(١) في الأجوبة المسكتة أنها قالت له : فإلى أن يفهمه العبي يكون قد ثقل على سماع الذكى .

قال رجل لعمر بن الخطاب : أهلكنا النومُ . فقال : بل أهلكم اليقظة .
مرت أمة بسعيد بن المسيب ، وقد أقيم ليضرب ، فقالت : يا شيخ ! لقد أقت
مقام الخزي . فقال : بل من مقام الخزي فررت .

قال رجل لعمر بن العاص : لأتفرغنَّ لك . فقال : حينئذ تقع في الشغل .
لقى الحسن الفرزدق في حين خروجه إلى العراق ، فسأله عن الناس ، فقال :
القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من الله .

قال رجل عند الحسن : أهلك الله الفخار . قال : إذا استوحش في الطريق .
قيل للأصمعي : لماذا لا تقول الشعر ؟ قال : الذي أريده لا يواتيني ، والذي
يواتيني لا أريده ، أنا كالمسنِّ أشحد ولا أقطع .

قيل لابن المقفع : مالك لا تقول الشعر ؟ فقال : الذي يواتيني لا أريده ، والذي
أريده لا يواتيني .

قال ابن منذر :

لَا تَقُلْ شِعْرًا وَلَا تَهَمُّ بِهِ وَإِذَا مَا قَلْتَ شِعْرًا فَأَجِدْ

قال عبدالله بن مروان لثابت بن عبدالله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس .
قال : وما تنكرُ أن يكون سيد الإنس يشبهه سيد الجن .

قيل لأعرابية من بني عامر : لقد أحسنت العزاء على ابنك . قالت : إن فقدم
أياسني من المصائب بعده (١) .

(١) في الأجوبة المسكتة ورد هذا الخبر أيضاً ، وفيه أجابت الأعرابية : إن فقدته أمنى المصائب بعده .

ونعى إلى أعرابية ابن لها ، فقالت : لقد نعيموه كريم الجدين ، ضحوكا إذا
أقبل ، كسوبا إذا أدبر ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد .

قال الأحوص للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوز أمك .

قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له : من عندنا خرج العلم . فقال ابن
شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم ! قال :
لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين^(١) .

قال زهير :

« وَمَنْ لَا يُكْرَمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ » « ... وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ^(٢) »

قال معاوية لابن عباس : أتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم . فقال ابن عباس :
وأتم يا بني أمية تصابون في بصائرهم^(١) .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : أين ترى عمك أبا لهب ؟ قال : في النار ،
مفترشا عمك حمالة الحطب . وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية
ابن عبد شمس .

قال الرشيد لشريك القاضي : يا شريك ! آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك

(١) و عيون الاخبار أن الخبرين كانا بين معاوية وابن عباس ، وفي العقد وردا موافقين لما هنا .

(٢) هذا البيت . لئن من بيتين من معلة زهير ، وهما :

ومن يفترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن يجمل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فيها شيء . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَدِكْرٌ لَّكَ
وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(١) ، فقال : آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء . قال : وما هي ؟
قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ ^(٢) .

قال الرشيد لأبي الحارث جُمَيْرًا ^(٣) : أيسرك أن تخرا الغالية ^(٤) ؟ قال : لا والله
يا أمير المؤمنين . قال : ولم ؟ والناس يتمنونها . قال : أخاف أن يختم أمير المؤمنين
على سراويلي فلا يفتحها .

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبدالله بن الزبير ، فقال : يا أمير المؤمنين !
لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك ، وتعمل لسانك في قومك .
وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص ، وكان رجل من قريش يشرب
الحمر ، فقال له أبو بكر : قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الحمر . فقال : لا أو من
به حتى يبرىء الأبرص .

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية ، فأتاه أهل الكوفة يسلمون
عليه ، وقالوا : ما رأينا بعدك مثلك . فقال خيرا أم شرآ ؟ قالوا : لم نر بعدك إلا
شرآ منك . قال : لكني والله مارأيت بعدكم شرآ منكم ، والله يا أهل الكوفة ،
إن جبكم لصلف ، وإن بنضحكم لتلف .

قال المنذر بن الجارود لعمر بن العاص : أي رجل أنت لو كانت أمك من عز

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦٦ .

(٣) كذا بالأصل ، وقد ورد اسمه في الوزراء والكتّاب : أبو الحارث جُمَيْر ، وأورد نادرة أخرى له في ص ٢٤٢ ،
وسماه في عيون الأخبار مرة حمير ٢/٢٣٥ ، ومرة جيز ٣/٢٢٩ ، ولكني لم أعثر له على ترجمة كاملة .

(٤) نوع من الطيب .

قريش؟ قال عمرو: أحمد الله إليك، لقد عرضت قبائل العرب على نفسي أئمتي من أيهم تكون أمي في طول ليلتين، فما خطرت عبد القيس على بالي.

جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص، وهو على المنبر، عن أمه، فسأله. فقال: هي سلمى بنت حرملة، تلقب النابنة، من بني عنزة، ثم أحد بني جيلان^(١)، أصابتها رماح العرب فبيعت بمكاظ، فاشتراها النماكة بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت وأنجبت. فإن كان لك جعل نخذه.

فاخر رجل من ولد أبي البختري بن هشام^(٢) رجلا من ولد الزبير، فقال: أنا ابن عقير الملائكة. قال ابن الزبير: فنعم العافر وبئس المعقور. فقال: أنا ابن شداد البطحاء. قال: شدها أبوك بسلحه، وشدها أبي برمحه.

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من علي، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة، فقال: رجل، فاستوص به خيراً.

نظر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، فجلس يضرب أعناقهم، فأتى في آخرهم برجل من تميم، فقال له: يا حجاج! لئن كنا أسأنا في الدنيا^(٣)، فما أحسنت في العقوبة. فقال الحجاج: أف لهذه الجييف، ما كان فيهم من يحسن هذا؟ وأمر بتخليفة سبيل من بقي.

(١) في الأصل: من بني عنزة ثم أحد بني حلاب، والتصحيح من الإصابة لابن حجر ٢/٥، واللباب ١/٢٦١.
 (٢) اسمه العاصي أو العاصي بن هشام بن الحارث بن عبد العزى، أبو البختري، لم يعرف عنه أنه آذى النبي بل صحبه في بدء الدعوة، ولكنه حضر بدر مع المشركين، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله ولسكته قتل، انظر خبر مقتله في الناح ٣/٢٣، وسيرة ابن هشام ٥٠/٢ (الأعلام ٤/١١).
 (٣) كذا بالأصل، والتصحيح أنها الذنب لا الدنيا، كما يقتضيه المنام، وكما ورد في كثير من المراجع.

قال عمر بن عبدالعزيز لسالم بن عبدالله بن عمر : أساءتكَ ولايتنا أم سرتك ؟
قال : ساءتني لك ، وسرتني للمسلمين .

عاتب أعرابي أباه فقال : إن عظيم حَقِّكَ علي ، لا يُذهب صغير حَقِّي عليك ،
والذي تمتُّ به إلى أمّت بنّله إليك ، واست أزعم أنا سواء ، ولكن لا يحل لك
الاعتداء .

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى
ذلك عائشة ، وركبت بغلة وجمعت إليها الناس ، فقال لها ابن عباس : كأنك أردت
أن يقال : يوم البنظة كما قيل يوم الجمل ؟ قالت : رحمك الله ، ذلك يوم نسي . قال :
لا يوم أذكر منه على الدهر .

قيل لمعاوية بن أبي سفيان ، يوم صفين : إنك تتقدم حتى تقول : إنك تقبل ،
وإنك أشجع الناس ، وتتأخر حتى تقول : إنك تفر ، وإنك أجبن الناس . قال :
أتقدم إذا كان انتقدمُ غمًا ، وأتأخر إذا كان التأخر عزماً .

سأل ابن الزبير معاوية حاجة فلم يقضها ، فاستعان عليه بمولاة له ، فقضى
حاجته ، فقال له رجل : استعنت بامرأة ! فقال : إذا أعيت الأمور من أعاليها
طلبناها من أسافلها .

اشتكى عبدالله بن صفوان ضرسه ، فأتاه رجل يعوده ، وقال : ما بك ؟ قال :
وجع الضرس . فقال : أما علمت ما يقول إبليس ؟ قال : لا . قال : يقول : دواؤه
الكسر . قال : إنما يطيع إبليس أولياؤه .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره فقال : ما نجد ؟ قال : أشكو دُملاً آلمني
وزكاماً أضرتني . فقال : أبشر فإنه بلغمنا أن إبليس لا يحسد على شيء من الأمراض

ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة ، فأنشأ الأعرابي يقول :
 أَيَحْسُدُنِي لِإِبْلِيسَ دَائِبِينَ أَصْبَحَا بِجِسْمِي جَمِيعًا دُمْلًا . وَزُكَامًا
 فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً فَحَلَّ مَا يُطِيقُ قَبَامًا (١)

قال أبو جعفر المنصور لأبي جَعَوْنَةَ العامريّ من أهل الشام : ألا تحمدون الله
 بأنا قد ولينا عليكم ، ورفع عنكم الطاعون ؟ ! قال : لم يكن ليجههكم الله علينا
 والطاعون .

قيل لبعضهم : أراك تذكره الغزو ، وما يكرهه إلا جبان أو هتيم ؟ فقال :
 والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي ، فكيف أسافر إليه ، سافة بعيدة .

عرض بعض القواد أصحابه ، فمر به رجل مته سيف رديء ، فقال له : ويحك
 ما هذا السيف ؟ ! أما علمت أن الرجل بسيفه ؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير ، إنها
 مأمورة (٢) . قال : هذا مما لا يقطع شيئاً .

قيل لابن سيرين : من أكل سبع رطبات على الربق سبحت في بطنه ، فقال
 ابن سيرين : أين كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أُكِلَ أن يصلي الوتر
 والتراويح .

قيل لابن السّمّك في زمن يزيد بن معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : مظلوم
 لا يتتصف وظالم لا ينتهي (٣) .

(١) البيان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، اطر محاصرات الراغب ١/٢٠٦ .
 (٢) اناس من قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار حين أراد كل منهم الأخذ برمام ناقته ولإزالة عهده ؛
 فقال لهم : « دعوها فإنها مأمورة » .
 (٣) وردت العبارة في الأصل هكذا: يسر مظلوم ولا ينصف ظالم ولا ينفي ، وفيها اضطراب طاهر ، وقد أئمتنا
 ماورد في كتاب الأجوبة المسئلة لاس أبي عون .

قال معاوية ارجل من أهل اليمن : ما كان أحق قومك حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا بِأَعْدُ
بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ (١) أما كان جمع الشمل خيراً لهم ؟ فقال اليماني : قومك أحق منهم ،
حين قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ
السَّمَاءِ ، أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٢) ، أفلا قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك فاهدنا إليه .

قال رجل للرقاشي : ما يجب على المؤمن في حق الله ؟ قال : التعظيم له والشكر
لنعمه ، قال : فما يجب عليه في حق الساطان ؟ قال : الطاعة والنصيحة . قال : فما
يجب عليه في حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد في العبادة ، واجتناب الذنوب . قال : فما
يجب عليه في حق العامة ؟ قال : كف الأذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه
في حق الخليلط ؟ قال : الوفاء بالموودة وحسن المعونة .

قال بعض الجليل لأعرابي من بني تميم يمازحه : يا أعرابي ! من الذي يقول :
تميمٌ ببطنِ اللؤمِ أهدى من القَطَا ولو سَلَكَتْ سُبُلَ المكارمِ ضَلَّتْ (٣)
فقال : لا أعرفه . ولكن أعرف الذي يقول :

أَعْضَّ اللهُ مِنْ يَهْجُو تَمِيمًا وَمَنْ يَرَوِي لَهَا أَبَدًا هِجَاءًا
بِبَطْنِ مَجْوزَةٍ وَيَأْسَتْ أُخْرَى وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ مِنْ حَيْثُ جَاءَا

دخل طفيلي دار قوم بنير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ له
الطفيلي في الجواب ، وقال له : والله لئن قت إليك لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) سورة سبأ آية ١٩ .

(٢) سورة الأفعال آية ٣٢ .

(٣) أمالي القالي ١١٧/٢ ، وفيه : بطرق اللؤم . بدلا من بطن .

فقال صاحب المنزل : أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت ، وأخذ بيده فأخرجه .
قال الفرزدق لكثير — وقد أنشد : ما أشبه شعرك بشعري ا أفكانت أمك
أنت البصرة ؟ فقال : لا ، ولكن أبي أتاها ، ونزل في بني دارم .

قال المَثَقِبُ العَبْدِيُّ :

وكلمة حاسده من غير جرم	سمعتُ فقلتُ مررتُ فانفذي ^(١)
وعانوها على ولم تعبني	ولم يعرق لها يوماً جبيني
وما من شيمتي شتم ابن عمي	ولا أنا مخلف من يرتجيني
وذو الوجهين يلقاني طليقاً	وليس إذا تعيب يأتليني
بصرت بعينه فكففت عنه	محافظة على حسبي وديني

قال رجل من بني عجل لأبي الروحاء الشاعر ، بهمدان : ممن الرجل ؟ قال : من
العجم . قال العجلي : إنما الشعر للعرب ، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى
يزو على أمه رجل من العرب . فقال أبو الروحاء : فكل من لم يقل الشعر من
العرب ، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس .

قال مسكين الدرامي :

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً	ففيها وافق السنّ الطبق
إنما الفحش ومن يعتاده	كغراب البين ما شاء نعت

(١) انفذني : أي جاوزني .

أَوْ حَمَارِ الشُّوءِ إِنْ أَمْسَكَتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ
أَوْ غَلَامِ الشُّوءِ إِنْ جَوَّعْتَهُ سَرَقَ الْجَارَ وَإِنْ يَشْبَعُ (١) فَسَقَ

قال رجل لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ا فقال له شريح : هل ضرك ذلك ؟
إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك .

قيل لمزيد — وهو يحمل شيئاً تحت إبطه — : يا مزيد ! ما هذا الذى تحت
حضنك ؟ قال : يا أحمق ! ولم خبأته ؟

قال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد ! إني قد هجوت إبليس ، أفتسمع ؟ فقال له
الحسن : اسكت ، فإنك على لسانه تنطق .

قيل لأعرابي : أتهمز (٢) الفارة ؟ قال : إنما يهزها السنور .

قال حمزة للكسائي : أتهمز الذيب ؟ قال : لو همزته أكلنى .

سأل رجل من الشعراء رجلاً من المتكلمين بين يدي المأمون ، فقال : ما سنك ؟
قال : عظم . قال : لم أرد هذا ، ولكن كم تعد ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف
وأزيد . قال : لم أرد هذا ، ولكن كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى على شيء لأهلكنى .
فضحك المأمون . فقيل له : كيف السؤال عن هذا ؟ فقال : أن تقول ؟ كم مضى من
عمرك

لقى رجل رجلاً راكباً ، فقال له : أين تنزل فقال له : حيث أضع رجلى .

وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية ، فلقبته بعد النحر ، فقال : كيف

(١) فى الأصل . شبع ، ولاستقيم . معها الوزن

(٢) من معانى الهمز : الضغط والدفع والضرب والدمس .

وجدت أضحيتك؟ فقال: ما وجدت لها دماً. أراد قول الشاعر:

ولو ذُبِحَ الضَّبِيُّ بِالسَّيْفِ لَمْ تَجِدْ مِنْ اللُّؤْمِ لِلضَّبِيِّ لِحْمًا وَلَا دَمًا^(١)

اجتمع ناس من الشعراء على باب عدى بن الرقاع الشاعر، فخرجت بنت له، فقالت: ما تريدون؟ قالوا: نريد أباك لنخزيه ونفضحه. فقالت:

تَجْمَعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلَدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ^(٢)

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة، فقال ابن شبرمة — وكان كوفياً — : لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة، ولكم سفه السند، وبخل الخزر، وحمق أهل غسان.

قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي: بلغني أنك اختنت^(٣) أمير المؤمنين. فقال شريك: لا تقل ذلك، لو كنت اختنته^(٣) لكان قد أتاك نصيبك.

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له: لحنت. فقال: الجواد يمشي. قال المؤدب: إبي والله، ويضرب حتى يستقيم. فقال: نعم، وربما كسر أنف سائسه.

وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمج أذنه كلامي، وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامي، فإن البلاد مجذبة، والحال مسغبة، والحياء زاجر يمنع من كلامكم، والفقر يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرئاً أمر بخير. فغليل له: من أنت؟ فقال: اللهم اغفر، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب.

(١) الكامل ٨٦/١، عيون الأخبار ٢/٢٢٩.

(٢) الكامل ٢/٢٤٢: والقرن: الكف في الشجاعة وغيرها.

(٣) في الأصل خنت... خنته ولا معنى لها، وما أئبتهاه أقرب إلى ما ورد في عيون الأخبار ٢/٢١٣ ففيها: بلغني أنك خنت.

سمع إياس بن معاوية— رحمه الله— يهوديا يقول : ما أحق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يتحدثون . فقال له إياس بن معاوية : أو كل ما تأكله تحدثه؟ قال : لا . لأن الله يجعل أكثره غداء . قال : فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غداء .

جمع المأمون بين العتّابي وبين أبي قرّة النصراني ، فقال لهما : تناظرا وأوجزا . فقال العتّابي لأبي قرّة : أسألك أم تسألني ؟ فقال : سلني . قال : ما تقول في المسيح ؟ قال : أقول إنه من الله عز وجل . فقال العتّابي : إن (من) تجيء على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والخل من الحلو^(١) على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة ، فهل عندك خامسة قال : لا ، ولكني لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول ؟ فقال العتّابي : إن قلت : إنه كالبعض من الكل جزأته ، والباري لا يتجزأ ، وإن قلت : إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعا إلى مالا نهاية ، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل ، وإن قلت على سبيل الاستحالة ، أوجبت فسادا ، والباري لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال ، وإن قلت : إنه كالخلق من الخالق ، كان قولا حقا ، وهو الحق الذي لا شك فيه .

وُصف إبراهيم النظام لأبي عبيدة ممر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب ، فر به يوما ومعه قارورة زجاج ، فأراد أن يختبره ، فقال : يا أبا إسحق! ما عيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار ، بطيئة الانجبار . فأعجب ذلك أبا عبيدة .

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان : أيما أحسن ، دار أمير

(١) في الأصل : والخل من الخل الخ ، وبالإضافة إلى ما أثبتناه فإنه يحتمل أن تكون العبارة : والخل من الخللة — والخللة من أسماء الحجر ، انظر حلبة الكميت ٦ .

المؤمنين أم دار أهلك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن .
سمع سوار القاضى الحجاج بن أرطاة يقول: أهلكنى حب الشرف ، فقال :
اتق الله تشرف .

قال مالك بن أنس : قدم على عمر بن عبد العزيز فتيان ، فقالا : إن أبانا توفى
فترك مالا عندنا حميد ، فأمر عمر بإحضاره ، فلما دخل عليه ، قال له عمر : يا حميد !
أنت القائل :

حميد الذى أمبج داره أخوالهم ذو الشيبه الأصلع
أتانى المشيب على شربها وكان كريماً فما ينزع^(١)

فقال : نعم . قال : أما إذ أقرت ، فأنى سأجلك^(٢)؟ قال : ولم؟ قال : لأنك
أقرت بشرب الخمر ، وزعمت أنك لم تنزع عنها . فقال : هيات ، أين يذهب بك؟
ألم تسمع قول الله يقول: « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون
وأبهم يقولون مالا يفعلون^(٣) » ؟ قال عمر : أولى لك يا حميد ، لقد أفلت . ثم
قال : ويحك يا حميد ، كان أبوك صالحاً ، وأنت رجل سوء . قال : أصلحك الله ،
وأنت رجل صالح ، وكان أبوك رجل سوء ، وما كل الناس يشبه أباه ، فقال : إذن
هؤلاء يزعمون أن أباهم توفى ، وترك عندك مالا . قال : صدقوا ، وأنا أحضره
الآن . فأحضره بخواتيم أبيهم ، ثم قال : إن هؤلاء توفى أبوهم منذ كذا وكذا ،
وأنا أفق عليهم من مالى وهذا مالهم . فقال عمر : ما أحد أحق أن يكون عنده
منك . قال : ما كان ليعود إلى وقد خرج من عندى .

(١) البيت الأول وحده فى الكامل ١/١٤٨ ، والأمج : شدة الحر والغلظ .

(٢) فى الأصل : فأين سأجلك .

(٣) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

دخل الأحنفُ بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً ، فقال : يا أحنف
ما الشيء الملقف في البجاد ؟ يعرض له بقول الشاعر :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيٌّ يَزَادِ
بَجْزٍ أَوْ بتمرٍ أَوْ بسمينٍ أَو الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْأَفَاقِ حَرِصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ^(١)

والشيء الملقف في البجاد : وطب اللبن . فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه ،
فقال : الشيء الملقف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين . وذلك أن قريشاً
كانت تعير بأكل السخينة . وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة
وغلاء السعر .

(١) الأبيات لأبي مهوس القمسي ، أو لأبي الهوس الأسدي ، انظر السكامل ١٠٠/١ ، وورد فيه شطر
البيت الثالث : تراه ينقب البطحاء حولا ، وانظر البيتين الأول والثاني في عيون الأخبار ٢٠٢/٢ والبيجاد : كساء
مخطاط من أكسية الأعراب .

بَابُ الْآدَبِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منح والدٌ ولده خيراً من أدب حسن »
وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال : « ما نحل والدٌ ولده خيراً من أدب حسن » .

قال سليمان بن داود : من أراد أن يغيظَ عدُوّه ، فلا يرفع العصا عن ولده .

وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : أكرم ولدك وأحسن أدبه .

كان يقال : من أدب ولده أرغم أنف عدوه .

قال الحسن : التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر .

قال الشاعر^(١) :

خَيْرٌ مَا وَرَثَ الرَّجَالُ بَنِيهِمْ آدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَائِيرِ وَالْأَوْ رَاقٍ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءِ
تِلْكَ تَنَنَى وَالدِّينُ وَالْأَدَبُ الْعَتَا لِحِجٍّ لَا تَفْنِيَانِ حَتَّى الْبَقَاءِ
إِنْ تَأَدَّبْتَ يَا بُنَيَّ صَغِيرًا كُنْتَ يَوْمًا تَعَدُّ فِي الْكُبَرَاءِ
وَإِذَا مَا أَحْصَعْتَ نَفْسَكَ الْفِيءِ مَتَّ كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ الْغَوَاةِ
أَيْسَ عَطْفُ الْقَضِيبِ إِنْ كَانَ رَطًا بَا وَإِذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاءِ

(١) وردت الأبيات في جامع بيان العلم ١/٨٤ ، وقال ابن عبد البر : أنشدها المشنى لإبراهيم بن داود البغدادي عن قصيدة أولها :

يا بني اقترب من الفقهاء وبعلم تكن من العلماء

ووردت الأبيات الثلاثة الأولى في مجمع الأدبا ١٠/١٣١ منسوبة إلى الحسين بن علي بن محمد المعروف بابن قم الزبيدي ، وهو خطأ ، لأن ابن قم ولد سنة ٥٣٠ هـ ، أي بعد وفاة المصنف بنحو سبعين سنة ، فكيف عرف أبياته تلك .

قال لقمان : ضرب الوالد للولد كالتماد للزرع^(١).

قال بعض الحكماء : لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب .

كان يقال : التجربة بعلم ، والأدب بعون ، وتركه مضرّة بالعقل .

كان يقال : العون لمن لا عون له الأدب .

قال الأحنف : الأدب نور العقل ، كما أن النار في الظلمة نور البصر .

قال الأصمعي : ما مطية أبلغ دركاً وهي وادعة من الأدب .

قال بزرجهر : أرفع منازل الشرف لأهله العلم والأدب .

وقيل : من قعد به حسبته نهض به أدبه .

وقال ابن أبي دؤاد لرجل تحظى أعناق الرجال إليه : إن الأدب المترادف خير

من النسب المتلاحف^(٢) .

كان يقال : الأدب من الآباء ، والصلاح من الله^(٣) .

كان يقال : من أدب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً .

وقال الحجاج لابن القريّة : ما الأدب ؟ قال : تجرّع الغصّة حتى تمكن

الفرصة .

ووصف أعرابي الأدب في مجلس مُعتمر بن سليمان ، فقال : الأدب أدب الدين ،

وهو داعية إلى التوفيق ، وسبب إلى السعادة ، وزاد من التقوى ، وهو أن تعلم

(١) ينتهي لك هنا قصص النسخة ب .

(٢) في ب : الملاحف ، والمتلاحف : الذي يعيط بالمرء من جهته ، أبيه وأمه .

(٣) ساقط من أ .

شرائع الإسلام ، وأداء الفرائض ، وأن تأخذ لنفسك بحظها من النافلة ، وتزيد ذلك بصحة النية ، وإخلاص النفس^(١) ، وحب الخير ، منافساً فيه ، مبنغضاً للشر نازعاً عنه ، ويكون طلبك للخير ، رغبةً في ثوابه ، ومجانبةً للشر رهبةً من عقابه ، فتتموز بالثواب ، وتسلم من العقاب ، ذلك إذا اعتزلت ركوب^(٢) الموبقات ، وآثرت الحسنات المنجيات .

وقال أعرابيٌّ: الأديبُ من اعتصم بعمِّ الأدب من ذلّة الجهل ، ولم يتورط في هفوة ، وكان أدبه زُلْفَى إلى الحُظوة في دنياه وأخراه .

قال منصور الفقيه^(٣) :

لَيْسَ الْأَدِيبُ أَخَا الرَّوَايَةِ لِلنَّوَادِرِ وَالنَّرِيبِ
وَلِشِعْرِ شَيْخِ الْمُحَدَّثِينَ أَبِي نُوَّاسٍ أَوْ حَبِيبِ
بَلْ ذُو التَّفْضُلِ وَالْمُرُوَّةِ وَالْعَفَافِ هُوَ الْأَدِيبُ^(٤)

كان يقال : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه .
الخطيئة :

إِذَا نَسَكَبَاتُ الدَّهْرِ لَمْ تَعْظِ الْفَتَى
عَنِ الْجَهْلِ يَوْمًا لَمْ تَمْطِئْهُ أُنَامِلَةٌ

(١) في ب وإصلاح اليقين .

(٢) في ب : الذنوب .

(٣) وردت الأبيات في جامع بيان العلم ٧/٢ غير منسوبة لفائل وقد نسبها في معجم الأدباء ١١/١٩٨ إلى سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد البغدادي والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٤) في ب : من الذنوب .

وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ تُؤَدِّبُهُ رَوْعَاتُ الرَّدَى وَزَلَاظِلُهُ
فَدَعَّ عَنْكَ مَا لَا تَسْتَطِيعُ وَلَا تَطِيعُ هَوَاكَ وَلَا يَذْهَبُ بِحَقِّكَ بَاطِلُهُ^(١)

وقال آخر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ أَدَّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

وقال محمد بن جعفر : الأدب رياضة ، والحزم كياسة ، والغضب نار ،
والصخب^(٢) عار .

قال ابن القريّة : تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رُفتم^(٣) ،
وإن كنتم فقراء استغنيتم .

قال شبيب بن شيبّة : اطلبوا الأدب فإنه عونٌ على المروعة ، وزيادةٌ في العقل ،
وصاحبٌ في العُرْبَةِ ، وحليّةٌ في المجالس .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه في قول الله عزّ وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
فُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾^(٤) ، قال : أدّبوهم وعاموهم .

قال الشاعر :

يَقُومُ مِنْ مَيْلِ الْعَلَامِ الْمُؤَدَّبِ وَلَا يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ^(٥)

(١) لم أعر على هذه الأبيات في ديوان الخطيئة ، ولا توجد فيما نسب إليه من شعر في آخر الديوان ، وقد وردت في معجم الأدباء ٣٢/٢٠ منسوبة إلى يحيى بن المبارك اليزبدي النحوي .

(٢) ب : السخف .

(٣) ب : فقم .

(٤) سورة التحريم آية : ٦ .

(٥) جامع بيان العلم ٨٣/١ .

وقال آخر:

إِنَّ الْحَدَائَةَ لَا تُقَصِّرُ بِالْفَتَى الْمُرْزُوقِ ذِهْنًا
لَكِنْ تُرَكِّي عَقْلَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًا^(١)

وقال آخر:

رَأَيْتُ الْفَهْمَ لَمْ يَكُنْ انْتِهَابًا وَلَمْ يُقَسِّمْ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْأَبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَيْنِينَ^(٢)

قال مُصَعبُ بنُ عبد الله الزُّبَيْرِيُّ : قال لي رجل من أهل الأدب فارسيّ النسب : إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غُرْبَةٍ ، ولم يقصروا عن مَكْرُمَةٍ : الشجاع حيث كان ، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ، والعالم فبالناس حاجة إلى علمه ، والحلو اللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه ، فإن لم تعطَ رباطة^(٣) الجأش ، وجُرأة الصدر ، فلا يفوتك العلم وقراءة الكتب ، فإن بها أدبًا وعلماً قد قيّدته لك العلماء قبلك ، تزدادُ بها في أدبك وعلمك .

قال سابق البربري^(٤) :

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ
وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ

(١) جامع بيان العلم ٨٥/١ .

(٢) ورد البيهقي في جامع بيان العلم ٨٣/١ بغير نسبة ، وقد نسبنا في معجم الأدباء ١٥٥/١٠ إلى الحسين بن محمد الراعي المروفي بالخالم ، والمتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

(٣) في ب : رباط .

(٤) سابق بن عبد الله البربري ، أبو سعيد ، شاعر من الزهاد ، والبربري لقب له ، ولم يكن من البربر . سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز فاستنشدته من شعره ، فينشدته مواعظه ، توفي حوالي سنة ١٠٠ هـ . انظر الباب ١/١٠٧ ، خزانة البغدادي ١٦٤/٤ ، الأعلام ١١١/٣ .

إِنَّ النُّصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الخُشْبُ^(١)
 قيل لعيسى عليه السلام : مَنْ أَدَّبَكَ ؟ قال : ما أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، رأيتُ جُهْلَ
 الجاهل فاجتنبته .

قال بعضُ الحكماء : أفضل ما يُورَثُ الآباءُ الأبناءَ : الثناءُ الحسنُ ، والأدبُ
 النافعُ ، والإخوانُ الصالحونُ ، وأنشدوا :

وَيَعْدَمُ عَاقِلٌ أَدَبًا فَيَجْفُو وَتَنْسِبُهُ إِلَى غِلْظِ الطَّبَاجِ
 وَمَنْزِلَةُ التَّأْدِبِ مِنْ أَدِيبٍ بِمَنْزِلَةِ السَّلَاحِ مِنَ الشُّجَاعِ

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : يا بني لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون
 عليه ؟ فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سليمان : أما أنا فكاتب سلطان ،
 وقال يزيد : فأنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما تركا غايةً لمختار . فقال عبد الملك :
 فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم ؟ فقالوا : تلك صناعة
 لا يفارقها ذل الرغبة والرغبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الذمماء والرعية ،
 قال : فعليكم إذا بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سُدتُم ، وإن كنتم أوساطاً رأستم ،
 وإن أعوزتكم المعيشة عشتم .

(٢) ورد البيتان في جامع بيان العلم ، ٨٣/١ ، منسويين لسابق ، ووردا في التمثيل والمحاضرة ١٦٤ لصالح
 ابن عبد القدوس ، وكذلك ورد الثاني فقط في حاسة البحري ٣٧٣ منسوبا له ، ووردا في البيان والتبيين
 ٢٦٢/٢ بغير نسبة .

بابُ ترويحِ القلوبِ وتَنبِيهِها^(١)

قال عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ : كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه. وسلَّمَ يتخوَّلنا^(٢) بالموعظةِ مخافةَ السَّامةِ علينا .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ يقولُ : إنَّ هذهَ القلوبَ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ ، فابتغوا لها طرائفَ الحكمةِ .

وقالَ عليُّ رضي اللهُ عنه : نَبِّهْ بالتفكيرِ قلبَكَ ، وجافِ عن النومِ جنبَكَ ، واتقِ اللهَ ربَّكَ .

قالَ أبو الذَّرْدَاءِ : إني لأستَجِمُّ قلبِي بشيءٍ مِنَ الآهِ ، ليكونَ أقوى لي^(٣) على الحقِّ .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ : أريجوا القلوبَ ، فإنَّ القلبَ إذا أَكْرَهَ عَمِي .

وقالَ أيضاً : إنَّ للقلوبِ شهوةً وإقبالا ، وفترةً وإدباراً ، فخذوها عندَ شَهَوَاتِها وإقبالِها ، وذرُّوها عندَ فترتها وإدبارِها .

كانَ يقالُ : المِلاةُ تَفْسِخُ المودَّةَ ، وتُوَلِّدُ البِغْضَةَ ، وتَنْغِصُ اللذَّةَ .

قالَ أرسطو طاليسُ : ينبغى للرجل أن يُعطيَ نفسه لذتها في النهار ليكونَ ذلكَ عوناً لها على سائرِ يومه .

(١) م : وشبهها .

(٢) يتخولنا : يتعهدنا بها بين الحين والحين .

(٣) ب : له .

في صحيف إبراهيم عليه السلام : وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحرم ، فإن هذه الساعة عون له على سائر الساعات .

قال عمر بن عبد العزيز : تحدثوا بكتاب الله تعالى ، وتجالسوا عليه ، وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل .

وقال بعض الحكماء من السَّاف : القلوب تحتاج إلى قوتها من الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء .

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه ، وهو في نوم الضحى ، فقال : يا أبت إنك لناأم ، وإن أصحاب الحوائج راكدون بيا بك . فقال : يا بُنَيَّ إن نفسي مطيبي ، وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها .

قال الحسن البصري رضي الله عنه : حادثوا هذه القلوب ، فإنها سريعة الدور ، وأفزعوها هذه النفوس فإنها طمعة^(١) ، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شر غاية .

وقال غيره من العلماء : حادثوا هذه القلوب فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد » . قالوا : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : « تلاوة القرآن » .

كان يقال : الفكرة مرآة المؤمن ، تريبه حسنه من قبيحه .

كان يقال : التفكير نور ، والنفلة ظلمة .

(١) عادة القلوب : جلاؤها ، والدور : السيان ، والطامة : كثرة التطلع إلى الشيء .

بَابُ قَوْلِهِمْ فِي وَصْفِ الْعَيْشِ وَمَا تَتَمَنَّاهُ النَّفْسُ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّبِهِ ، مَعَايَ فِي جِسْمِهِ ، مَعَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ ، فَكَأَنَّهَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا » .

كان عمرُ بن الخطاب يمجبه قول عبدة بن الطيب :

الْمَرْءُ سَاعِحٌ لِأَمْرِ لَيْسَ يَدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ سُحُوحٌ وَإِشْتِاقٌ وَتَأْمِيلٌ^(١)

قال أبو يعلى : حدثنا الأصمعي ، قال : حدثنا محمد بن حرب الزبيدي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال زيادُ جلسائه : مَنْ أَعْطَى النَّاسَ عَيْشًا ؟ قَالُوا : الْأَمِيرُ وَجَلَسَاؤُهُ . فَقَالَ : مَا صَنَعْتُمْ شَيْئًا ، إِنَّ الْأَعْوَادِ الْمَنَابِرَ هَيْبَةٌ ، وَإِنَّ الْفَرَجَ الْجَائِمَ الْبَرِيدَ لَفَزَعَةٌ ، وَلَكِنْ أَعْطَى النَّاسَ عِنْدِي : رَجُلٌ لَهُ دَائِرَةٌ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ كِرَاؤُهَا ، وَلَهُ زَوْجَةٌ صَالِحَةٌ ، قَدْ رَضِيَتْهُ وَرَضِيَهَا فَهِيَ رَاضِيَانِ بَعِيْشَهُمَا ، لَا يَعْرِفْنَا وَلَا نَعْرِفُهُ ، فَإِنَّهُ إِنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَا هَاتَيْنِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، وَأَفْسَدْنَا دِينَهُ وَدُنْيَاهُ .

قال عمرُ : لما فتح الله على رسوله بنى النضير وغيرها ، كان يتخذ منها لنفسه وبعياله قوت سنة ، ثم يجعل الباقي في الكراع^(٢) والسلاح في سبيل الله .

وقال سليمانُ : إِذَا أَحْرَزْتَ النَّفْسَ قُوَّتَهَا اطْمَأْنَنْتَ .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَكْتُمْ ، فَإِنَّمَا يُسْأَلُ رَبَّهُ » .

(١) البيت في الفضليات ٢٨٦ ، العقد الفريد ٢٨١/٥ ، مجموعة المغاني ٧٥ .

(٢) الكراع : اسم يجمع الخيل وغيرها من الدواب .

وليس في هذا معارضة لقول الله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١) لأن معنى هذا عند العلماء أن يتعنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه ، ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمني المكروه .

قال محمد بن سيرين : نُهِيتُمْ عَنِ الْأَمَانِيِّ ، وَدُلِّتُمْ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا^(٢) لَكُمْ ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا في كتاب « التمهيد » معنى قوله عليه السلام : « لا يتمنين أحدكم الموت لضرِّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر أخيه فيقول : يا ليتني مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مسلم^(٣) المُعْقِلِي : ما بقي من لذاتك ؟ قال : جليس يقصر به طول ليلى ، وزائر اشتهى من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتهى به طول السهر^(٤) ودابة أشتهى من أجلها طول السفر . قال مسleme بن عبد الملك : العيش في ثلاث : سعة المنزل ، وموافقة المرأة ، وكثرة الخدم .

قال عباية الجعفي : ما يسرُّني بنصيبي من التمني محمَّرُ النَّعم .

قال عبد الرحمن بن أم الحكم : لذة العيش في زحف الأحرار إلى طعامك ،

(١) سورة النساء الآية : ٣٢ —

(٢) ساقط من أ .

(٣) ب : أسام ، والصحيح ما أنبتاه ، انظر قصة حدثت له مع أبي جعفر المنصور في صدد قتل أبي مسلم . المراساني ، في البيان ٣/٣٤٢ .

(٤) ساقط من ب .

وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجدد السبيل إليه ، وقول المنادى : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبة بن مسلم لو كيع بن أبي سُود : ما السرور ؟ قال : لوائه منشور ، وجلس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير .

قيل لأم البنين : ما أحسنُ شيءٍ رأيتِ ؟ قالت : نعمُ اللهِ مقبلةً على^(١) .

سأل قتيبة رجلاً : ما السرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .

قال عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — : لذة العيش ظفرك بمن تحب بعد امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثمًا ، وحق وافق هووى .

قيل لأبي حازم : ما اللذة ؟ قال : الموافقة ، ولا أنيس كالصاحب العوانى .

وروى الرياشى عن الأصمى قال : قال شبيب بن شيبية^(٢) : عيش الدنيا فى ثلاث : محادثة الإخوان ، ومباشرة النسوان ، وشم الصبيان .

قال بعض الحكماء : كثرة الالتفات سُخْف ، ومجالسة الحق تورث النوك^(٣) ، وكثرة المنى تُخْلِقُ العقل ، وتُفسدُ الدين ، وتنفى القناعة .
قال أبو العتاهية :

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ب شبة ، والصحيح أنه شبيب بن شيبية بن عبد الله النخعي المقرئ ، الخطيب الذى بلغ الذروة فى الفصاحة والبيان ، وهو الذى عناه أبو نخيلة السعدى الراجز بقوله :

لدا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مقبيها عجت من كثرتها وطيبها

توفى شبيب حوالى سنة ١٧٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/٣٠٧ ، البيان ١/٦٢ .

(٣) النوك : الغفلة والحق .

اللهُ أَصْدَقُ وَالْأَمَالُ كَاذِبَةٌ وَجُلُّ هَذِي الْمَنَى فِي الْقَلْبِ وَسَوَاسُ^(١)

ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعي ، قال : قال بعضهم : الاحتلام أطيب من النسيان ، وتعميئك الشيء أوفر حظاً للذة من قدرتك عليه .

قال عمرو بن بحر : كأنه ذهب إلى أن المال إذا مُلِكَ^(٢) وجبت فيه حقوق ، وخاف مالكة عليه الزوال ، واحتاج إلى الحفظ ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه .

ذكر المدائني قال : قيل لامرئ القيس : ما أطيب عيش الدنيا ؟ فقال : ييغنا: رُعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، باللحم مَكْرُوبَة^(٣) .

وسئل الأعشى : أي العيش ألد ؟ فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية .

وسئل طرفة ، فقال : مطعم شهني . ولبس زهي ، ومركب وطى .
وقال غيره :

أَطْبَبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْأَعَادِي وَاخْتِيَالُ عَلَى مَيْتُونَ الْجِيَادِ
وَأَيَادِي حَبْوَيْهِمْ كَرِيماً إِنَّ عِنْدَ الْكَرِيمِ تَزْكُو الْأَيْدِي^(٤)
لبعض الحكماء : أسوأ الناس حالاً من اتسعت أمنيته ، وضائق مقدراته ،
وبعدت همته .

(١) ديوانه ١٢٢ .

(٢) ١ : هالك .

(٣) الرعبوية : الحسنة البياس الرضة الكاسر ، والشبوبة : الظاهرة الحس المشرقة اللون ، وباللحم مكروبة : أي مفتولة الأعضاء غير مترهلة .

(٤) عيون الأخبار ٣/٢٥٨ ، الخامس والساوي ١/٢١٢ .

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة: أيّ الأمور أمتع؟ فقال: ممازحة حبيب،
ومحادثة خدين^(١)، وأمان^(٢) تقطع بها أيامك. وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن
أبي بكرة، أنه قيل له: أيّ شيء أكثر إمتاعاً؟ قال: المنى.

قال بعض الأعراب، ويروى لأبي بكر العرزمي^(٣):

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
أَمَانِي مِنْ سَمَى عِذَابٍ كَأَنَّمَا سَقَّتْكَ بِهَا سَمَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا^(٤)

اجتمع عبدالله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام، عند الكعبة، فقال
عبد الله: أحب ألا أموت حتى تجيء إلى الأموال وأكون خائفة.

وقال مصعب: أحب أن أليّ العراقيين - يعني الكوفة والبصرة - وأزوّج
سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة.

وقال عروة: لكنني أسأل الله الجنة. فصار عبدالله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون
أن عروة صار إلى الجنة.

كان المتعنى بالكوفة إذا تمتى يقول: أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة،

(١) ب: صديق.

(٢) ب: أمان.

(٣) في م: الخوارزمي، والعرزمي هو محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان الغزاري، ساعر حضرمي، عاش في
الكوفة ونسبته إلى «جبانة عرزم» بها، أكثر شعره آداب وأمثال، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٢٢/٩،
اللباب ١٣٢/٢، الأعلام ١٣٥/٧.

(٤) ويروى: أمانى من سعدى رواد، وقد نسب البيهقي في حاشية أبي تمام ١٥٩/٢ لرجل من بني الحارث
ولم يعينه، وورد في عبون الأخبار ٢٦١/٣، نوادر القائل ١٠٢، زهر الآداب ٥٨/٢، معجم الأدباء
٢٣٠/١٦ بغير نسبة.

وحفظ سفيان ، وورع مسعر بن كيدام^(١) ، وجواب شريك^(٢) .
قال الأصمعيّ : قال لي بن أبي الزناد : المنى والحلم أخوان .

قال مالك بن أسماء^(٣) :

ولمّا نزلنا منزلاً طلّه الندى أنيقاً وبُستَانًا من النورِ حاليًا
أجدد لنا طيبُ المكانِ وحُسنُهُ مئى فتمنّينا فكنتِ الأمانيا
قال سلم الخاسر^(٤) :

لولا مئى العاشقين ماتوا أسى وبعضُ المنى غرورُ
من راقب الناس مات غمًا وفازَ باللذة الجسورُ
وقال منصور الفقيه :

لو أن ليّنا نفعت مع ترك ما ينفعني
ما كان لي قول سوى ياليتني لم أكن

(١) ابن ظهير الهلالى العامرى السكوى ، أبو سلمة ، كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة فيه ، توفى سنة ١٥٢ هـ ، انظر فى ترجمته : تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ ، حلية الأولياء ٢٠٩/٧ (الأعلام ١٠٩/٨) .

(٢) شريك بن الحارث النخعى السكوى ، عالم بالحديث فقيه ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديوته ، استقضىه أبو جعفر المنصور على الكوفة سنة ١٥٣ هـ وبنى بها سنة ١٧٧ هـ ، انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ ، البداية والنهاية ١٧١/١٠ . (الأعلام ٢٣٩/٣) .

(٣) مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى ، أبو الحسن ، شاعر غزل طريف ، تزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء ، وتوفى له خوارزم وأصبهان ، توفى حوال سنة ١٠٠ هـ . انظر معجم الشعراء ٣٦٤ ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٢٦٢/١ ، وقد نسبنا فى الوزراء والكتابات ٤٥ الى عبد الله بن أبى فروة ، ونسبنا فى حساسة أبى تمام ٢٣٥/١ الى أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى .

(٤) سلم بن عمرو الخاسر ، شاعر ماجن طريف من شعراء صدر الدولة العباسية ، وشعره رقيق رصين ، انظر فى ترجمته : تاريخ بغداد ١٣٦/٩ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ ، وانظر الأبيات فى الشعر والشعراء ١٠٠ ، نهاية الأرب ٧٨/٣ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ .

وقال آخر :

ذَهَبَ الْبَرْدُ وَأَبَا فامستوى العيش وطابا

وقال آخر :

وَلِي مِنْ تَمَنَّى النَّفْسِ دُنْيَا عَرِيضَةً
وَمُصْطَبِحٍ يَغْدُو عَلَيَّ وَيَطْرُقُ
تَمَلَّكُنِي الْأَمْوَالُ لَأَقْرَ بَعْدَهَا
وَعَرَسًا غَيُورًا فَاحِشًا وَتَطَلَّقُ
فَقَدْتُ الْمُنَى لِأَنْحَنُ نَلْهُو عَنِ الْمُنَى
لِتَجْرِبَةٍ مِنَّا وَلَا هِيَ تَصْدُقُ

وقال آخر :

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيْلِ إِسَاءَةٌ
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَى الْأَمَانِي كَوَازِبًا^(١)

وأنشد نبطويه :

الدَّهْرُ يَصْدُقُنَا وَتَكْذِبُنَا الْمُنَى
بِعِدَاتِهَا وَتَغْرُنَا الْأَمَانُ
وَإِذَا الْمُنْيَةُ أَقْبَلَتْ لَمْ تَنْهِنَا
خِيَابُ مُطَهَّمَةٍ وَلَا أَمْوَالُ

وقال آخر :

إِنَّ الْقِنَاءَةَ وَالْعَفَا
فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى الْمُنَى
فَ لِيُعْنِيَانِ عَنِ الْغِنَى
فَأَشْكُرُ فَقَدْ نِلْتَ الْمُنَى

وقال عبد الملك بن حبيب^(٢) :

صَلَّاحُ أَمْرِي وَالَّذِي أَبْتَغِي
هَيْنٌ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قُدْرَتِهِ

(١) ساقط من أ .

(٢) السلي الإلبيري القرطبي ، عالم الأندلس وقيدها في عصره ، توفي سنة ٢٣٨ هـ ، ترجمته في جذوة
المتعبس ٢٦٣ ، بغية المتعبس ٣٦٤ .

ألف من البيض وأقلل بها
لِعَالِمٍ أُرزَى عَلَى بُغْيَيْتِهِ
زُرْيَابُ قَدْ يَأْخُذُهَا جُمَّلَةٌ
وَصَنَعَتِي أَشْرَفُ مِنْ صَنَعَتِهِ (١)

قال آخر :

مُسَيِّمَاتُ أَيَّامِ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ
وَمُخْسِنَةُ الْأَيَّامِ فِي الدَّهْرِ أَعْلَامُ
وَعَيْشُكَ فِيمَا تَسْتَخِصُّ وَتَصْطَفِي
قَصِيرٌ وَإِنْ طَالَتْ لِيَالٍ وَأَيَّامُ
فَصِلْ بِسُرُورِ النَّفْسِ عَيْشَكَ إِنَّهُ
مَضَى مِثْلَ مَا مَرَّتْ بِعَيْنِكَ أَحْلَامُ

قال بشار بن برد :

ذَكَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّتِي مَضَى
فَلَدَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا (٢)

وقال آخر :

مَنْ رَأَى قَبَ المَوْتِ لَمْ تَكْثُرْ أَمَانِيهِ
وَلَمْ يَكُنْ طَالِبًا مَا لَيْسَ بِعَيْنِيهِ (٣)

قيل لرقبة بن مصقلة : أنت بعيد الدار من المسجد ، وتنصرف بلا مؤنس ؟
قال : إني حين أخرج من المسجد أبتدى أمنية فما تنقضى حتى أدخل المنزل .

قال لييد بن أبي ربيعة :

وَكَذِبِ النَّفْسِ إِذَا حَدَّثَتْهَا
إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ (٤)

(١) في الجذوة : سهل على الرحمن ... ، ألف من الحمر ... ، لعالم أوقى ، قد يأخذها دنه . انظر جدوه
المقتبس ٢٦٣ ، نفع الطيب ٢/٢١٥ .
(٢) عيون الأخبار ١/٢٦١ .
(٣) ساقط من ب .
(٤) ديوانه ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١٥٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٧ ، مجمع الأدباء : ١٠٩/٢٠ .

وقال آخر :

رَبِّ مَن بَاتَ يُمَنِّي نَفْسَهُ حَالَ مَن دُونَ مُنَاهُ أَجَلُهُ

قال يزيد على المنبر : ثلاث يخلقن العقل ، وفيها دليل على الضعف : سرعة الجواب ، وطول المني ، والاستغراق في الضحك .

وقال الأحنف بن قيس : كثرة الأمانى من غرور الشيطان .

قال حبيب^(١) :

مَنْ كَانَ مَرْتَعٌ عَزَمِهِ وَهُمُومِهِ رَوْضَ الْأَمَانِي لَمْ يَزُلْ مَهْرُولًا

وقال آخر :

إِذَا تَمَنَيْتُ بِتُّ اللَّيْلَ مَغْتَبِطًا إِنَّ الْعُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ^(٢)

وقال آخر :

إِذَا حَدَّثْتِكَ النَّفْسَ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرَّجَالِ فَكَذِبٌ
فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ وَمَالَ بِكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا مَتَّكَ يَوْمًا فَجَرَّبِ^(٣)

قال أبو العتاهية :

إِنَّمَا الْفَقْرُ فَضُولُ التَّعْنَى فَانْسَهَا وَاسْتَوْهَبِ اللَّهَ ذِكْرًا^(٤)

قيل لسليمان بن عبد الملك : ما اللذة ؟ قال : جليس ممتع أضع بيني وبينه
التحفظ .

(١) ديوانه بشرح التبريزي ٦٧/١ .

(٢) نسب البيت في التمثيل والمخاضرة ١١٣ إلى أبي بكر الخالدي ، وورد في عبون الأخبار ٣/٢٦١ ، نهاية الأرب ١٠٣/٣ بغير أسبوبة .

(٣) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣٤٨ إلى الكميت بن زيد الأسدي ونسبها القالي في النوادر ٤٩ إلى أعرابي من بني سعد يدعى خنوص ، وكان عمرو بن العاص قد وعده أن يساعده في نفقات زواجه ثم لم يفعل ، فقل البيتين .

(٤) لم أعر عاينه في الديوان ، وأمله مما حفظه المصنف من شعره ، ولم يره جامع الديوان .

قال الحجاج بن يوسف نخريم - وهو نخريم بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة
المري - ما العيش؟ قال : الأمن ، فإنني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال :
زدني . قال : والشباب ، فإنني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش . قال : زدني . قال :
والصحة ؛ فإنني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش . قال زدني . قال : لا أجد مزيداً .

قال أعرابي :

وما العيش إلا في الخمول مع الغنى وعافية تغدو بها وروح

وقال آخر :

إن الفتي يصبح للأسقام كالغرض المنصوب للسهام
أخطأ رام وأصاب رام يقول : إنني مدرك أمامي

في قابل ما فاتني في العام^(١)

قيل لرجل من الحكماء : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من كفي هم الدنيا ، ولم
يهم بالآخرة .

(١) الرجز لأبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد العجلي ، انظر ثلاثة الأبيات الأولى في زهر الآداب
١٣/٤ . وقد ورد في معجم الشعراء ٣١١ برواية أخرى هي :

المراء . كالماء و الماء	يقول أنا مدرك أمامي
في قابل . فانني في الماء	والمراء يدنيه من الماء
سر اللبالي السود والأيام	لأن الفتي يصبح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام	أخطأ رام وأصاب رام

قال الشاعر :

لا تمنّ المني فتفتتّ جهلاً طالماً اغتتتّ بالني الجهلاء

قال آخر^(١) :

لبت شعري وأين مني لبت إن ليثا وإن لواء عتاد

(١) في ١ ، ب : قال الحارث بن حنظلة ولم أعر عليه في معلقته : آذنتنا بينها أسماء ، وقد نسب في الشعر والشعراء ٢٦٣ لابي زبيد الطائي .

باب اِخْتِلَافِ الْهَمِيمِ فِي أَنْوَاعِ الْمَالِ

عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه قال : « خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَأْمَةٍ » .

وروى عنه عليه السلام أنه كان يأمرُ الأغنياءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ ، وَيَأْمُرُ الْمَسَاكِينَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

قال مالكُ بن أنسٍ ^(١) — رحمه الله — : لما خرج مروانُ من المدينة مرَّ على بنى خُشْبٍ ^(٢) ، فلما نظر إليه قال : ليسَ المالُ إلا ما أُسْرِجَت عليه المناطقُ .

قيل لابنة الحسن : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قِنَى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنَى . قيل فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنَى .

وأما قول امرئ القيس ^(٣) :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارًا كَأَنَّ قُرُونًا جِلَّتْهَا الْعِصِيُّ

فإنه أراد أنها كانت معزى ، لوصفه قرونها بالعصى ، وأما قوله :

فَتَمَلًّا يَبْتِنَا إِقْطًا وَسَمْنَا وَحَسَبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعٌ وَرِيُّ

فإنه زعم بعضهم أن الإقط لا يكون إلا من لبن البقر ، وقالوا : المعزى أكثر لبنا ، وأكثر سمنا وزبداً .

(١) ١ ، ب : أسد .

(٢) فى ١ : خشب ، وهو خطأ ، ودوخشب : واد معروف على مسيرة ليلة من المدينة ، اطار معجم البلدان . ٣٧٢/٧ .

(٣) ديوانه ١٣٧ ، عيون الأخبار ١/٣٢٣ .

قال المُستورد: الذهب والورق حَجْرَانِ ، إن تركتهما لم يزيدا ، وإن أخذتَ منهما تَفِيدَا ، والحيوانُ كالِبَقْلِ^(١) إن أصابته الشمس ذوى^(٢) ، ولكن المالك الأرضُ والماء .

قال ابن شهاب الزهريّ -- رحمه الله -- يخاطب أخاه عبد الله^(٣) :

تَتَّبِعْ خَبَايَا الْأَرْضِ وَاذْعُ مَلِيكَهَا كَمَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَجَابَ فَتُرْزَقًا^(٤)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تسعة أعشار الوزق في التجارة ، والعشر في السَّايَاءِ^(٥) » .

لما بلغ عمر بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمروهم الأرضين ، كتب إليهم : لا تهكوا وجه الأرض فإن شحمتها في وجهها .

ولما بلغه أن عُثْبَةَ بنَ غَزْوَانَ وأصحابه بنوا باللبن كتب إليهم : وقد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم فمرضوا الحيطان ، وارفعوا الشمك ، وقاربوا بين الخشب .

باع رجل رجلا أرضاً ، فقال البائع : أما والله لقد أخذتها شديدة المثونة قليلة المعونة -- يعني الأرض -- . فقال المبتاع : والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفريق^(٥) -- يعني الدراهم .

(١) في ١ : والبقل

(٢) في ١ : قوى .

(٣) معجم الشعراء ٣٤١ .

(٤) الساياء : الجلدة الرقيقة التي تحيط بالجنين وهو في جنين أمه ، والقصود بها في الحديث تنج الإبل والماشية . أنظر النهاية ٣١/٢ .

(٥) ب : التفريق .

قالوا : إذا بَعُدَ المال^(١) عن موضع ربه^(٢) قلت فوائده .

قال الشاعر :

سَأُبْعِيكَ مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنِّي أَرَى عَارِزَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَائِدُهُ^(٣)
أوصى سهل بن حنيف ، أحد بني عبد الرحمن بن عوف ، وكانت أمه أنصارية
فقال له : إنك أحب إخوتك إلي ، وإنني موصيك بوصية : اعلم أنه لا عيلة على
مصلح ، ولا مال مع المخرق^(٤) ، واعلم أن خير المال العقل^(٥) ، وخير المال ما أطمعك
ولم تطعمه وإن قل ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال ، ولكنهم جمال^(٦) ، واعلم أن
الماشية إنما هي مال أهلها ، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فزرعة إن زرعتها
انفقت بها ، وإلا لم ترزقك شيئاً . قال : حفظت نصيحته ، فكانت لي أنفع مما
ورثت^(٧)

ذُكِرَ النَّخْلُ وَالزَّرْعُ عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ الْعُقَلَاءِ ، فَقَالَ : شَرَيْنَا النَّخْلَ مِنْ
فَضُولِ غَلَاتِ الزَّرْعِ ، وَلَمْ نَشْتِرِ الزَّرْعَ مِنْ فَضُولِ غَلَاتِ النَّخْلِ .
قال الليث بن سعد : لما افْتَتِحَتْ إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا
فيها من الأموال ، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى ، فبدر إلى شجرة زيتون
كانت بين يديه ، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه ، وقال : من هذا جمعنا هذه

(١) ب : الماء .

(٢) ب : ربه

(٣) عبون الأخبار ٢٥١/١ ، البيان ٤٠٢/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٣١١ وفيه : سأبتاع .

(٤) ب : المخرق ، المخرق : الحق والنفلة .

(٥) ب : المقدر .

(٦) ب : خيال .

(٧) ب : ترك عن أبي .

الأموال ، تصيب الزيتون ، قياتينا أهل البحر والبر ، والصحراء والرمل ، يتاعون منا الزيتون ، فمن ممّ كثرت أموالنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص : « هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ يُسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك رغبةً سالحة » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المقداد بن معدى كرب ، وهو حديث صحيح ، أنه قال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل ابنُ آدم طعاماً خيراً له من أن يأكلَ من عملِ يده ، وكان داودُ عليه السلام يأكل من عمل يده » .

وكان داود عليه السلام يعمل القفاف الخوص ، وقيل كان نوح نجاراً ، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلم .

وأجمع العلماء أن أشرف الكسب : الغنائم ، وما أوجف الله عليه^(١) بالخیل والركاب ، إذا سلم من الغلول . وقد سمي الله الجهاد تجارةً مُنجيةً من عذاب أليم . قال^(٢) بعضُ لصوص همدان^(٣) :

(١) ساقط من ب .

(٢) في ب : قالت .

(٣) وردت الآيات في الصفحة التالية منسوبة إلى مالك بن حريم في عيون الأخبار ١/٢٣٧ ، العقد الفريد ٣/٣٩١ ، ووردت منسوبة لعمر بن بركة الهمداني : في الأغاني ١١٣/٢١ ، المؤلفات ٦٦ ، ٥٧ ، في قصة حدثت له مع حريم بن مالك الهمداني ، لا ابنه مالك بن حريم ، كما قد يتبادر إلى الذهن من نسبتها إليه في عيون الأخبار ، وأصل القصة أن حريماً أغار على لابل لعمر وذهب بها فجاء عمرو إلى امرأة من همدان كانوا يستشيرونها ، فأخبرها الخبر ، وأنه يريد الإغارة على حريم ، فنهته عن ذلك وحذرتة العاقبة ، فلم يبالي بقولها ، وأغار على حريم فاستأن كل شيء له ، ولم يستطع حريم أن يبالي منه منلاً ، وقال في ذلك قصيدته التي منها هذه الآيات وأولها :

تقول سليبي لاتعرض لثلفة وتليك عن ليل الصعاليك نائم
وإنها : كأن حريماً إذ رجا أن أردھا ويذهب مالي يابنة القبل حام

واقطر البيتين الثاني والثالث في البيان والتبيين ٣/١٥٩ ، الإيمالي ٢/١٢٢ ، العقد ٣/٣٩٩ ، والثالث في حاشية البحرى ٢٠ .

وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ الْمَمْنَعِ بِالْقَنَاءِ
 يَعْيشُ مُثْرِيًّا أَوْ تَخْتَرِمُهُ الْمَخَارِمُ
 وَتَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِمًا
 وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ
 وَكُنْتَ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ
 فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لِهَمْدَانَ ظَالِمٍ^(٤٣)

بَابُ التَّجَارَةِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الكسبِ عمَلُ اليدِ ، وكلُّ بيعٍ مَبْرورٌ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أفضلُ الكسبِ كسبُ الصَّانِعِ إذا صحَّحَ (١) » .
وقال عليه السلام : « التجارُ هم الفجارُ إلا من بَرَّ وصدق » .

وقال عليه السلام : « التاجرُ الأمينُ الصدوقُ مع الشهداء يوم القيامة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشرَ التجارِ ! إن بيعكم هذا يشوبه الحَلِفُ ، فسؤوبوه بالصدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الجالبُ مرزوقٌ ، والمحتكرُ مَدْمُونٌ » .

أو قال « ... مَدْمُومٌ (٢) » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تسعةُ أعشارِ الرزقِ في التجارة ، والعشرُ في السَّائِبِ » .

وقال عليه السلام : « اللهم باركْ لِأُمَّتِي في بُكُورِهَا » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَقْبَضَ

الْمَالُ ، وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ ، وَتَكْثُرَ التَّجَارَةُ (٣) » .

(١) : صنع ، وفي مجمع الزوائد ٦١/٤ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خير الكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع في صحيح البخاري وسنن النسائي ، وكتاب التجارات في سنن ابن ماجه .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) لم نعتز على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخاري ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لحمين امرأة القيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا » . انظر التصنيف في فتح البري ١٨٨/١ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٢٠٥٦/٤ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من استنقأه أخوه المسلم في بيع باعه منه فأقاله -
أقاله الله من عثرته يوم القيامة » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأسَ
رأسين^(١) .

وقال عمر : بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك .

وقال ابن شهاب : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي وهو يبيع
مُسَوِّمَةً^(٢) فقال : « عليك بأولِ سَوِّمَةٍ ، أو بأولِ سَوِّمٍ ، فإن الرِّيحَ مع
السَّماحِ » .

قيل للزبير رحمه الله : بم بلغت هذا المال ؟ قال : إني لم أُرِدْ ربحاً ، ولم
أشترعياً .

كان يقالُ : الأسواقُ موائدُ لله في الأرض ، فمن أتاها أصاب منها .

قال خالد بن صفوان : في التَّجَارِ أَوْمُ الطَّبائِعِ ، وعِيّ اللِّسَانِ ، وموتُ القلبِ ،
وسوءُ الأدبِ ، وقِصْرُ الهمةِ ، والاشتمالُ على كلِّ بليّةٍ .

اشترى أعرابيُّ جملًا ، فنَدِمَ عليه في شرائه ، فجعل يُصعّدُ النظرَ فيه ويصوّبه
ليجد ما يتوسّلُ به إلى رده ، فقال البائعُ : مَنْ طالب عيباً وجدّه .

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ، وقال : فرّقوا بين المنية ، بدل المنايا ... الخ ، وقال في تفسيره : إذا اشتريتم
الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تمالوا في الثمن ، واشتروا بثلث الرأس الواحد رأسين ، فإذا مات الواحد بقى
الآخر ، فكأنكم فرقت بين المنية .

(٢) ب : شيئا ، والمسومة : السامة تباع بالمساومة في ثمنها .

يقال : الذَّبْنُ في شيئين ، في الرَّدَاءَةِ^(١) أو الغَلَاءِ ، فإذا استجدتَ فقد سلمت
من أحدهما .

قال الراجزُ :

ما أَرُخَصَ الغَالِي إِذَا كَانَ حَسَنُ

وقال محمود الوراق :

وإذا غَلَا شيءٌ عَلَيَّ تَرَكَتُهُ فَيَكُونُ أَرُخَصَ ما يَكُونُ إِذَا غَلَا^(٢)

قال معاوية — رحمه الله^(٣) — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال :
بئس التجارة ، ضمان^(٤) نفس ، ومثونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب^(٥) رضي الله عنه : إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضخمًا ،
فإن لم توافق كرمًا ، وافقت^(٦) لحمًا .

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس الى قومٍ يحدثهم ، فقال : كيف سوقكم ؟
قالوا : كاسدة . قال : غششتم^(٧) . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال :
كذبتهم . قال : وكيف كثرتهم ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

(١) في ب : الردىء .

(٢) البيت في نهاية الأرب ٣ / ٨٥ ، محاضرات الأدباء ١ / ٢٢٥ ، المستطرف ١ / ١٢٩ ، ٢ / ٧٩ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) في ا : ضمن .

(٥) ساقط من ب .

(٦) و ب : واقعت .

(٧) و ب : عشتم .

كان عبدالله بن مسمود يقول : عجبا للتاجر كيف يسلم ؟ إن باع مدح ، وإن اشتري ذم .

قال سعيد بن المسيب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصياح . يعني — والله أعلم — من لا صناعة له إلا النداء لغير صلاة محترساً بالليل وراحاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيل بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم ^(١) . ^(٢) ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل ^(٣) .

قال ابن عباس : من اشترى مالا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه .
قال المنيرة بن حَبَاء :

وما كلُّ حينٍ يصدُقُ المرءُ ظنَّهُ ولا كلُّ أصحابِ التِّجَارَةِ يربحُ
ولا بن شهاب الزُّهري :

ألا كلُّ مَنْ يَهْدِي لَهُ السَّبْعُ يُرْزَقُ وقد يَصْلِحُ المَالُ اليَسِيرَ المَوْقُ ^(٤)
ولنصور الفقيه :

بُنَيْتِي لَا تَجْزَعِي وَاصْبِرِي عَسَاكَ بِصَبْرِكَ أَنْ تَظْفَرِي
فَلَوْ نَالَ يَوْمًا أَبُوكَ الْغِنَى كَسَاكَ الدِّيْقِي وَالتُّسْتَرِي ^(٥)
ولكن أبوك ابتلى بالعلوم فما إن يبيع ولا يشتري

(١) في ب م وذويهم .

(٢) زيادة من م .

(٣) ب : الترفن .

(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدبيق : نوع ناخر من الثياب كان يصنع في بلدة دبيق بمصر والتستري : نوع من الثياب الغائمة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

باب الرِّزْقِ

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مِمِّشَتَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) الآية .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ (٢) .

سمع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِرُوحِي رَسُولِ اللَّهِ ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ ، وَبِأَخِي مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعَوْتُ اللَّهَ لَأَجَالِ مَعْلُومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ » .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَبِي اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ » .

وقال عليه السلام : « اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ » .

وقال عليه السلام : « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ (٣) الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأُجِلُّوا فِي الطَّيْبِ ، خُذُوا مَا حَلَّ ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود : « لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا يَقْدَرُ يَكُونُ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِيكَ » (٤) .

(١) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : ٧١ .

(٣) في ١ : غيظ .

(٤) و ب : يكون ، يأتيك .

قال الشاعر :

فإِنَّكَ مَا يُقَدِّرُ لَكَ اللهُ تَلَقَّهُ كِفَاحًا وَتَجِدْبُهُ عَلَيكَ الْجَوَالِبُ
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدسِ نَفَثَ في رُوعِي ، أنه
لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجلوا في الطلب » .
أنشد ابن أبي الدنيا^(١) :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرُّزْقَ يَأْتِي بِحِيلَةٍ فَقَدْ كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ وَهُوَ آئِمٌ
يَفُوتُ الغِنَى من لَا يَنَامُ عن السُّرَى وَآخِرُ يَأْتِي رِزْقَهُ وَهُوَ نَائِمٌ
فَمَا الفَقْرُ في ضَعْفِ احتِيَالٍ وَلَا الغِنَى بِكَدِّ ولِلأرزاقِ في النَّاسِ قَاسِمٌ
سَاصِبُ إن دَهْرُهُ أَنَاخَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ وَأَرْضَى بِحُكْمِ اللهِ مَالَهُ^(٢) حَاكِمٌ
لقد عشتُ في ضيقٍ من الدَّهْرِ مُدَّةً وفي سَعَةٍ والعِرْضُ مِنِّي سَالِمٌ
وقال جعفر بن محمد : إني لأملق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروة بن الزبير^(٣) : العاقلُ من إذا رُزِقَ مالاً نظر فيه ، فإنه لا يدري لعله
يكون آخرَ رزقه .

ومما يروى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه نظر :

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء مأمومة مُلسٍ نواحيها

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سميان القرشي الأموي بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام
وما يلائم طوائف الناس ، وله مؤلفات كثيرة في الزهد والرقائق ، تروى في بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب
١٢/٦ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٤/٢٦٠) .

(٢) : فالله .

(٣) و ب : ابن الزهر .

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللَّهُ لَا تَفَلَّتْ
 أَوْ كَانَ تَحْتِ طَبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا
 حَتَّى تُؤَدِّيَ الَّذِي فِي اللُّوْحِ خُطَّةُ
 حَتَّى يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا
 لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي التَّمْرِقِ مَرَاقِيهَا
 إِنَّ هِيَ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوَّفَ بِأَتِيهَا

وأنشد ابن الأعرابي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَبَسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ
 إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْتَ طَالِبُهُ
 وَإِنْ أَبَى اللَّهُ مَا تَهْوَى فَلَا طَلَبُ
 وَقَدْ أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَيِّقَةٌ
 صَبْرًا عَلَى ضَيِّقَةِ الْأَيَّامِ إِنْ لَهَا
 سَيِّفَتُحُ اللَّهِ أَبْوَابَ الْعَطَاءِ بِمَا
 وَلَوْ يَكُونُ كَلَامِي حِينَ أَنْشُرُهُ^(٣)
 وَلَا الْعَطَايَا لَدِي^(١) عَقْلِي وَلَا أَدَبِي
 يَوْمًا وَجَدْتُ^(٢) إِلَيْهِ أَقْرَبَ السَّبَبِ
 يُجِدِي عَلَيْكَ وَلَوْ حَاوَلْتَ مِنْ كَثَبِ
 وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالْمَجَبِ
 فَتَحًا وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا عِنْدَ ذِي الْأَدَبِ
 فِيهِ لِنَفْسِكَ رَاحَاتٌ مِنَ التَّعَبِ
 مِنَ اللَّجَيْنِ لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ ذَهَبِ

وقيل لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه : كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم ؟

قال : كما قسم بينهم^(٤) أرزاقهم .

ولسريج بن يونس المحدث^(٥) :

يا طالبَ الرِّزْقِ فِي الْأَفَاقِ مُجْتَهِدًا
 أَنْعَمْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَقَّكَ التَّعَبُ

(١) ف ب : على .

(٢) في ١ : رجوت .

(٣) ف ب : أنشده .

(٤) ف ب : فيهم .

(٥) في الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه سريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي ، أبو الحارث .

العايد محدث ثقة ، توفي سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٤٥٧/٣ .

تَسْعَى لِرِزْقِ كِفَاكَ اللهُ مُؤَنَّثَةٌ
 كَمِ مَنْ سَخِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ نَعْرِفُهُ
 وَمِنْ حَصِيفٍ (١) لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ
 فَاسْتَرْزَقِ اللهُ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
 وَقَالَ آخِرُ:

كَمِ مَنْ قَوِيٌّ قَوِيٌّ فِي تَقَلُّبِهِ
 وَكَمِ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الرَّأْيِ تَبْصِرُهُ
 مَهْدَبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفٌ (٢)
 كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَنْتَرِفُ
 أَنشُدْ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ:

يَا أَيُّهَا الْمَضْمِرُ هَمًّا لَا تُهَمِّ
 إِنْكَ إِنْ تَقْدَرُ لَكَ الْحَمَى تُحَمِّ
 وَلَوْ عَلَوْتَ شَاهِقًا مِنَ الْعَلَمِ
 كَيْفَ تَوَقَّيْكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ (٣)
 لَوْ: المقادير تبطل التقدير، وتنتقض التدبير.

قال الشاعر:

إِذَا عَقَّدَ الْقَضَاءَ عَدِيكَ عَقْدًا
 فَلَيْسَ يَحْتَلُهُ إِلَّا الْقَضَاءُ (٤)
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ:

يَا مُكِلَّ الْعَيْسِ فِي دِعْوَمَةٍ
 يَتَّبِعُ الْأَمَالَ كَالْبَأغِي الْمُضِلِّ

(١) : خصيب .

(٢) ب : نسب .

(٣) في ا : يحرف .

(٤) البيهقي في عيون الأخبار ١/١٤٧ .

(٥) البيت في التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، ومجمع الأدباء ٧٧/٥ .

إِنَّ مِفْتَاحَ الَّذِي تَطْلُبُهُ يَدِ الْمَقْدَارِ^(١) فَاصْبِرْ وَاتِكَلْ
فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ وَمَنْ مُدَّةَ الْعُمُرِ وَمَنْ وَقْتَ الْأَجَلِ

وقال أبو العتاهية :

وَفَدَّتْ إِلَى اللَّهِ فِي وَفْدِهِ لِأَتَمِّسَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ
إِذَا مَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا مَضَى وَلَمْ يَقَوْ حَيًّا عَلَى رَدِّهِ^(٢)

قال المُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ : قيل لأعرابي : من أين معاشكم؟ قال : من أزواد الحاج .
قلت : فإذا صدروا؟ فبكى ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش^(٣) . ثم
قال : أتفهم؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ النَّعْرُ إِلَّا ضَيْقَةٌ فَتَفْرَجُ وَإِلَّا جَدِيدٌ نَاصِرٌ ثُمَّ يَنْهَجُ
أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا كَسْفَرٍ^(٤) عَلَى مَنْهَجٍ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَأَدْجُوا

فقال البربري^(٥) :

يَا أَيُّهَا الظَّاعِنُ فِي حَظِّهِ إِنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ الْمُقِيمِ
كَمْ مِنْ لَيْبٍ عَاقِلٍ قَلْبٍ مُصَحَّحِ الْجِسْمِ مُقِلِّ عَدِيمِ
وَمَنْ جَهُولٍ مُكْتَرٍ مَالُهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(١) في أ : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .

(٢) ديوانه ٦٨ .

(٣) في ب : لو كنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ٣/١٤٥ حيث سان القصة بصورة أخرى .

(٤) في ب : كسفن .

(٥) في ب : اليزيدي ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حَظَكَ يَا تُبَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَرِمْ مَا ضَرَّ مَنْ يُرْزَقُ إِلَّا يَرِيمُ^(١)

كان يقال : بكرُّوا في طلب الرزق ، فإن النَّجَّاح في التبكير .
قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزقَ فليُنظرْ كيف يسأل ، فإن الله يرزق
الحلال والحرام ، ولكن ليقل اللهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني .
قالوا : الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبب ، ورزق يأتيك به الله من حيث
لا تحسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً^(٢) .

قال عروة بن أذينة ، أو بكر بن أذينة ، وهو الصحيح^(٣) :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَالْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ^(٤) أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِيَنِي

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي

وقال آخر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ . وَلَا تَوَثِّرَنَّ الْعَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبِ^(٥) .

ألم تر أن الله قال لمريم

ولو شاء أن تجنيه من غير هزأ

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة في ب فقط ولم أعثر على ما يرجح هذا الرأي فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر المؤلف والمختلف ٥٤ ، الأغاني ٢٢٢/١٠ ، وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ، الوافي بالوفيات ٨٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ، عيون الأخبار ٦٧/٣ ، العقد الفريد ٢٠٥/٣ .

(٤) في م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف من خاقي ، وفي الوفيات : وما الإسراف ، وفي عيون الأخبار : وما الإسراف و طمع ، وفي العقد : وقد علمت وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من أ .

(٦) البيان الثاني والثالث في التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزى إليك المنزع .

وقال آخر :

ما يُفلقُ اللهُ بابَ الرِّزْقِ عن أحدٍ
وقال بكرُ بنُ حمَّادٍ (١) :

النَّاسُ حَرَصَى عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ
فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا لَا تَسَاعِدُهُ
لَمْ يُبْدِرِكُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَمَا قُسِمَتْ
لَوْ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ

وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المرءُ لم تَتَّعِبْ رَوَّاحِلُهُ
ولاني واجدٌ في النَّاسِ وَاحِدَةً
ويُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُبْثَ مِنْ تَعَبِ
ولعل بن هشام (٢) :

المرءُ يَسْعَى وَيَسْعَى الرِّزْقُ يَطْلُبُهُ
حتى إذا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ جَمْعَهُمَا
وَرُبَّمَا اخْتَلَفَا فِي السَّعْيِ وَالطَّلَبِ
لِلإِتِّفَاقِ أَتَاكَ الرِّزْقُ عَنِ كَتَبِ

وقال آخر :

يُخَيِّبُ الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ
وَيُعْطَى الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ (٣)

(١) م : بعد .

(٢) ل : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سبك الزناتي ، أبو عبد الرحمن التاهرتي ، شاعر ، محدث فقيه ، وفي تاريخ الجزائر : إن شعره كبير جدب بالجمع ، توفي بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٣١/٢ ، البيان المغرب ١/١٥٣ ، (الأعلام ٣٧/٢) .

(٣) البتآن لإبراهيم بن المهدي ، عيون الأخبار ٢/١٩٠ ، الأغاني ٥/٢١٦ .

(٤) شاعر بن شعراء الدولة العباسية ، كان سرياً كريماً بعيد الهمة ظاهر المروءة ، توفي سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ٤/١٦ التمثيل والمحاصرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ١/٢١٤ ، البيان والتبيين ٢/٣٤٠ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلاً .

قال الغزال^(١) :

طَالِبُ الرِّزْقِ الحَلَالِ لَا يَقِرُّ نَهَارُهُ وَكَيْلُهُ عَلَى سَفَرٍ
فِي الحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَوْقَاتِ المَطَرِ وَمَالِهِ فِي ذَاكَ نَزْرٌ مُحْتَشَرٌ
إِنَّ الحَلَالَ وَحْدَهُ لَا يَحْتَمِرُ أَيْنَ تَرَى مَالاً حَلَالاً قَدْ تَمِرَ
مَا إِنْ رَأَيْنَا صَافِياً مِنْهُ كَثُرَ

قال الناشئ^(٢) :

إِذَا المَرءُ أَحْمَى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ لَصِيحَةٍ أَيَّامٍ تَبِيدُ وَتَنفَدُ
فَمَا بَالُهُ لَا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا لَصِيحَةٍ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُحْتَدُّ
وقال آخر :

إِنَّ الحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلْبَاتُهُ وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الحَلَالِ نَزُوراً^(٣)

قال أ. كرم بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَأُونَا مَقْسُومَةً وَهَكَذَا! آجَالُنَا فَمَا تَحُولُ يَدُنَا وَيَنْتَهِي أحوَالُنَا

(١) يحيى بن الحكم الجبلي ، كان يسمى الغزال لجماله ، شاعر أندلسي مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأي وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفي سنة ٢٥٠ هـ . انظر بنية المنس ٤٨٥ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشئ الأنباري ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يمد من طبقة ابن الرومي والبحري ، ولكنه أعرب في شعره لغزاً شديداً فسقط في بغداد ، غام إلى مصر فكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٣٧٧ .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٨٤ ، وفيه : مصورا بدل نزورا ، والمصور بليغته خروج اللبن ، والنزور : قلبية الولد .

أو قلبية اللبن . (٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فَاتَّقَى أَنْ أُضَيِّمًا
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لَا يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فاجعلْ سُكُوتَكَ لِلَّهِ وَنَجْوَاكَ نَجِيمًا
وَكُلُّهُ مُبَوَّسِي وَنُعْمَى سَيِّفَنِيَانِ سَرِيمًا^(١)

وقال آخر :

يا رَبِّمَا جَاءَنِي مَالًا أَوْمَلَهُ
وَرَبِّمَا خَابَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظَرٌ
لوزاد في الرزق حرصٌ أو مُطالَبَةٌ
ما كان من قد يطيلُ الكدَّ يفتقرُ
ولأبي يعقوب إسحاق بن حسان الحريري^(٢) :

أَقْبَلِي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا أُمَّ مَالِكِ
فوالله ما قصرتُ في وجهِ مُطَلِّبِ
ولكن لهذا الرزق وقتٌ مَوْقَتٌ
وأسهرني طول التَّفَكُّرِ إِنِّي
أرَى فَاجِرًا يُدْعَى جَلِيدًا لِظُلْمِهِ
وعَفَا يَسْمَى عاجِزًا لِعَفَافِهِ
وأحقُّ مَصْنُوعًا لَهُ في أموره
فَلَمْ يُوْتَ مِنْ حِرْصِ عَلَيَّ الْمَالِ طَالِبُهُ
أرى أن فيه مَطْلَبًا فَأَطالِبُهُ
يُقَسِّمُهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ وَاهِبُهُ
عَجِبتُ لِأَمْرٍ ما تُقْضَى عَجَابُهُ
ولو كَلَّفَ التَّقْوَى لَكَلَّتْ مَضارِبُهُ^(٣)
ولولا التَّقَى ما أعجزته مَدَاهِبُهُ
يُسَوِّدُهُ إِخْوَانُهُ وَأَقارِبُهُ

(١) في ب : سكوتك ... والحراك ، وسيفنيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبو حاتم السجستاني بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء العتد ، ثم اتصل بهثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المرعي فنسب إليه ، توفي سنة ٢١٤ هـ . تاريخ بغداد ٦/٣٢٦ ، طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ١٦/٤ .

(٣) ورد هذا البيت في أمكنة :

إلى عاجز يدعى جليدا لطلبه ولو كلف التقوى لفت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذي يليه في معجم الشعراء ٤١٧ إلى أبي بكر المرعي .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُتَّقَى وَلَا نَائِلٍ جَزَلٍ تُعَدُّ مَوَاهِبُهُ
فَلَيْسَ لِعَجْزِ الْمَرْءِ أخطَاهُ الْغَنَى وَلَا بِاحْتِيَالٍ أَدْرَكَ الْمَالَ كَاسِبُهُ
وَلَكِنَّهُ قَبْضُ الْإِلَهِ وَبَسْطُهُ فَمَنْ ذَا يَجَارِيهِ وَمَنْ ذَا يُغَالِبُهُ

أُنشَدَنِي خَلْفَ بِنِ قَاسِمٍ ، قَالَ : أُنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الصَّيِّدِ لَا بِي ، قَالَ :
أُنشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ :

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُتَمِيمُ وَمَا شَدَّ بِعَنْسٍ رَحَلًا وَلَا قَتَبًا^(١)
وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ ذُو الْمَطِيئَةِ وَالرَّحْلِ مِنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبًا

وقال محمود الوراق :

قِيَامَةٌ مِنْ مَاتَ فِي مَوْتِهِ وَإِخْمَالٍ مَا شَاعَ^(٢) مِنْ صَوْتِهِ
تَرَى الْمَرْءَ يَجْزَعُ مِنْ فَوْتِ مَا لَعَلَّ السَّلَامَةَ فِي فَوْتِهِ
وَيَفْنِيهِ وَلَمْ تَفْنِ آمَالُهُ وَإِعْمَالٍ سَوْفَ إِلَى لَيْتِهِ
وَكَمْ أزعجَ الْحِرْصَ مِنْ رَاغِبٍ إِلَى الصَّيْنِ^(٣) وَالرِّزْقُ فِي بَيْتِهِ

ولأبي الأسود الدؤلي أو العرزمي :

وَعَجِبْتُ لِلدُّنْيَا^(٤) وَحِرْفَةَ أَهْلِهَا وَالرِّزْقُ فِيهَا يَنْتَهَمُ مَقْسُومٌ

(١) ق ١ : وما يشد نسبا ولا رحلا ولاقتبا . والبيتان للحكم بن عبد الأسد ، انظر حاشية أبي تمام ٥٠/٧ ، معجم الأدباء ٢٣٩/١٠ . والعنس : الناقة الموية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) ق ١ : إلى الصين .

(٤) ١ : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبي الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى
مَنْ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِي أَنَّهُ

وقال آخر :

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا
وَأَصِيلٌ مِنَ الرِّجَالِ نَبِيلٌ^(١)

وقال آخر :

الرِّزْقُ يَا تُقِي قَدْرًا عَلَى مَهَلٍ^(٢)
وَالْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ الْعَجَلِ

وقال آخر :

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ وَالْآفَاتِ وَالْمَلَكَةِ
مَنْ غَيْرِ^(٣) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ وَالصَّيَادُ تَضْرِبُهُ
يَجْرُهُ أَذْيَالُهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ
حَتَّى إِذَا زَاحَ مَسْرُورًا بِهَا فَرِحًا
لَأَنِّي إِلَيْكَ بِرِزْقًا بِلا تَعْبٍ
لُطْفًا مِنَ اللَّهِ يُعْطِي ذَا بِحَيْلَتِهِ
لَا تَمَجِّلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَةِ
وَمَنْ أَدَارَ عَلَى أَرْجَائِهَا فَلَسَكَةَ
أَمْوَاجُهُ وَنُجُومُ اللَّيْلِ مُشْتَبِكَةٌ
وَعَقْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَلَّكِلِ السَّمَكَةِ
وَالْحَوْتِ قَدْ شَكَّ سَقُودُ الرَّدَى حَنَكَةَ
فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَتْ
هَذَا يَمْسِدُ وَهَذَا يَأْكُلُ السَّمَكَةَ

(١) في ١ . سواء : وفي الديوان ، والكامل الحروم بدل العاجز .

(٢) ساقط من ب . .

(٣) في ب : الرزق يأتي مقدوراً على عجل ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٢/٣٨٠ -

(٤) ب : مؤنث .

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّي بِغَيْرِ مَا يَمْنِينِي وَطَلَّابِي فَوْقَ الَّذِي يَكْفِينِي
ولو أتى كففت لم أبغ رزقي كان رزقي هو الذي يَبْغِينِي
أَحْمَدُ اللَّهَ ذَا الْمَعَارِجِ شُكْرًا مَا عَلَيْهَا إِلَّا ضَمِيفُ الْيَقِينِ^(١)
وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ صَانِرٌ وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِمَرْءٍ مَنَفَعَةٌ
إِذَا كَانَتْ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سِوَاهُ فَاعْتَمِدْ لِنَدَّةِ الدَّعَةِ
وَإِنْ ضِقَّتْ فَاصْبِرْ يَكْشِفُ اللَّهُ مَا تَرَى فَيَأْرُبُ ضَيْقِي فِي جِوَانِبِهِ سَعَةً^(٢)
وقال آخر :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ مَقْدُورٌ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَسْطُورٌ
وَالرِّزْقُ وَالْخَلْقُ وَالْأَجَالُ قَدْ قَسِمَتْ وَأَحْكَمْتَهَا وَزَمَّتَهَا الْمَقَادِيرُ
فَلَيْسَ يَقْدِرُ مَرَّةً صَرْفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ الشَّدَائِيرُ
كَمْ مَنْ رَأَيْتَهُ ذَا مَالٍ وَذَا سَعَةٍ وَذَا غَضَارَةٍ عَيْشٍ وَهُوَ مَجْبُورٌ
لَا يَعْرِفُ اللَّهُ جَهْلًا خَاطِبًا حَقًّا لَوْ لَا^(٣) غِنَاهُ لَعَافَتْهُ الْخَنَازِيرُ
لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ فِي قَفْرِ وَلَا لُجْبِجٍ وَلَا تَكَلَّفَ أَمْرًا فِيهِ تَفْهِيرُ
لَكِنَّ أَمَانَةَ الْغِنَى حَتَّى أَنْتَاحَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ فِيهِ تَفْكِيرُ^(٤)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغل ...

(٢) الأبيات لعل بن الجهم . انظر . مجم الأدباء ٥٤/١٩ .

(٣) و ب : لو .

(٤) في ب : وما تقدم فيه منه تفكير .

بَابُ التَّجَارَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الكسبِ عملُ اليدِ ، وكلُّ بيعٍ مبرورٍ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أفضلُ الكسبِ كسبُ الصانعِ إذا صحَّح^(١) » .
وقال عليه السلام : « التجارُ هم الفجارُ إلا من برَّ وصدق » .

وقال عليه السلام : « التاجرُ الأمينُ الصدوقُ مع الشهداءِ يومَ القيامةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشرَ التجارِ ! إن بيعكم هذا يشوبه الخلفُ ، فخشوْهُ بالصدقةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الجالبُ مرزوقٌ ، والمحتكرُ مَلْعُونٌ » .

أو قال « ... مَذْمُومٌ^(٢) » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تسعةُ أعشارِ الرزْقِ في التجارة ، والعشرُ في السائِبَاءِ » .

وقال عليه السلام : « اللهم باركْ لأمتي في بُكُورِها » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَقْبَضَ

المالُ ، وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ ، وَتَكْثُرَ التَّجَارُ^(٣) » .

(١) : صنع ، وفي مجمع الزوائد ٦١/٤ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خير الكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع في صحيح البخاري وسنن النسائي ، وكتاب التجارات في سنن ابن ماجه .

(٢) ساقط من ا .

(٣) لم نعر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخاري ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا » . انظر التبعين في فتح البلى ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٢٠٥٦/٤ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من استتقاله أخوه المسلم في بيع باعه منه فأقاله .
أقاله الله من عثرته يوم القيامة » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فرّقوا بين المنأيا ، واجعلوا الرأسَ
رأسين^(١) .

وقال عمر : بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك .

وقال ابن شهاب : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي وهو يبيع
مُسومة^(٢) فقال : « عليك بأولِ سومة ، أو بأولِ سوم ، فإن الرّيحَ مع
السّاح » .

قيل للزبير رحمة الله : بم بلغت هذا المال ؟ قال : إني لم أرد ربحاً ، ولم
أشتر عيباً .

كان يقالُ : الأسواقُ موائدُ الله في الأرض ، فمن أتاها أصاب منها .

قال خالد بن صفوان : في التّجارِ أوْمُ الطبائع ، وعيِّ اللسان ، وموتُ القلب ،
وسوءُ الأدب ، وقصرُ الهمة ، والاشتمالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابيُّ رجلاً ، فنَدِمَ عليه في شرائه ، فجعل يُصعّد النظرَ فيه ويصوّبه
ليجد ما يتوسّل به إلى رده ، فقال البائعُ : مَنْ طالب عيباً وجدّه .

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ، وقال : فرّقوا بين المنية ، بدل المنأيا . . الخ ، وقال في تفسيره : إذا اشترى
الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالوا في الثمن ، واشتروا بشن الرأس الواحد رأسين ، فإذا مات الواحد بقى
الآخر ، فكأنكم فرقت بين المنية .

(٢) في ب : شيئا ، والمسومة : الساعة تباع بالمساومة في ثمنها .

يقال : النَّبَنُ فِي شَيْئَيْنِ ، فِي الرَّدَاءَةِ^(١) أَوْ النَّعْلَاءِ ، فَإِذَا اسْتَجِدْتَ فَقَدْ سَلِمْتَ مِنْ أَحَدِهِمَا .

قال الراجزُ :

مَا أُرْخَصَ النَّالِي إِذَا كَانَ حَسَنُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَى تَرَكَتِهِ فَيَكُونُ أُرْخَصَ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا^(٢)

قال معاوية — رحمه الله^(٣) — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال :
بئس التجارة ، ضمان^(٤) نفس ، ومثونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب^(٥) رضى الله عنه : إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضحكاً ،
فإن لم توافق كرمًا ، وافقت^(٦) لحماً .

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس الى قومٍ يحدثهم ، فقال : كيف سوقكم ؟
قالوا : كاسدة . قال : غششتم^(٧) . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال :
كذبتهم . قال : وكيف كثرته ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

(١) فى ب : الردىء .

(٢) البيت فى نهاية الأرب ٣ / ٨٥ ، محاضرات الأدباء ١ / ٢٢٥ ، المستطرف ١ / ١٢١ ، ٢ / ٧٩ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) فى ا : ضمن .

(٥) ساقط من ب .

(٦) فى ب : واقعت .

(٧) فى ب : غشيم .

كان عبدالله بن مسعود يقول : عجيباً للتاجر كيف يسلم ؟ إن باع مدح ، وإن اشتري ذم .

قال سعيد بن المسيب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصياح . يعني — والله أعلم — من لا صناعة له إلا النداء لغير صلاة محترساً بالليل وبراهاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيل بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم ^(١) . ^(٢) ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل ^(٣) .

قال ابن عباس : من اشترى مالا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه . قال المنيرة بن حبان :

وما كل حين يصدق المرء ظنه
ولا بن شهاب الزهري :

ألا كل من يهدى له البيع يرزق
وقد يصلح المال اليسير الموفق ^(٤)
ولمنصور الفقيه :

بنيتي لا تجزعي واصبري
عساك بصبرك أن تظفري
فلو نال يوماً أبوك الغنى
كسالك الدنيقي والتستري ^(٥)
ولكن أبوك ابتلي بالعلوم
فما إن يبيع ولا يشتري

(١) في ب ٤ ودويري .

(٢) زيادة من م .

(٣) ب : الترفق .

(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدقيق : نوع فاخر من الثياب كان يصنع في بلدة ديق بمصر

والتستري : نوع من الثياب الفاتحة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

باب الرِّزْقِ

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بِيَدِهِمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) الآية .

وقال: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ (٢) .

سمع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم أمَّ حَبِيبَةَ تقول: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِرُوحِي
رسول الله ، وبأبي أبي سُفْيَانَ ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه
وسلم: « دَعَوْتُ اللَّهَ لِأَجْلِ مَعْلُومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ » .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم: « أَبِي اللهُ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَّا مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ » .

وقال عليه السلام: « اسْتَزَلُّوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ » .

وقال عليه السلام: « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ (٣) الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِيِ اللَّهِ؛
فِيئَةٌ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْلُوا فِي الطَّبِّ ، خَذُوا مَا حَلَّ ،
وَدَعُوا مَا حَرَّمَ » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: « لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا يَقْدَرُ
يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَا تَيْتَكَ » (٤) .

(١) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : ٧١ .

(٣) في ١ : غيظ .

(٤) و ب : يكون ، بأتك .

قال الشاعر :

فإِنَّكَ مَا يُقَدِّرُ لَكَ اللهُ تَلَقَّهُ كِفَاحًا وَتَجِدِبُهُ عَلَيْكَ الْجَوَالِبُ
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدسِ نَفَثَ في رُوعِي ، أنه
لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .
أنشد ابن أبي الدنيا^(١) :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي بِحِيلَةٍ فَقَدْ كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ وَهُوَ آئِمٌ
يَفُوتُ الغِنَى من لَا يَنَامُ عن السُّرَى وَآخِرُ يَأْتِي رِزْقُهُ وَهُوَ نَائِمٌ
فما الفقرُ في ضعفِ احتيالٍ ولا الغِنَى بِكَدِّ ولِلأرزاقِ في النَّاسِ قَاسِمٌ
سَأصبرُ إن دَهْرُهُ أَنَاخَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ وَأَرْضِي بِحُكْمِ اللهِ مالَهُ^(٢) حَاكِمٌ
لقد عشتُ في ضيقٍ من الدَّهْرِ مُدَّةً وفي سَعَةٍ والعِرْضُ مِنِّي سَالِمٌ

وقال جعفر بن محمد : إني لأملق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروة بن الزبير^(٣) : العاقلُ من إذا رُزقَ مالاً نظر فيه ، فإنه لا يدري لعله
يكون آخرَ رزقه .

وما يروى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه نظر :

لو كانَ في صَخْرَةٍ في البَحْرِ رَاسِيَّةٌ صَمَاءٌ مَلْمُومَةٌ مُلْسٍ نَوَاحِيهَا

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي الأموي بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ، وله مؤلفات كثيرة في الزهد والرقائق ، توفي في بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٢/٦ ، تاريخ بغداد ١٠/٨٩ (الأعلام ٤/٢٦٠) .

(٢) : ١ : فالله .

(٣) في ب : ابن الزهر .

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللَّهُ لَأَنْفَلَقَتْ
أَوْ كَانَ تَحْتِ طَبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا
حَتَّى تُؤَدِّيَ الَّذِي فِي اللُّوْحِ خَطُّ لَهُ

وَأَشَدُّ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ
إِنَّ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْتَ طَالِبُهُ
وَإِنْ أَبَى اللَّهُ مَا تَهْوَى فَلَا طَلَبُ
وَقَدْ أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَائِقَةٌ
صَبْرًا عَلَى ضَائِقَةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لَهَا
سَيِّفَتُحَ اللَّهُ أَبْوَابَ الْمَطَاءِ عِذَا
وَلَوْ يَكُونُ كَلَامِي حِينَ أَنْشُرُهُ^(٣)

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم ؟

قال : كما قسم بينهم^(٤) أرزاقهم .

وَلُسْرِيحُ بْنُ يُونُسَ الْمُحَدِّثُ^(٥) :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ فِي الْآفَاقِ مُجْتَهِدًا
أَتَعَيْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ

(١) ق ب : على .

(٢) ق ١ : رجوت .

(٣) ق ب : أنشده .

(٤) ق ب : فيهم .

(٥) في الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه شريح بن يونس بن إبراهيم البغدادي ، أبو الحارث .

المعاد محدث ثقة ، توفي سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٤٥٧/٣ .

تَسْمَى لِرِزْقِ كِفَاكَ اللهُ مُؤَنِّتَهُ
 كَمِ مَنْ سَخِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ نَعْرِفُهُ
 وَمِنْ حَصِيفٍ^(١) لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ
 فَاسْتَرْزَقِ اللهُ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
 وَقَالَ آخِرُ:

كَمِ مَنْ قَوِيٌّ قَوِيٌّ فِي تَقَلُّبِهِ
 وَكَمِ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الرَّأْيِ تَبْصِرُهُ
 أَنشُدْ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ:

يَا أَيُّهَا الْمَضْمِرُ هَمًّا لَا تُهَمِّمِ
 وَلَوْ عَلَوْتَ شَاهِقًا مِنَ الْعَلَمِ
 فَالُوا: المقادير تبطل التقدير، وتنتقض التدبير.

قال الشاعر:

إِذَا عَقَدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ عَقْدًا
 فَلَيْسَ يَحْمِلُهُ إِلَّا الْقَضَاءُ^(٥)
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِ:

يَا مُكِلَّ الْعَيْسِ فِي دَعْوَمَةٍ
 يَتَّبِعُ الْأَمَالَ كَالْبَاغِي الْمُضِلَّ

(١) : خصيب .

(٢) ب : نسب .

(٣) في ا : ينحرف .

(٤) البيتان في عيون الأخبار ١/١٤٧ .

(٥) البيت في التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، ومعجم الأدباء ٥/٧٧ .

إِنَّ مِفْتَاحَ الَّذِي تَطْلُبُهُ يَبِيدُ الْمَقْدَارِ^(١) فَاصْبِرْ وَاتَّكِلْ
فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ وَمَنْ مُدَّةَ الْعُمُرِ وَمَنْ وَقْتَ الْأَجَلِ

وقال أبو العتاهية :

وَفَدَّتْ إِلَى اللَّهِ فِي وَفْدِهِ لِأَتَمِسَّ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ
إِذَا مَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا مَضَى وَلَمْ يَقْوَحْ حَىَّ عَلَى رَدِّهِ^(٢)

قال المُفضَّل الضَّبِّي : قيل لأعرابي : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاج .
قلت : فإذا صدروا ؟ فبكي ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش^(٣) . ثم
قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ النَّهْرُ إِلَّا ضَيْقَةٌ فَتَفْرَجُ وَإِلَّا جَدِيدٌ نَاصِرٌ ثُمَّ يَنْهَجُ
أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا كَسْفِرٍ^(٤) تَتَابَعُوا عَلَى مَنْهَجٍ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَأَدْجُوا

فقال البربري^(٥) :

يَا أَيُّهَا الظَّاعِنُ فِي حَظِّهِ إِنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ الْمُقِيمِ
كَمْ مِنْ لَيْبٍ عَاقِلٍ قَلْبٍ مُصَحَّحِ الْجِسْمِ مُقِلِّ عَدِيمِ
وَمَنْ جَهُولٍ مُكْتَرٍ مَالُهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(١) و ١ : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .

(٢) ديوانه ٦٨ .

(٣) و ب : لو كنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ١٤٥/٣ حيث ساء القصة بصورة أخرى .

(٤) و ب : كسفن .

(٥) و ب : البريدي ، تحريف ، وقد سبق ترجمته .

حَظَّكَ يَا تُبَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَرِمْ مَا ضَرَّ مَنْ يُرْزَقُ إِلَّا يَرِيمٌ^(١)

كان يقال : بكرؤوا في طلب الرزق ، فإن النَّجَّاحَ في التَّكْبِيرِ .
قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزقَ فليُنظِرْ كيف يسأل ، فإن الله يرزق
الحلال والحرام ، ولكن ليقل اللهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني .
قالوا : الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبب ، ورزق يأتيك به الله من حيث
لا تحسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً .^(٢)

قال عروة بن أذينة ، أو بكر بن أذينة ، وهو الصحيح^(٣) :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَالْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ^(٤) أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَا تُبَيْ
أَسْمَى إِلَيْهِ فَيُعِينِنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينِنِي
وقال آخر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ وَلَا تَوَثِّرَنَّ الْعَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبِ^(٥)
ألم تر أن الله قال لعريم إليك فهزى الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب^(٦)

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة ب فقط ولم أعر على ما يرجح هذا الرأي فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر
المؤتلف والمختلف ٥٤ ، الأغاني ٢٣٢/١٠ ، وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ، الوافي بالوفيات ٨٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ،
عيون الأخبار ٦٧/٣ ، العقد الفريد ٢٠٥/٣ .

(٤) في م : جارية ، وقد ورد المطر الأول فيما جدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف
من خلقي ، وفي الوفيات : وما الإسراف ، وفي عيون الأخبار : وما الإسراف في طمع ، وفي العقد : وقد علمت
وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من أ .

(٦) البيتان الثاني والثالث في التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزى إليك الجذع .

وقال آخر :

ما يُغلقُ اللهُ بابَ الرِّزْقِ عن أحدٍ
وقال بكر بن حماد^(٢) :

لنَّاسٍ حَرَصَى عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ
نَمِينٌ مُكِبٌّ عَلَيْهَا لَا تَسَاعِدُهُ
لَمْ يُبْذِرْ كَوْهَا بِعَقْلِ عِنْدَمَا قُسِمَتْ
لَوْ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُعَالَبَةٍ
وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المرءُ لم تَتَّعَبْ رَوَاحِلُهُ
ولاني واجدٌ في النَّاسِ وَاحِدَةٌ
ويحرمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ تَعَبِ
ولعل بن هشام^(٤) :

المرءُ يَسْعَى وَيَسْعَى الرِّزْقُ يَطْلُبُهُ
حتى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ جَمْعَهُمَا
وَرُبَّمَا اخْتَلَفَا فِي السَّعْيِ وَالطَّلَبِ
وللاِتِّفَاقِ أَتَاكَ الرِّزْقُ عَنْ كَثَبِ
وقال آخر :

يُخَيِّبُ الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرَهُ
وَيُعْطَى الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ^(٥)

(١) م : بعد .

(٢) في : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سمك الزناني ، أبو عبد الرحمن التاهرتي ، شاعر ، محدث فقيه ، وفي تاريخ الجزائر : إن شعره كثير جدير بالجمع ، توفي بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٣١/٢ ، البيان المغرب ١٥٣/١ ، (الأعلام ٣٧/٢) .

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدي ، عيون الأخبار ١٩٠/٢ ، الأغاني ٢١٦/٥ .

(٤) شاعر بن شعراء الدولة العباسية ، كان سرياً كريماً بعيد الهمة ظاهر المروءة ، توفي سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ١٦/٤ التمثيل والمحاضرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ٢١٤/١ ، البيان والتبيين ٢٤٠/٢ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلاً .
قال الفزّال (١) :

طَالِبُ الرِّزْقِ الحَلَالِ لَا يَفِرُّ نَهَارُهُ وَكَيْبُلُهُ عَلَى سَفَرٍ
فِي الحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَوْقَاتِ المَطَرِ وَمَالِهِ فِي ذَاكَ نَزْرٌ مُحْتَقِرٌ
إِنَّ الحَلَالَ وَحْدَهُ لَا يَحْتَمِرُ أَيْنَ تَرَى مَالاً حَلَالاً قَدْ تَمِرَ
مَا إِنْ رَأَيْنَا صَافِيَا مِنْهُ كَثُرَ

قال الناشئ (٢) :

إِذَا المَرءُ أَحْمَى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ لَصِيحَةٍ أَيَّامٍ تَبِيدُ وَتَنفَدُ
فَمَا بَالُهُ لَا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا لَصِيحَةٍ مَّا يَبْقَى لَهُ وَيُحْتَدُّ
وَقَالَ آخِرُ :

إِنَّ الحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلْبَانَةٌ وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الحَلَالِ نَزُورًا (٣)

قال أكرم بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَاقُنَا مَقْسُومَةٌ وَهَكَذَا! أَجَالُنَا فَمَا تَحُولُ يَبْنِنَا وَيَنْهِنَا أَحْوَالُنَا

(١) يحيى بن الحكم الجبالي ، كان يسمى الفزّال لجماله ، شاعر أندلسي مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأي وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفي سنة ٢٥٠ هـ . أفضل بنية الشمس ٤٨٥ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشئ الأنباري ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومي والبحتري ، ولكنه أعرب في شعره لغزاً شديداً فسقط في بغداد ، وجاء إلى مصر فسكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٢٧٧ .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٨٤ ، وفيه : مصورا بدل نورا ، والمصور بعلية خروج اللبن ، والنزور : قليلة الولد ، أو قليلة اللبن .
(٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فَأَتَّقِي أَنْ أَضِيَا
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لَا يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فَجَعَلَ سُكُوتَكَ لِلَّهِ وَنَجْوَاكَ جَمِيَا
وَكَلُّهُ مُبَوَّسَى وَنُعْمَى سَيِّفَنِيَانِ سَرِيَمَا^(١)

وقال آخر :

يَا رَبِّمَا جَاءَنِي مَالًا أَوْ مَلَهُ
وَرَبِّمَا خَابَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظَرٌ
لو زاد في الرزق حرص أو مُطَالَبَةٌ
ما كان من قد يطيل الكد يفتقر
ولأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخريزمي^(٢) :

أَقْلَى عَلَى اللَّوَمِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي وَجْهِ مَطْلَبٍ
وَلَكِنْ لِهَذَا الرِّزْقِ وَقْتُ مَوْقَتٍ
وَأَسْهَرَنِي طَوْلَ التَّفَكُّرِ إِنِّي
أَرَى فَاجِرًا يُدْعَى جَلِيدًا لِظُلْمِهِ
وَعَقًّا يُسَمَّى عَاجِزًا لِمَعْفَاهِ
وَأَحَقَّ مَصْنُوعًا لَهُ فِي أُمُورِهِ
فَلَمْ يُوْتْ مِنْ حِرْصٍ عَلَى أَمْوَالِ طَالِبِهِ
أَرَى أَنْ فِيهِ مَطْلَبًا فَأَطَالِبُهُ
يُقَسِّمُهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ وَاهْبِئِهِ
عَجِيزًا لِأَمْرِ مَا تُقْضَى عَجَائِبُهُ
وَلَوْ كَلَّفَ التَّقْوَى لَكَلَّتْ مَضَارِبُهُ^(٣)
وَلَوْلَا التَّقَى مَا أَعْجَزَتْهُ مَذَاهِبُهُ
يُسَوِّدُهُ إِخْوَانُهُ وَأَقَارِبُهُ

(١) في ب : سكوتك ... والحراك ، وسيفنيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبو حاتم السجستاني بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الصند ، ثم اتصل بثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المرزى فنسب إليه ، توفي سنة ٥٢٤ هـ . تاريخ بغداد ٦/٣٢٦ ، طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ٤/١٦ .

(٣) ورد هذا البيت في أمكنة :

لل عاجز يدعى جليدا لظلمه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذي يليه في معجم الشعراء ٤١٧ إلى أبي بكر المرزى .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُتَّقَى وَلَا نَائِلٍ جَزَلٍ تُعَدُّ مَوَاهِبُهُ
فَلَيْسَ لِعَجْزِ التَّمْرِ أخطاءُ النَّفْسِ وَلَا بِاحْتِيَالٍ أَدْرَكَ الْمَالَ كاسِبُهُ
وَلَكِنَّهُ قَبْضُ الْإِلَهِ وَبَسْطُهُ فَمَنْ ذَا يَجَارِيهِ وَمَنْ ذَا يُعَالِيهِ

أنشدني خلف بن قاسم ، قال : أنشدنا محمد بن عبيد الله الصَّيِّدَ لَاتِي ، قال :
أنشدنا علي بن سليمان الأخفش :

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمَقِيمُ وَمَا شَدَّ بِمَنْسٍ رَحَلًا وَلَا قَتَبًا^(١)
وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُفْتَرِبًا

وقال محمود الوراق :

قِيَامَةٌ مِنْ مَاتَ فِي مَوْتِهِ وَإِنْخَالٍ مَا شَاعَ^(٢) مِنْ صَوْتِهِ
تَرَى الرَّءْيَ يَجْزَعُ مِنْ فَوْتِ مَا لَعَلَّ السَّلَامَةَ فِي فَوْتِهِ
وَيَفْنِيَنِي وَلَمْ تَفْنِ آمَالُهُ وَإِعْمَالٍ سَوْفَ إِلَى لَيْتِهِ
وَكَمَّ أَرْعَجَ الْحَرِصَ مِنْ رَاغِبٍ إِلَى الصَّيْنِ^(٣) وَالرِّزْقِ فِي يَدَيْهِ

ولأبي الأسود الدؤلي أو المرزبي :

وَعَجِبْتُ لِلدُّنْيَا^(٤) وَحِرْفَةَ أَهْلِهَا وَالرِّزْقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَقْسُومُ

(١) في ١ : وما يشد نسبا ولا رحلا ولا تبا . والبيتان للحكم بن عبد الأسد ، انظر حاسة أبي تمام ٥٠/٢ ، معجم الأدباء ٢٣٩/١٠ . والمنس : الناقة العوية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) في ١ : إلى الصيق .

(٤) ١ : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبي الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى
مِمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِي أَنَّهُ
مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ
رِزْقٌ مُوَافٍ (١) وَقْتُهُ مَعْلُومٌ

وقال آخر:

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْعَرُ رِزْقًا
وَأَصِيلٌ مِنَ الرِّجَالِ نَبِيلٌ (٢)
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَحْمَقٍ مَرْزُوقٍ
سَدَّ عَنْهُ الْحِرْمَانُ كُلَّ طَرِيقٍ

وقال آخر:

الرِّزْقُ يَا بُنَى قَدْرًا عَلَى مَهَلٍ (٣)
وَالْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ الْعَجَلِ

وقال آخر:

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ وَالْآفَاتِ وَالْمَلَكَةِ
مَنْ غَيْرِ (٤) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا
لَا تَمَجِّلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَةِ
وَمَنْ أَدَارَ عَلَى أَرْجَائِهَا فَلَكَةِ
أَمَّا تَرَى الْبَحْرَ وَالصَّيَادُ تَضْرِبُهُ
يَجْرُهُ أَذْيَالُهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ
عَقْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَلِّكَ السَّمَكَةَ
وَالْحَوْتَ قَدْ شَكَّ سَقُودَ الرِّدَى حَنَكَةَ
حَتَّى إِذَا رَاحَ مَسْرُورًا يَهَا فَرِحًا
فَصِيرَتْ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَ
أَتَى إِلَيْكَ بِهِ رِزْقًا بِلَا تَعَبٍ
هَذَا يَمِيدُ وَهَذَا يَا أَكْلُ السَّمَكَةَ
لُطْفًا مِنَ اللَّهِ يُعْطَى ذَا بِحِيلَتِهِ

(١) في ١. سواء: وفي الديوان، والكامل المحروم بدل العاجز.

(٢) ساقط من ب.

(٣) في ب: الرزق يأتي مقدوراً على عجل، والنظر البيت في البيان والتبيين ٣/٣٨٠.

(٤) ب: من عند.

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّي بغير ما يعنيني وطِلَابِي فَوْقَ الَّذِي يَكْفِينِي
ولو أتى كفتت لم أبغ رزقي كان رزقي هو الذي يَبغِينِي
أَحْمَدُ اللهَ ذَا المَعَارِجِ شُكْرًا مَا عَلِيهَا إِلَّا ضَعِيفُ اليَقِينِ (١)
وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّمَطُّلِ صَائِرٌ وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِمَرْءٍ مَنَفَعَةٌ
إِذَا كَانَتْ الأَرْزَاقُ فِي القَرِيبِ والنَّوَى عَلَيْكَ سِوَاهُ فَاعْتَمِ لَنَّةَ الدَّعَةِ
وَإِنْ ضِيقَتْ فَاصْبِرْ يَكشِفُ اللهُ مَا تَرَى فَيَأْرُبُ ضَيْقِي فِي جِوَارِيهِ سَعَةً (٢)
وقال آخر :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الأَمْرَ مَقْدُورٌ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ مَسْطُورٌ
وَالرِّزْقُ وَالخَلْقُ وَالْأَجَالُ قَدْ قَسَمَتْ وَأَحْكَمَتْهَا وَزَمَّتْهَا المَقَادِيرُ
فَلَيْسَ يَقْدِرُ مَرَّةً صَرْفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدَايِيرُ
كَمْ مَنْ رَأَيْنَاهُ ذَا مَالٍ وَذَا سَعَةٍ وَذَا غَضَارَةٍ عَيْشٍ وَهُوَ مَحْبُورٌ
لَا يَعْرِفُ اللهُ جَهْلًا خَاطِبًا مُحَقًّا لَوْ لَا (٣) غِنَاهُ لَمَافَتْهُ الخَنَازِيرُ
لَمْ يَرْكَبِ الهَوْلَ فِي قَفْرِ وَلَا لُجَجٍ وَلَا تَكَلَّفَ أَمْرًا فِيهِ تَغْيِيرٌ
لَكِنَّ أُنَاهُ النِّعَى حَتَّى أَنَاخَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ فِيهِ تَفْكِيرٌ (٤)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغلي ...
(٢) الأبيات لعلى بن الجهم . انظر . جم الأدباء ٥٤/١٩ .
(٣) في ب : لو .
(٤) في ب : وما تقدم فيه منه تفكير .

بدرهم^(٢). فان كنا أصبنا إرادتك فذاك ، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك ، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال للزبير «يا زبير! إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن أكثر كثر له ، ومن قل قل له » . قال الواقدي : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! قد نسيت هذا الحديث ، فكان تذكارك إياي له أعجب إلي من الجائزة .

قال أبو العتاهية^(٣) :

إِذَا مَا الْمَرْءُ صِرَتْ إِلَى سُؤَالِهِ فَمَا تُعْطِيهِ أَكْثَرُ مِنْ نَوَالِهِ
وَمَنْ عَرَفَ الْمُحَامِدَ جَدًّا فِيهَا وَحَنَّ إِلَى الْمَكَارِمِ بِاِحْتِيَالِهِ^(٤)
وَلَمْ يَسْتَغْلِ مُحَمَّدًا^(٥) بِمَالٍ وَلَوْ كَانَتْ تُحِيطُ بِكُلِّ مَالَةٍ
عِيَالُ اللَّهِ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَبَتْهُمُ الْمَكَارِمَ فِي عِيَالِهِ

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر رضى الله عنه :

تَعَفُّفُ الْمَرْءِ عَنْ سُؤَالِهِ وَكَسْبُهُ الْجِلَّ بِاِحْتِيَالِهِ
وَسَعْمِيَّةٌ فِي صَلَاحِ عَيْشِهِ لِمَنْ يُوَارِيهِ مِنْ عِيَالِهِ
مُرُوءَةٌ وَبَالِغٌ بِهَا^(٥) مَنْ يَبْلُغُهَا مُنْتَهَى كَمَالِهِ

(١) في إباب الآداب ٨٣ أنها مائة ألب درهم .

(٢) ديوانه ٢٣٠ .

(٣) في البيوان : إلى المحامد باحتياله .

(٤) في ب : ولم تشغله .

(٥) في ب : ومنها .

وَمَنْ يَصْنُ وَجْهَهُ زِينَةً
وَضَى النَّقَى بِالْقَضَاءِ عِزًّا
صِيَانَةَ الْوَجْهِ مِنْ جَمَالَةٍ
وَذَلَّةُ الْوَجْهِ فِي ابْتِدَالِ

وَأَبَى دَلْفِ السَّجَلِيِّ (١) :

بَلَوْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طَرًّا
وَلَمْ أَرَفِي الْخُطُوبَ أَشَدَّ هَوْلًا (٢)
فَمَا شَيْءٌ أَمَرَ مِنَ السُّؤَالِ
وَأَصْعَبَ مِنْ مَعَادَاةِ الرَّجَالِ (٣)

وقال أعرابي:

عَلَّامَ سُؤَالِ النَّاسِ وَالرُّزْقِ وَاسِعٌ
وَفِي الْعَيْشِ (٤) أَوْطَارٌ وَفِي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ
وَأَنْتَ صَحِيحٌ لَمْ تَمُخَّكَ الْأَصَابِعُ
عَرِيضٌ مُوَبَّابُ الرُّزْقِ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
فَكُنْ طَالِبًا لِلرُّزْقِ مِنْ رَازِقِ الْغِنَى
وَخَلِّ سُؤَالَ النَّاسِ فَاللَّهُ صَانِعٌ
وحجج هارون الرشيد ، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه ،
فقال ، يا أمير المؤمنين ! قد سألتني الناس فامتنعت عليهم ، ولكنني أجلس لبنيك
وللناس ، فقال : نعم . فلما جلس صاح به الناس : سأ لناك الجلوس لنا فأبيت علينا ،
فلما جاءك المال والجائزة جلست . فقال للمستعلى : أنصتتم لي . فصاح المستعلى :
صه صه . فسكت الناس ، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم ، وقال : حدثني
الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شيء »

(١) ن ١ : وقال آخر .

(٢) ن ١ : ما .

(٣) البيتان لأبي الناهية كما في ديوانه ٢٠٧ ، وفيه : وذلت مرارة ... الخ ، ونسبت للأموه الأودي في
عيون الأخبار ١١٣/٢ .

(٤) ن ١ : وللعيش .

أحل وأطيب من ثلاثة : صداق الزوجة ، والميراث ، وما أتاك الله به من غير مسألة ، فإنه رزق ساقه الله إليك » . والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله ، ولو وجه إلى شطر ماله لقبته ، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء^(١) .

أشخص المنصور سواراً القاضى^(٢) من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافه فيه ، فر بواسط ، وفيها يحيى بن سعيد الأنصارى^(٣) يتولى القضاء ، فدل^(٤) عليه ، فقال له : ألك حاجة إلى أمير المؤمنين ؟ قال : نعم يعفني من القضاء . فقال سوار للمنصور إذ^(٥) قدم عليه ، وكله فيما أراد : يا أمير المؤمنين ! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم . قال : هيه . قال : يحيى بن سعيد تمفيه من القضاء . قال : قد أعفيتها . فلما انحدر سوار مرّ بواسط ، فقال ليحيى بن سعيد : قد أعفاك أمير المؤمنين . فقال : لا جزاك الله خيراً عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست^(٦) مائة درهم في كل شهر .

كأنه أراد أن يعرض ولا يحقق .

كان الحسن البصرى رحمه الله يقول : لا يردّ جوائزهم إلا أحقّ أو مرّاء ، وقد ذكرنا من رأى^(٧) قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم . ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب « التمهيد » والحمد لله .

(١) زيادة من ب .

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري ، من أهل البصرة ولقضاءها لأبي جعفر المنصور ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، له أخبار مشهورة في العدل والورع توفي سنة ١٥٦ هـ . تهذيب تهذيب/٢٦٩ ، تاريخ بغداد ٢١٠/٩ .

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى الجارى ، من أكابر أهل الحديث ولقضاء المدينة في زمن بني أمية ، ثم رحل إلى العراق فولاه أبو جعفر قضاء الحيرة وتولى بالهاشمية سنة ١٤٣ هـ . تهذيب التهذيب ٢٢١/١١ ، تاريخ بغداد ١٠١/١٤ .

(٥) ب : إدا .

(٧) ساقط من أ .

(٤) ب : فذل .

(٦) أ : السنة .

قال مُطَرِّفُ بن الشَّخِيرِ^(١) : إذا كانت لأحدكم إلى حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها ، فإنني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذل المسألة .

وقد روى عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك ، وتمثل :

ما اعتاضَ باذلاً وَجْهَهُ بِسُؤَالِهِ عِوَضًا وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسُؤَالِ
وَإِذَا السُّؤَالُ مَعَ النَّوَالِ وَزَنْتَهُ رَجَحَ السُّؤَالُ وَخَفَّ كُلُّ نِوَالٍ^(٢)

لبعض الكتاب إلى عبدالله بن طاهر :

وَلَقَدْ عَامِتُ وَإِنْ نَصَبْتُ^(٣) لِي أُمْنَى أَنْ الْخِصَاصَةَ لَا تُدَاوِي بِالْمُنَى
فَلَيْتَ وَفَيْتَ لَا نَهْضَنَ بِسُكْرِكُمْ وَلَيْتَ أَيْتَ لِأَحْلَنَ عَلَى الْقِضَا
فَأُنْجِزَ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بن طَاهِرٍ عِدَّتَهُ .

قال الحسن بن عبيد البغدادى :

صُنِ الوَجْهَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَصْنُهُ بَقِيَتْ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلُ
وَعِشْ حُرًّا وَلَا يَحْمِلُكَ ضُرٌّ عَلَى مَرَعَى لَهُ غِبٌّ وَبِيلُ
فَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا الصَّبْرَ حَتَّى يُدِيلَ الْبَسْرَ مِنْ عُسْرٍ مُدِيلٍ^(٤)
أَلَيْسَ لِكُلِّ آفَلَةٍ طُلُوعٌ بَلَى وَلِكُلِّ طَالِعَةٍ أَفُولُ

(١) الحرشي العامري ، زاهد من كبار التابعين ، وعدت ثقة . له كلمات في الحكم مأثورة ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة ، توفي سنة ٨٧ هـ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/١ ، وفيات الأعيان ٩٧/٢ .

(٢) البيتان لأبي العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، لباب الآداب ٣٠٧ .

(٣) ب : لن يصيب .

(٤) ب : يزيل البسر من عسر مزبل .

وكان أبان بن عثمان رحمه الله يتمثل :

مَالِي تِلَادٌ وَلَا اسْتَطَرَفْتُ مِنْ نَسَبِ . وَمَا أُؤَمِّلُ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
إِنِّي لِأَكْرَمِ وَجْهِي أَنْ أُوجِبَهُ . عِنْدَ السُّؤَالِ لَغَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عِزُّ الْقِنَاعَةِ وَالْإِيمَانُ يَمْنَعُنِي . مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْمَنَانَةِ النَّكِدِ
رَضِيتُ بِاللَّهِ فِي (١) يَوْمِي وَفِي غَدِهِ . وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

قال أبو العتاهية :

أَتَدْرِي أَيَّ ذُلٍّ فِي السُّؤَالِ . وَفِي بَدْلِ الْوُجُوهِ إِلَى الرَّجَالِ
يَعِزُّ عَلَى التَّزَهُ مِنْ رِعَاةٍ . وَيَسْتَنْغِي الْعَفِيفُ بغيرِ مَالِ
إِذَا كَانَ السُّؤَالُ يَبْذُلُ وَجْهِي . فَلَا قُرْبُتُ مِنْ ذَاكَ النَّوَالِ
مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خُلُقِ دَنِيٍّ . يَكُونُ الْفَضْلُ فِيهِ عَلَى لَالِي (٢)

وقال أيضاً :

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا . سَائِلًا مَا رَحْمَتُهُ (٣)
وَأَبِي دَلْفٍ أَوْ لَعِبِدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :
أَمْجَلُنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرِّنَا . قَلَّا وَلَوْ أَمْهَلْتَنَا لَمْ يَنْقَلِ (٤)

(١) ب : من .

(٢) ديوانه ٢٢٦ .

(٣) ديوانه : ٢٥٥ ، وفيه : ما وصلوه .

(٤) ونسب البيت في العمدة الفريد ٢٨٧/١ إلى الحسن بن وهب ، وانظره في عيون الأخبار ١/٢٢٤ .

وقال عبدُ الصمد بن الممدّل^(١) ، في حين قدوم يحيى بن أكرم البصرة ، قالت له امرأته : لو أتيتك فسألتك ، فقال :

تُكَلِّفُنِي إِذْلَالَ نَفْسِي لِمِزْهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتُكْرَمَا
تقول : سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنِ أَكْرَمٍ . فقالت : سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بْنِ أَكْرَمٍ^(٢)
وقال مسلم بن الوليد :

أقول لما أفون البديهة طائر مع الحرص لم ينغم ولم يتمول
يسأل الناس إني سأئل الله وحده وصاين عريضي عن فلان وعن فل^(٣)
قال حبيب :

وما أبالي وخير القول أصدفه حَفَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أُمِّ حَفَنْتَ دَمِي^(٤)
قال محمود الوراق :

يا أيها الطالب من مثله رِزْقًا لَهُ جُرْتَ عَنِ الْحِكْمَةِ
لا تطلب الرزق إلى طالبٍ مِثْلَكَ مُتَحَاجِرٍ إِلَى الرَّحْمَةِ
وارغب إلى الله الذي لم يرزق في يده النعمة والنقمة^(٥)
وقال يونس^(٦) :

(١) العبدى ، من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ في البصرة ، وكان هجاء شديد العارضة . توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر فوات الوفيات ١/٢٧٧ ، الموضع للمريزبانى ٢٤٦ (الأعلام ٤/١٣٤) .
(٢) البستان في وفيات الأعيان ٦/٦٢ ، السكائل ١/٢٣٣ .
(٣) ديوانه ٢٠٦ ، عيون الأخبار ١/٣٣٠ .
(٤) ديوانه ١٤٥ ، القصد الفريد ٥/٢٧٩ ، نهاية الأرب ٢/١١٠ ، فصل المقال ٢٩٣ .
(٥) ساقط من ب .
(٦) الأرجح أنه يونس بن عبيد ، شيخ البصرة وعهدتها ، وكان يتكسب من بيع الخبز ، ولد له النعمي .
نه أحد أعلام الهدى ، توفي سنة ١٣٩ هـ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي ، ٥/٣١٨ ، تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢ (الأعلام ٩/٣٤٦) .

إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الْأَبْوَابِ حِرْمَانٌ
 حَتَّى تَأْمَلَ مَخْلُوقًا وَتَقْصِدَهُ
 عِبْطَاؤُهُ لَكَ إِنْ أَعْطَاكَ ضِعْمَهُ (١)
 ثِقَ بِالَّذِي هُوَ يُعْطِي ذَا وَيَمْنَعُ ذَا

٢١ قال محمود الوراق :

إِنَّ السُّؤَالَ - فَعَدَّ عَنْهُ - قَلِيلُهُ
 وَالْحَالُ تَقَعُدُّ بِالكَرِيمِ فَا تَرَى
 تَمَنَّيَ لِكُلِّ عَطِيَّةٍ أَوْ مَالٍ
 فِيهِ لِعِزَّتِهِ تَغْيِيرَ حَالٍ (٢)

وقال أيضاً :

شَادَ الْمُلُوكُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا
 غَالُوا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ تَمَنُّعًا
 فَاطْلُبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَسْكُنْ
 مِنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
 قَدْ بَالَغُوا فِي قُبْحِ وَجْهِ الْحَاجِبِ (٣)

وقال النمر بن تولب :

لَا تَفْضَبَنَّ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ
 وَعَلَى كَرَامَتِي صُلْبِ مَالِكٍ فَانْغَضِبْ (٤)

وقال عبيد بن الأبرص :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَجْرِمُوهُ
 وَمَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ (٥)

(١) في ١ : إن أعطاك ضيعة .

(٢) في ب : لمنها وتائقوا ، وفي العقد الفريد ٨٦/١ : لعزها وتوقوا بمعنى بالغوا أيضاً .

(٤) الشعر والشعراء ٢٦٩ ، طبقات فحول الشعراء ١٣٣ ، مختارات ابن السجري ١٦ .

(٥) الشعر والشعراء ١٤٥ ، عيون الأخبار ١٨٨/٣ ، العقد الفريد ٢٤٨/٤ .

وقال النمر بن تولب :

وَمَتَى تُصِيبَكَ خِصَاصَةٌ فَارْجُ الْغِنَى
وَإِلَى الَّذِي يَهَبُ الرَّغَائِبَ فَارْتَعِبِ^(١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا
لِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْعَرِضُ مُوَافِرٌ^(٢)

وقال سلم الخاسر :

وَفَنَى خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنَ الْمَرْوَةِ غَيْرُ خَالِ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ^(٣)

قال قيس بن عاصم : إياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجل .

دخل أعرابي على داود بن مزيد المهلبى ، فقال : إني لم أصن وجهى عن مسألتك ،
فصن وجهك عن ردى ، وضعنى من كرمك بحيث وضعتك من أملى فيك . قال :
قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وهى أكثر من فدرك . قال : والله لئن جاوزت
قدرى فإبلاغت قدرك .

قال أبو الفرج البغواء :

مَا الذُّلُّ إِلَّا تَحَمُّلُ الْمَنِّ فَكُنْ عَزِيزًا إِنْ شِئْتَ أَوْ فِهِنًا^(٤)

(١) انظر مراجع البيت فى هامش رقم ٤ فى الصفحة السابقة .

(٢) ديوانه ٣٨ ، ونردد فى لسبثها فى المقدم ٢٧٨/١ بين المنذر بن أبى سبرة وبين أبى الأسود .

(٣) ورد البيتان فى معجم الأدباء ٢٤١/١١ ، لباب الآداب ٣٠٨ البيان ٣/٣١٣ ، منسوبة لسلم ، ونسبها فى
فصل المقال ٢٩٣ لأشجع السلمى ، وورد البيت الثانى فى حماسة البجترى ٢٣١ بدون نسبة .

(٤) ينيمة الدهر ٢٢٩/١ ، نهاية الأرب ٣/١٠٦ .

وقال آخر :

أَمِنْ بَيْتِ الْكِلَابِ طَلَبْتَ عَظْمًا لَقَدْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْمُحَالِ (١)

وقال آخر :

لَعَنَ اللَّهُ نَائِلًا تَرْتَجِيهِ مِنْ يَدَيَّ مَنْ (٢) تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
أَيُّ فَضْلٍ لِصَاحِبِ الْفَضْلِ مِنْ بَعْدِ تَقَاضِيهِ وَابْتِدَالِ الْوُجُوهِ
إِنَّمَا الْفَضْلُ وَالسَّمَّاحُ لِمَنْ يُعْطَى طَيْبَكَ عَفْوًا وَمَاءَ وَجْهِكَ فِيهِ
أَيُّهَا الدَّائِبُ الْحَرِيصُ الْمَعْنَى (٣) لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ
فَبَسَلِ اللَّهُ وَحَدَهُ وَدَعِ النَّاسَ وَأَسْخِطْهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
أَنْ تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللَّهُ وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

وقال آخر :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا فَخَالِلٍ مِثْلَ حَسَانِ بْنِ سَعْدٍ (٤)
فَتَى لَا يَرِزَأُ الْإِخْوَانَ شَيْئًا وَيَرِزُوهُ الْجَلِيلُ بِغَيْرِ كَدٍّ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الْأَعْرَابِ شَيْئًا حَمَدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِي (٥)

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ .

(٢) ب : ما .

(٣) ب : تأيد .

(٤) ب : ابن عبد ، والبيتان للفردق في مدح حسان بن سعد أسدي من أهل الكوفة وكان والي البحرين،

ويعني ليني أسد مسجدهم بالبصرة ، شرح ديوان الفردق ١٥٣ .

(٥) انظر البيت في صيغون الأخبار ٣/١٣٤ بدون نسبة، وقد نسبها في السكامل ١/٢٠٨ إلى أبي فرعون المدوي.

وقال أعرابي :

إِنَّ الْمَسَائِلَ لِلرِّجَالِ مَذَلَّةٌ تَفْنَى مَنَافِعُهَا وَيَخْلُدُ عَارُهَا .

وقال آخر :

يَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَيُصْبِحُ يُبْلِقُ^(١) ضَاحِكًا مُتَبَسِّمًا
وَلَا يَسْأَلُ الْمُثْرِينَ مَا فِي رِحَالِهِمْ وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَتَدْرَهَمَا
وَلَا يَسْأَلُنْ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً^(٢)

وقال ربيعة الرُّقِّي :

وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
فَإِنَّ اللَّيِّمَ وَإِنْ خَاتَمَهُ كَرِيمًا يَذُودُكَ عَنْ عُرْفِهِ
وَيَرْجِعُ مَحْصُولُ أَخْلَاقِهِ إِلَى أَصْلِهِ وَإِلَى صِنْفِهِ
وَكُلُّ مُمْقِلٍ وَذِي مَرَوَّةٍ فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مِنْ^(٤) خَلْفِهِ

وقال محمود الوراق :

اسْأَلِ الْعُرْفَ إِنْ سَأَلْتَ كَرِيمًا لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْغِنَى وَالْبَشَارَا

(١) مي ا : منها .

(٢) في ا : ولا سائل من قد كان سيل مرة .

(٣) مي ب : سفيلة .

(٤) مي ب : في .

فَقَلِيلُ الشَّرِيفِ يُكْسِبُ مَجْدًا وَكَثِيرُ التَّوَضُّعِ يُكْسِبُ عَارًا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الدُّلِّ بَدًّا فَالْقَى بِالذُّلِّ إِنْ لَقِيتَ الكِبَارَا
لَيْسَ إِجْلَالُكَ الكَبِيرِ بِذُلِّ إِنَّمَا الدُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصَّغَارَا
وقال أيضا :

يا أيها المتعبُ نُزِلَ الجَلَانُ وَطَالِبَ الحَاجَاتِ مِنْ ذِي النَّوَالِ
لَا تَحْسَبَنَّ المَوْتَ مَوْتَ البَلِي فَإِنَّمَا المَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ^(١)

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق :

بَخِلْتُ وَلَيْسَ البُخْلُ مِثِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ رَأَيْتُ الفَقْرَ شَرًّا سَبِيلِ
لَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ مِنَ البُخْلِ لِالْفَتَى وَلِلْبُخْلِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ البَخِيلِ
فَلَا تَسْأَلَنَّ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً فَلَمَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَثُولِ
لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لَوَجْهِكَ قِيَمَةٌ فَلَا تَلْقَ إِنْسَانًا بِوَجْهِ ذَلِيلِ^(٢)

وقال ابن المعتز :

يَارُبَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ فَقَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الذَّلِيلِ
فَأَشَدُّ عُرَى مَالِكَ وَاسْتَبْقَهُ فَالْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ البَخِيلِ^(٣)

(١) اظر البيتين الثاني والثالث فقط في باب الآداب ٣٠٦ ، والبازل : الشديده القوي .

(٢) الأبيات في باب الآداب ٣٠٧ ، والبيت الثاني فيه : لموت الفتى خير من الموت لالفتى وللموت خير... إلخ .

(٣) البيان في زهر الآداب ٣/٢٤٧ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٤٣ .

وقال أعرابي لص :

وإني لأستحبي من الله أن أرى أطوفُ بجبلٍ لئسَ فيهَ بَعيرٌ
 وأنَّ أسألَ آراءَ اللّئيمِ (١) بَعيرُهُ وبُعْرانُ رَبِّي في البلادِ كثيرٌ (٢)
 وفي التمهيد أبيات في هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها (٣) ها هنا .

(١) في ١ : اللئيم .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٢٣٧/١ ، غير ملسويين ، وهما للأحيمر الله بى كما في المؤلف والمختلف ١٦٦ .

(٣) في ب : لمن أذكرها .

بابُ انتِظارِ الفَرَجِ (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتظار الفرج بالصبر (٢) عبادة » .

ويروى لأبي محجن الثقفي :

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ (٣) اللَّهُ إِنَّهُ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ
عَسَى مَا تَرَى أَلَّا يَدُومَ وَأَنْ تَرَى لَهُ فَرَجًا تَمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ
إِذَا اشْتَدَّ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فَإِنَّهُ قَضَى اللَّهُ أَنْ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ الْيُسْرُ (٤)
وقال الأضبط بن قريع :

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ وَالْمَسِيُّ وَالصَّبْحُ لَا بَقَاءَ (٥) مَعَهُ (٦)
وقال آخر :

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا وَكُلِّ الْأُمُورَ إِلَى الْقَضَا
وَابْشِرْ بِخَيْرِ (٧) عَاجِلٍ تَنْسَى بِهِ مَا قَدْ مَضَى
فَلَرَبُّ أَمْرٍ مُسَخِّطٍ لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ الرِّضَا

(٨) كان يقال : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ا .

(٣) و ب : من .

(٤) التمثيل والمحاضرة : ١٠ ، لباب الآداب ٦٣ .

(٥) ل ب : والمعنى . وفي ا : لافلاح .

(٦) البيت في الشعر والشعر ٢٢٦ ، والشطر الأول فيه : لكل ضيق من المهموم سعة ، وانظره في

البيان ٣/٣٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٠ ، أمالي القائل ١/٧٠ .

(٧) ل ب : ببشر .

(٨) يبدأ من هنا قسم يبلغ ثلاث ورقات من النسخة ب .

قال الشاعر :

كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ أَرْجَى مِنْكَ يَوْمًا لِمَا لَهُ أَنْتَ رَاجٍ
 إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَطْلُبَ نَارًا مِنْ ضِيَاءِ رَأَاهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
 فَأَتَى أُمَّلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّهَ وَنَاجَاهُ وَهُوَ خَيْرُ مُنَاجٍ
 وَكَذَا الْأَمْرُ كُلَّمَا صَاقَ بَالِنَا سِ اتَى اللَّهُ فِيهِ سَاعَةٌ بِالْانْفِرَاجِ

وقال منصور الفقيه :

* وَمَا عَسْرُهُ لِيُنتَظِرَ الْفَرَجَ *

وقال بشار :

خَلِيلِيَّ إِنَّ الصَّبْرَ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ
 وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي التَّقَى أَوْ فِي التَّحَامِدِ سَوْقُ
 وَلَا صَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنِ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرُّجَالِ تَضِيقُ^(١)

وقال آخر :

رَوْحُ فُؤَادِكَ بِالرِّضَا تَرْجِعُ إِلَى رَوْحِ رَطِيبِ
 لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ أَلَحَّ الدَّهْرُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبِ^(٢)

وقال آخر :

كَعَمْرِكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ صَائِرٌ وَلَا كُلُّ مَسْعَى فِيهِ لِلْحَمْرِ مَنَفَعَةٌ

(١) البيان والتبيين ١/١٨٩، المختار من شعر بشار ٢١٤، وفيه إن العسر بدل الصبر في الشطرة الأولى .
 (٢) لباب الآداب ٢٤٧، مجموعة المثنى ٦٢ .

إِذَا كُنَّاتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سَوَاءٌ فَأَغْتَنِمُ لَذَّةَ الدَّعَةِ
وَإِنْ صِنِقَتْ فَاصْبِرْ يُفْرِجِ اللَّهُ مَا تَرَى أَلَا رَبُّ ضَيْقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَهُ^(١)

وقال آخر:

رُبَّمَا خَيْرَ لِامْرِئٍ وَهُوَ لِلْأَمْرِ كَارِهِ
رُبَّ خَيْرٍ أَتَاكَ مِنْ حَيْثُ تَأْتَى الْمَكَارِهِ^(٢)

وقال أحمد بن محمود، وقيل إنها لأحمد بن صالح:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى النَّاسِ الْخَطُوبُ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتِ وَأَرْسَتِ فِي أَمَاكِنِهَا الْخَطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لَانْفِرَاجِ الضَّيْقِ وَجْهًا وَقَدْ أَعْيَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْتٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ
وَمَوْلَانَا الْإِلَٰهَ فَخَيْرُ مَوْلَى لَهُ إِحْسَانُهُ وَلَنَا الذُّنُوبُ^(٣)

وقال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي نَوَائِبَ هَذَا الدَّهْرِ أَمْ كَيْفَ يَحْذَرُ
يَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يَتَّقِي فَيَخَافُهُ وَمَالًا يَرَى مِمَّا يَتَّقِي اللَّهُ أَكْبَرُ^(٤)

(١) الأبيات لعلي بن الجهم، وقد سبقت في ص ١٤٨

(٢) فصل المقال ٣١٦، لباب الآداب ١١٠، بدون نسبة.

(٣) وردت الأبيات عدا الأخير مفسومة إلى ابن السكيت في وفيات الأعيان ٤٤٢/٥، وانظرها في أمال القائل

(٤) ٣٠٣/٢٧، ٣٠٤، لباب الآداب ٣٦١، مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية.

(٤) البيتان في ميون الأخبار ١/٢٠٦٤.

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الْحَادِثَاتُ بَاغَيْنَ الْمَدَى وَكَادَتْ لَهْنٌ تَذُوبُ الْمُهْجِ
وَحَلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْوَقَا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الْفَرَجُ

وقال آخر :

وَاصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ إِنْ أَصْبَحْتَ مُنْفَعِرًا بِالضِّيقِ فِي لُجَجِ تَهْوِي إِلَى لَجَجِ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمًا بِاللَّهِ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ بِالْفَرَجِ
لَا تَيَاسَنَّ إِذَا مَا ضِقَّتْ مِنْ فَرَجٍ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ فِي الرُّوحَاتِ وَالذَّلَجِ
وَإِنْ تَضَاقَ بِأَبْ عَنكَ مُرْتَجِحٌ فَاطَّابُ لِنَفْسِكَ بِأَبَا غَيْرِ مُرْتَجِحِ (١)

قال أبو العتاهية في نفيح حاجب موسى الهادي :

مَا تَرَى عِنْدَ نَفِيحِ مَنْفَعَةٍ فَسَلِ الرَّحْمَنَ رِزْقًا فِي دَعَا
إِنْ يَكُنْ أَمْسَكَ عَنَّا نَيْلُهُ فَسَيُعْنِي اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعَا (٢)

وقال أبو العتاهية :

النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا ذُوو دَرَجٍ وَالْمَالُ مَا بَيْنَ مَوْقُوفٍ وَمُخْتَلَجٍ
مَنْ صَاقَ عَنكَ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فِي كُلِّ وَجْهِ مَضِيْقٍ وَجْهُ مُنْفَرَجٍ
قَدْ يُدْرِكُ الرَّاقِدُ الْهَادِي بِرَقْدَتِهِ وَقَدْ يَخِيْبُ أَبُو الرُّوحَاتِ وَالذَّلَجِ
خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا وَأَضْبَقُ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ (٣)

(١) مجموعة المعاني ١٣ ، المحاسن والساوى ٢/٢٠٦ .

(٢) البيان في ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ٦١ .

وقال آخر :

سَأْصَبِرُ لِلزَّمَانِ وَإِنْ رَمَانِي بِأَحْدَاثٍ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا يَدُورُ بِهِ القَضَاءُ المُسْتَدِيرُ

ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله عنه ، وقيل إنها لسهل الوراق ، والله أعلم :

سَيُفْتَحُ بَابٌ إِذَا سُدَّ بَابٌ نَعَمْ وَتَهْوُنُ الأُمُورُ الصَّعَابُ
وَيَتَسَمَّعُ الحَالُ مِنْ بَعْدِ مَا تَضِيقُ المَذَاهِبُ فِيهَا الرُّحَابُ
مَعَ الهَمِّ يُسْرَانِ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَا الهَمُّ يُجِدِي وَلَا الإِكْتِنَابُ
فَكَمْ صَنَعْتَ ذَرْعًا جَا هَيْبَتَهُ فَلَمْ يَرِ مِنْ ذَلِكَ قَدْرٌ يَهَابُ
وَكَمْ بَرَدَ خِفَّتَهُ مِنْ سَحَابٍ فَعُوفِيَتْ وَانْجَابَ عَنْكَ السَّحَابُ
وَرِزْقُ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ وَلَا أَرَقَ العَيْنَ مِنْهُ الطَّلَابُ
وَنَاءَ عَنِ الأَهْلِ ذِي غُرْبَةٍ أُتِيحَ لَهُ بَعْدَ يَأْسِ إِيَابُ
وَنَاجٍ مِنَ البَحْرِ مِنْ بَعْدِ مَا عَلَاهُ مِنَ المَوْجِ طَائِمُ عُبَابُ
إِذَا احْتَجَبَ النَّاسُ عَنْ سَائِلٍ فَمَا دُونَ سَائِلِ رَبِّي حِجَابُ
يَعُودُ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مَنْ رَجَاهُ وَرَاجِيهِ فِي كُلِّ حِينٍ يُجَابُ
فَلَا تَأْسَ يَوْمًا عَلَيَّ فَائِتٍ وَعِنْدَكَ مِنْهُ رِضًا وَاحْتِسَابُ
فَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنِ مَا خُطِّ فِي كِتَابِكَ تُحِبِّي بِهِ أَوْ تُصَابُ
مَنْ حَاطِلٌ دُونَ مَا فِي الكِتَابِ وَمَنْ مُرْسِلٌ مَا أَبَاهُ الكِتَابُ

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب .

وقال محمد بن يسير^(١) :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَّاسَنَ وَإِنْ طَالَتْ مُطَابَبَةٌ
أَخْلَقَ بِنَدَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ
فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
وَمُدَّ مِنْ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ

وقال محمد بن حازم الباهلي :

هُوَ عَلَىكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ يَنْقَطِعُ
فَكُلُّهُمَّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
وَوَخَلَّ عَنْكَ عِنَانَ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ
وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ
فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْأَمْرَ يَبْعُدُ بَعْدَ قُرْبٍ
فَلَا تَفْرَحْ بِأَمْرٍ إِنْ تَدَانَى
وَيَدْنُو الْأَمْرُ بِالْقَدْرِ الْمَسُوقِ
وَلَا تَيَّاسِنْ مِنَ الْأَمْرِ السَّحِيقِ

وقال ابن المبارك :

مَا أَقْرَبَ الْأَشْيَاءَ حِينَ يَسُوقُهَا
قَدْرٌ وَأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ تُقَدَّرِ^(٢)

وقال آخر :

إِنْ يَكُنْ يَوْمِي تَوَلَّى سَعْدُهُ
وَتَدَاعَى لِي بِنَحْسٍ وَتَكْدُ

(١) محمد بن يسير الرياسي البصري ، شاعر محسن ، تولى سنة ٢١٠ هـ ، انظر ترجمته والأبيات في سمد اللالي ١٠٤ ، وانظرها في العقد الفريد ٢٨٠/١ .

(٢) ورد البيت في حماسة البحتري ٢٤٦ ، منسوباً إلى عبد الله بن يزيد الهلالي ، ونسب في معجم الأدباء ٩٤/٩٤ إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني ، المعروف بالهذلي أو الكندي ، وانظره في عيون الأخبار ١٣٣/٢ ، لباب الآداب ٣٦١ ، من غير نسبة .

فَلَمَّا لَّهِ اللهُ يَقْضِي فَرَجًا فِي غَدٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَعْدَ غَدٍ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكَ حَسَنًا أَمْسَنَ وَسَوَّى أَوْدَكَ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيِّكْفِيكَ غَدَكَ

قال العبسي : خرجت حاجباً فضاقت صدري ، فجعلت أقول :

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَمْسَى عَلَى الذَّلِّ لَهُ أَصْلَحَ

فإذا هاتف من ورائي يقول :

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي يَرَى الْهَمَّ بِهِ بَرَّخَ
إِذَا ضَاقَ بِكَ الصَّدْرُ فَفَكَّرْ فِي أَلَمِ نَشْرَحِ^(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسَارُ وَقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلٍ
فَلَا تَجْزَعُ وَقَدْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلٍ
وَلَا تَظُنُّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سُوًّا فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْجَلِيلِ

ذكر الطحاوي قال : حدثنا أحمد بن أبي عمران ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن

حاتم ، قال : حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : استعمل الحجاج أبي علي

بعض أعماله فنقم عليه ، فتواري أبي عنه في بادية قومه وأنا معه ، فبينما أنا في سحر

من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول :

(١) انظر الخبر والأبيات في زهر الآداب ١٣٢/٣ .

صَبْرِ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِيقُ فِي الْأُمُورِ ذَرْعًا فَقْدُ يَكْشَفُ نَمَائِظَهَا بَغَيْرِ اخْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ رِ لُهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ (١)

قال : فقلت : ماذا لك ؟ قال : مات الحجاج . فوالله ما أدرى بأيهما كنت أشد فرحاً ،
أبقوله : مات الحجاج ، أم بقوله : فرجة . .

قال العَطَوِيُّ (٢) :

مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَرْجُ مَيْلِي وَيَصْبِرُ وَالْأَشْيَاءُ تُنْتَهَجُ
حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَقْدُورَ غَايَتِهَا جَاءَتْكَ تَضْحَكٌ عَنْ ظَلَمَائِهَا الشَّرِجُ
خَاصِرٌ وَوَدْمٌ ، وَاقْرَعِ الْبَابَ الَّذِي طَلَعْتَ مِنْهُ الْمَطَامِعُ فَالْمَغْرَى بِهِ يَلْبِجُ
يُقَدِّرُ اللَّهُ فَارْجُ اللَّهُ وَارْضَ بِهِ فَنِي إِرَادَتِهِ الْغَمَاءُ تَنْفَرِجُ

وقال هلال بن العلاء الرُّقِّي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ مَصَائِرَ الدُّنْيَا تَكُنْ سَبِيلاً فِجَاجاً
لَا تَضْجَرَنَّ بِضِيقَةٍ يَوْمًا فَإِنَّ لَهَا انْفِرَاجاً

(١) نسبت البيت الثالث في البيان والتبيين ٣٤١/٢ للأمية بن أبي الصلت مع اختلاف في روايته ، وكذلك ورد منسوبا إليه في حماسة البحتري ٣٥٤ ، ونسبها في معجم الأدباء ١٨٦/١ ، ١٥٧/١١ إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، وفي لباب الآداب ٢٩٤ إلى عبيد بن الأبرص ، وورد في معجم الشعراء ٢٤٣ منسوبا لعمر الحنفي ، وانظره في المختار من شعر بشار ٢١٣ بدون نسبة .

(٢) اسمه محمد بن الرحمن بن أبي عطية ، أبو عبد الرحمن العطوي ، من شعراء الدولة العباسية ، كان معتزليا يمد من المتكلمين الحذاق ، توفي نحو سنة ٢٥٠ هـ ، انظر سبط اللاكلى ١٤٠ ، المرزباني ٤٣٢ ، (الأعلام ٦١/٧) .

وقال آخر :

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا
فإن على الرحمن رزقكم غداً^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا من يخاف أن يكو
أما سمعت قولهم
ن ما يخاف سرمداً
إن مع اليوم غداً^(٢)

وقال أبو العتاهية :

هي الأيام والغير
أتياس أن ترى فرجاً
وأمر الله منتظراً
فأين الله والقدر^(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠ ، وفيه : من رزق الله وانتشروا .

(٢) التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٣) ديوانه ٢٣٨ .

باب الجَدِّ والحَدِّ (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا مانع لما أعطى الله ، ولا مُعطي لما مَنع ، ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منه الجَدُّ » .

قال أكثم بن صيفي : جَدُّكَ لا كَدُّكَ .

قال أشجع السلمي :

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَانٍ فَلْيَجْهَدِ الْمُتَقَلِّبُ الْمُحْتَالُ

قالوا : أسعدُ الناس : من كان القضاء له مساعداً ، وكان لذلك أهلاً ، وأشقى

الناس : من كان مشغولاً ببلادين ولا دنيا ، ولم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولا وثق به أحد لسوء فعله .

قال أبو الأسود الدؤلي :

المرءُ يُحَمَّدُ سَعِيَهُ مِنْ جَدِّهِ حَتَّى يُزِينَ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلِ
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ حَدُّهُ يَرْمِي وَيُقَذَفُ بِالَّذِي لَمْ يَقْعَلِ (٢)

أنشد ابن الأعرابي :

الجُدُّ أَنَهَضُ بِالْفَتَى مِنْ عَقْلِهِ فَانْهَضُ بِجَدِّ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ ذَرِ

(١) الجد : البخت والحظوة والرزق ، والحَد : المنع والدفع .

(٢) ديوانه ١٢٢ ، وفيه : يفعل مكان يعمل ، ونسباً في حاسة البصرى ٢٤٦ إلى صالح بن عبد القدوس ، وفيها ورد الشطر الأول : المرء يسمى ثم يسعد جده وفيها : غيه مكان حده في البيت الثاني ، وانظر الثاني في عيون الأخبار ١٧/٢ ، وفيه : يرف بدل يقذف .

فَلَقَدْ يُجِدُّ الْمَرْءَ وَهُوَ مُقَصِّرٌ وَيَجِدُّ ثُمَّ يُجِدُّ غَيْرَ مُقَصِّرٍ (١)
وقال يزيد بن محمد المهلبى :

وَإِذَا جُدِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ نَافِعٌ وَإِذَا حُدِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ صَائِرٌ
وَإِذَا أَتَاكَ مُهَلَّبِيٌّ فِي الْوَعَى وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ فَنِعْمَ النَّاصِرُ (٢)

قال أبو يعقوب الخريمى ، واسمه إسحاق بن حسان :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ (٣) إِنْ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحَمَاقَاتِ (٤)

وقال خراش بن زهير :

وَكَانَتْ قَرِيشٌ يُفَلِقُ الصَّخْرَ جَدِّهَا إِذَا أَوْهَنَ النَّاسَ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ (٥)

وقال الحارث بن حلزة :

عِشْ بِمُخَيْرٍ لَا يَضِرُكَ النَّوْكَُ مَا لَا قَيْتَ جَدًّا
وَالنَّوْكَُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ لِرِ الرِّزْقِ تَمَنَّ عَاشَ كَدًّا (٥)

وقال آخر :

فَعِشْ فِي ظِلِّ أَنْوَكٍ حَالَفَتَهُ مَقَادِيرُهُ يُسَاعِدُهَا الصَّوَابُ

(١) نسب البيتان فى مجموعة المعانى ١٠ الى عبدالله بن يزيد الهلالي ، وكذلك ورد البيت الأول منسوبا ليه فى حماسة البحترى ٢٤٦ ، وهما فى لىاب الآداب ٣٦١ بدون نسبة ، والرواية هناك للشطر الأخير :

ويضيف جد المرء غير مقصر

(٢) السكامل ٢/٢٠ ، ووردا فى المقد الفريد ١٢٩/٢ بدون نسبة .

(٣) ساقط من ١ ، وانظره فى عيون الأخبار ١٢٤/٢ ، الأمالى ٩٥/٢ .

(٤) زيادة فى م .

(٥) الأغانى ٥٠/١١ ، الشعر والشعراء ١٥١ ، حماسة البحترى ٢٤٥ ، وفيها :

فانهم بمجدك لا يضرك النوك إن أعطيت جدا

ذَهَابُ الْمَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابٌ^(١)

قيل لزياد: ما الحظ؟ قال: من طال عمره، ورأى في عدوه ما يسره فهو
خو حظ.

وكان يقال: لا حظ إلا ما أشخص عنك ما تكره، وجلب إليك ما تحب.

قال محمد بن أبي حازم الباهلي:

لَا تَعَجَبَنَّ لِأَحَقِّ نَالَ الْغِنَى مِنْ غَيْرِ كَدِّهِ
وَلِمَا قَلَّ مَا يَسْتَقِيلُ^(٢) فَكَلَّمَهُمْ يَسْعَى بِحَدِّهِ^(٣)

وقال امرؤ القيس:

وَقَامُمْ جَدُّهُمْ بَيْتِي أَيْهِمْ
وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٤)

وقال عبد العزيز بن زرارَةَ الكلابي:

وَمَا لُبُّ اللَّيْبِ بِغَيْرِ حَظٍّ
بِأَعْنَى فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ فَيْلٍ
رَأَيْتُ الْحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ
وَهَيْهَاتَ الْحُظُوظُ مِنَ الْعُقُولِ^(٥)

ولحسان أو لابنه عبد الرحمن:

(١) الأول في عيون الأخبار ٣٢٩/١، وما في البيان ٢٤٦/٢، ٢٤٧ وفيه: ففش في جد أنوك.

(٢) فصل المقال ٢٣٠، وفيه: نال الملا... ولما قل ما يستتب.

(٣) ساقط من ١، والرواية في ب: بيبي على؟ وهي خطأ، وانظره في الديوان ٥٠، الأغاني ٦٧/٨،

الشعر والشعراء ٥٩، العقد الفريد ٣/١١٧.

وقصة البيت أن امرأ القيس خرج للايقاع ببني أسد فأوقع ياخوتهم بنى كنانة، وهو يحسبهم أعداءه،

تقال البيت.

(٤) عيون الأخبار ٢٤٢/١.

وإن امرءاً يُعنى ويُصْبِحُ سَالِمًا
مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٌ^(١)
وقال أعرابي :

وإنَّ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا
تَزُودُ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدٌ^(٢)
ولبعض أهل عصرنا :

أَرَى هِمَمَ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ
وَقَدْ يَعْجِزُ الْمَرْءُ ذُو الْإِحْتِيَالِ
يُسَاعِدُهُ السَّعْدُ هَمًّا عَلَيْهِ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يَقْضِ رِزْقًا إِلَيْهِ
وقال صالح بن عبد القدوس :

وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَتَى مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ
كَالصَّيْدِ يُحْرِمُهُ الرَّايِ الْمُجِيدُ وَقَدْ
لَكِنْ جُدُودٌ بِأَرْزَاقٍ وَأَقْسَامِ
يَرْمِي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّايِ^(٣)
ولرجل من بني قريع أو للمعلوط ، وقيل : إنها لحاتم الطائي :

مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ الْغَنَى وَجَارَهُ
وَلَيْسَ الْغَنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى
فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَبَلِيدٌ
وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسْمَتٌ وَجُدُودٌ
وَكَأَنَّ رَأْيَنَا مِنْ غَنَى مُذَمَّمٍ
وَصَعْلُوكِ قَوْمِ بَادٍ وَهُوَ حَمِيدٌ
وَمُعْطَى ثَرَاءِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ
وَمَحْرُومِ جَمْعِ الْمَالِ وَهُوَ جَلِيدٌ^(٤)

(١) الصحيح أنه لحسان ، انظر قصة بينين وآخرين على قافيته لابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد في الديوان ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظره في نهاية الأرب ٦٩/٣ ، الشعر والشعراء ١٧٣ ، وقد نسبته أبو تمام في الحماسة ١٣/٢ لرجل من بني قريع .

(٢) البيت ليزيد بن الصميل العقيلي ، وهو لص كان يسرق الإبل ، ثم تاب وقتل في سبيل الله ، انظر الأمل ٦١/١ .

(٣) المئيل والمحاضرة ٧٨ ، وفيات الأعيان ٤٨٤/٣ .

(٤) وردت الأبيات منسوبة للمعلوط في عيون الأخبار ٢٤٦/١ ، زهر الآداب ١٨٥/٢ ، وانظر الأبيات الثلاثة الأولى في حماسة أبي تمام ١٣/٣ ، ١٤ ، والبيتين الأولين في حماسة البحتري ٢٤٥ بغير نسبة ، وفيهما : جليلد مكان بليد .

وقال حبيب الطائي :

أَبَا جَمْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالََةَ أُمَّهَا وَلُودُهُ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَذَاءُ حَائِلٍ^(١)
وله أيضاً :

فَإِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٢)

احتاج أبو الأسود الدؤلي إلى جار له يستقرض منه ، وكان حسن الظن به ، فاعتل عليه ودفعه ، فقال أبو الأسود :

فَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالِ جَارٍ لِقُرْبِهِ فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بَعِيدُ
وَفَوْضُ إِلَى اللَّهِ الْأُمُورَ فَإِنَّمَا تَرْمُوحُ بِأَرْزَاقِ عَلَيْكَ جُدُودُ
وَلَا تُشْعِرَنَّ النَّفْسَ يَا سَأَا فَإِنَّمَا يَعِيشُ بِبِحْدٍ عَاجِزٌ وَبَلِيدُ^(٣)
وفي نحو هذا لبعض أهل عصرنا :

تَجَشَّمُ جَسِيمَ الْهَوْلِ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ فَنَيْلُ الْغِنَى بَيْنَ التَّجَشَّمِ وَالْكَدِّ^(٤)
(٥) وَدَعَّ قَوْلَ ذِي جَهْلٍ يَرَى الْعَجْزَ رَاحَةً : ذَرِ الْكَدَّ فِيمَا رَمْتَهُ الْمَنَعَ بِالْجِدِّ^(٥)
وقال آخر :

تَطَلَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَطَلِّبًا وَبِالْجِدِّ يَسْعَى الْمَرْءُ لَا بِالتَّطَلُّبِ^(٦)

(١) ديوانه ١٢٨ ، عيون الأخبار ٢/١٢٤ . والجذاء : التي لا تدى لها ، والحائل : الناقة لم تلحق سنة أو سنوات .

(٢) ديوانه ١٤٥ .

(٣) انظر الأبيات في معجم الأدباء ٣٧/١٢ على خلاف في الترتيب ، وانظرها في ديوانه ٢٢٧ ، وفيه : جليد .

مكان بليد .

(٤) ١ : في طلب الغنى ، ولا تقعدن بين النخ .

(٥) البيت ساقط من م ، و ب : واسع مكان المنع .

(٦) ب : بالتقلب .

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس : جنت لك ثمرة العلم أن صرت به
أهلاً للقتل . فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معي الجَد فقد كنت أتنفع بثمره
العلم ، والآن إذ ولّى عنى الجَد، فقد أتنفع بثمره الصبر .

قال سابق البربري (١) :

وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ المَعَاشِ وَإِنَّمَا
وَلَوْ أَنَّهُمْ رَزَقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ
مَا النَّاسُ إِلَّا قَامِلَانِ فَعَامِلٌ
بِالجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَا تَرَى يَتَصَدَّقُ
قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخِرُ يَفْرَقُ (٢)

وقال البحتري :

أَلَا لَيْتَ المَقَادِرَ لَمْ تَقْدَرْ
فَتَعَلَّمَ أَيْنَا يَنْغِدُو وَيُمْسِي
وَلَمْ تَكُنِ الأَحَاطِي وَالْجُدُودُ
لَهُ هَذِي المَوَاكِبُ وَالْعَبِيدُ (٣)

وقال حبيب الطائي :

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ
وَيُكْدِي الفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ (٤)

وقال ابن دريد :

لَا يَنْفَعُ العِلْمُ بِلَا جَدٍّ وَلَا
يُجْبِطُكَ الجَهْلُ إِذَا الجَدُّ عَلَا

وقال الحسين بن أحمد :

(١) ساقط من ب .
(٢) ورد البيتان الأول والثالث في معجم الأدباء ٧/١٢ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس .
(٣) ديوانه ١٧٢/١ ، فأنظر أينما يضحى ويمسى .
(٤) شرح الديوان ١٨٧/١ .

بِالْجَدِّ أَجْدَى عَلَى امْرِئٍ طَلَبَهُ وَمَنْ يَطْلُ حِرْصُهُ يَطْلُ تَعْبَهُ

وقال آخر:

عِشْ بِجِدِّ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْقِيِّ سِيَّ نَوْكًا أَوْ شَيْبَةَ بَنِ الْوَلِيدِ
عِشْ بِجِدِّ وَلَا يَضُرَّكَ نَوْكُ إِنَّمَا عِشْ مَنْ تَرَى بِالْجَدِّودِ^(١)

هبنقة القيسي اسمه يزيد بن ثروان ، وكنيته أبو نافع ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، وهو الذي شرد^(٢) له بمير فجعل لمن جاء به بعيرين ، فقبل له : لم هذا ؟ قال : فأين فرحة الوجدان ؟

وأنشدني محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه :

لَا تَشْرَهَنَّ إِلَى دُنْيَا تَمَلَّكَهَا قَوْمٌ كَثِيرٌ بِلَا عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ
وَلَا تَقُلْ إِنِّي أَبْصَرْتُ مَا جَهِلُوا مِنَ الْإِدَارَةِ فِي مَرٍّ وَمُنْقَلَبٍ
فَبِالْجَدِّودِ هُمْ نَالُوا الَّذِي مَلَكُوا لَا بِالْمَقُولِ وَلَا بِالْعِلْمِ وَالْحَسَبِ
وَأَيْسَرَ الْجِدُّ نَحْوِي كُلِّ مُتَمَنِّعٍ عَلَى التَّمَكُّنِ عِنْدَ الْبُعْيِ وَالطَّلَبِ
وَإِنْ تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ الَّذِينَ مَضَوْا رَأَيْتَ مِنْ ذَا وَهَذَا أَعْجَبَ الْعَجَبِ

وقال إبراهيم بن المهدي :

(١) في ب : م : هاشم بن الوليد ، وفي عيون الأخبار ٢٤٢/١ : خالد بن يزيد ، والصحيح أن اليتيم ليحيى بن المبارك اليزيدي النحوي في هجاء شذوية بن الوليد أحد أكبر قواد المهدي ، وكان اليزيدي يناظر الكسائي بين يدي المهدي ، فانتصر عليه ، وكان شذوية حاضرا ، فهاتر اليزيدي ، فأسرهما في نفسه ، ثم قال فيه هذه الأبيات التي معنا :

شيب ياشيب ياهي بني القه قح ما أنت بالخليم الرشيد

انظر البيان هامش ٢/٢٧١ ، الأغاني ١٨/٧٧ ، ٢٠/٢٨ ، نهاية الأرب ٢/١٢٩ ، حاسة البحتری ٦٤٦ .

(٢) في ب : ند .

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رَوَاحِلَهُ
مَعَ أَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً
وَخَلَّةٌ قَلَّ فِيهَا مَنْ يُخَالَفُنِي
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُجِّي
وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ مَنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ تَعَبِ
الرِّزْقِ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنِ ذَوِي الْأَدَبِ
الرِّزْقُ وَالتَّوَكُّلُ^(١) مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ
الرِّزْقِ أَوْلَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرْبِ^(٢)

وقال آخر :

مَا أزدَدْتُ فِي أَدْبِي حَرْفًا أُسْرُهُ بِهِ
إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حِذْقِ بَصْنَعَتِهِ
إِلَّا تَزَيْدْتُ حَرْفًا فِيهِ لِي شَوْمٌ
أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ^(٣)

وقال بكر بن النطاح :

كَفَى حَزَنًا أَنَّ النِّعَى مُتَعَدِّرٌ
قَوْلَهُ مَا قَصَّرْتُ فِي نَيْلِ غَايَةٍ
عَلَى وَأَنِّي بِالْمَكَارِمِ مُنْعَمٌ
وَلَكِنِّي أَسْمَعِي إِلَيْهَا فَأَحْرَمٌ

وقال آخر :

لَيْسَ عَنِ حِيَلَةِ الرَّجَالِ أَصَابُوا إِلَّا
مِنْهُمْ الْعَاجِزُ الْمُرْجِيُّ لَهُ الرُّزْقُ
مَالَ بَلٍ قِسْمَةٌ لَهُمْ وَجُدُودُ
زُقُ وَمِنْهُمْ مُحَارَفٌ مَجْدُودٌ

قال بشار بن برد :

مَا ضَرَّ أَهْلَ التَّوَكُّلِ ضَعْفُ الكَدِّ
صَادَفَ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجِدِّ^(٤)

(١) في ب : النول .

(٢) الأبيات في عيون الأخبار ١٣٩/٢ ، وقد سبق البيتان الأولان في ص ١٤٣ .

(٣) البيتان لإسماعيل بن إبراهيم الحمدوني ومحا في نهاية الأرب ٨٧/٣ ، وانظر عيون الأخبار ١٢٤/٢ .

(٤) البيت من أرجوزته الشهيرة : ياطلل الحى بذات الصمد ، انظر المختار من شعر بشار ١٠٦ ، البيان ١/٢٦٣ .

وقال البحتري :

وَإِسْنِي عَلِيٍّ بِالْأَتَقْدِي
وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ
مُفِيدِي وَلَا مُزِرٍ عَلَيَّ تَأْخِرِي
بِسَعْيٍ لَأَذْرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرِ^(١)

وقال الصابى :

إِذَا جَعَمْتَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةً
فَلَا تَتَأَمَّلْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا بِهِ
وَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
وَحَيْثُ يَكُونُ الْحَذَقُ فَالرِّزْقُ ضَيْقُ^(٢)
جَرَّتْ لِمُتَمَّا الْأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ

(١) ديوانه ٥/٢ .

(٢) الأبيات في معجم الأدباء ٨٥/٢ ، يتيمة الدهر ٢٦٧/٢ .

بابُ المالِ حَمْدًا وَذَمًّا^(١)

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قلبُ الشَّيْخِ شَابٌ فِي حُبِّ اثْنَتَيْنِ : طولِ الحَيَاةِ وَكَثْرَةِ المَالِ » .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « نِعَمَ المَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ » .

وقال صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنْ الدِّينَارُ وَالدَّرْهَمُ أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكَم وَإِنَهُمَا مَهْلَكَكُمْ » .

^(٢) وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ » .

وقال أيضًا: « إِنْ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّتِي إِلَيْهَا يَنْتَمُونَ : المَالُ » ^(٣) .

وقال عليه السلام: « مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أَرْسِلَا فِي حَظِيرَةِ نَعْمٍ بِأَفْسَدِ لَهَا مِنْ حُبِّ المَالِ ، وَالسَّرْفِ لِدِينِ المَوْمِنِ » .

قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة: يَا بَنِيَّ عَلَيْكُمْ بِالمَالِ وَاصْطِنَاعِهِ ، فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌٌ لِّلْكَرِيمِ ، وَمِيسْتَفَى بِهِ عَنِ اللُّثْمِ .

قال الحسن البصرى: لِكُلِّ أُمَّةٍ وَثْنٌ يَعْبُدُونَهُ ، وَصَنَمٌ هَذِهِ الأُمَّةُ الدِّينَارُ وَالدَّرْهَمُ .

وقال الحسن: إِذَا أُرِدْتَ^(٣) أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الرَّجُلَ مَالُهُ ، فَانظُرْ فِيمَ

أَنْفَقَهُ ، فَإِنَّ الحَبِيبَ يُنْفِقُ فِي السَّرْفِ .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

(٣) في ١ : أزمعت .

قال أبو ذرّ: أموال الناس تشبه الناس . وعن أبي ذر أيضاً: إنما مالك لك ،
أو للوارث ، أو للجائحة^(١) ، فلا تكن أعجز الثلاثة .

قال أكرم بن صيفي : من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره .

قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفّ به وجهه ، ويؤدّي
به أماته ، ويصل به رحمة .

قالوا للمسيح : يا روح الله ! أخبرنا عن المال ، فقال : المال لا يخلو صاحبه من
ثلاث خلال : إما أن يكسبه من غير حله ، وإما أن يمنعه من حقه ، وإما أن يشغله
إصلاحه عن عبادة ربه .

قال الحطيئة :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّامِعُ^(٢)
وَأُنشِدُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ^(٣) :

الْمَالُ يَغْنَى رِجَالًا لَا طَبَاخَ لَهُمْ كَالسَّيْلِ يَغْنَى أَصُولَ الدُّنْدَنِ الْبَالِي
وهذا البيت في شعر لعمار الكلبى أوله :

قِفْ بِالْمُعْوِرِ عَلَى . أَبْلَاءِ أَطْلَالِ كَأَنَّهَا مُحَلَّلٌ أَوْ خَطٌّ تَمَثَّلِ
الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبِ وَرُبَّمَا سَادَ جَيْسُ الْقَوْمِ بِالْمَالِ

(١) في ا ، م : الحاجة ، والجائحة : الشدة المذهبة للمال .

(٢) البيت مما نسب إلى البجترى من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٩٣ ، وقد نسب لعبد الله بن الحارث

الشيبياني في حماسة البجترى ٢٤٨ ، وانظره في لباب الآداب ٢٢ .

(٣) الأبيات التي سترد بعد وردت كلها في الحماسة لأبي تمام ٣٠٠/٢ ، ٣٠١ على خلاف في الترتيب منسوبة

لحماد بن ثابت ، وكذلك ورد البيت الأول له في اللسان ، وعقب عليه بأنه ورد أيضا في شعر لحية بن خلف

الطائي ، وانظره في عيون الأخبار ١/٢٤٧ .

ومعنى الدندن : السود من السكلا لقدمه ويسه ، ويروي : ويقندى بلثام الأصل أنذال مكان وربما ساد .. الخ .

وفيه يقول :

أصونُ يعرضي بجالي لا أدنسُهُ لا بآرك الله بعمد العريض في المالِ
أحتالُ للمالِ إن أودى فأجمعه واست للعرض إن أودى بمحتالِ

الجيس : اللثيم . وقوله : لا ملباخ لهم : أي لا قوة ولا طاقة ، قاله الخليل .

وقال فضالة بن زيد المدواني :

وما العيشُ إلا المالُ فأنمده فذوله ولا تهبك في الضلان فتندم
إذا جلَّ خطبُ ضلتُ بالمالِ حينما توجّهت من أرضِ فمسيحِ وأعجمِ
وهآبك أقوامٌ وإن لم تصيهم يثقعون إن يستغنٍ يحمده ويكرمِ
ويعطى الذي يبغي وإن كان باخلاً بما في يديه من متاعٍ ودرهمِ

وقال لمبيد :

وما البرُّ إلا مُضمراتٌ من الشقي وما المالُ إلا مُضمراتٌ وذابغ^(١)

وقال حاتم الطائي^(٢) :

أعمرك ما يعني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاقت بها الصدرُ
أماوى إن المال غادٍ ورائحُ ويبقى من المالِ الأحاديثُ واللهُ كرمُ

وقال الشماخ :

لمالُ المرءِ يصلحُه فيني منقاره أعف من القنوع^(٣)

(١) الشعر والشعراء ، ٢٢٩ ، الأبي ٢٧٣/١٥ .

(٢) ديوانه ٣٩ ، وفيه : أماوى مكان لعمرك ، الشعر والشعراء ، ١٩٩ ، مجمع الأدباء ٣٦٧/٥ .

(٣) ديوانه ٥٦ ، حسانة الجعري ٣٤٤ ، وفيرا : لعمرك المال يصلحُه فيني .

وقال المتلمس :

لَحِظْتُ الْمَالَ أَيْسَرُ مِنْ بِنَاهُ وَضَرَبْتُكَ فِي الْبِلَادِ بِنَيْرِ زَادِ
قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ قَيْبِي وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(١)

وقال آخر :

وَاطْلُبِ الْمَالَ بِحِرْصِ وَاسْرِعِ الْمَشَى إِلَيْهِ
كُلُّ مَنْ كَانَ غَنِيًّا سَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهِ
وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا مُقَدَّ الْبُرِّ لَدَيْهِ^(٢)
وَتِيَابُ الْمَرْءِ أَعْوَانُ^(٣) لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٤)

وقال آخر :

إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ صَفَاؤُهُ وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا أَقْدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أُمَّ وَرَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ لَمْ يَرْضَ عَقْلُهُ بَنُوهُ وَلَمْ يَغْضَبْ لَهُ أَوْلِيَاؤُهُ
فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُفْقَدْ وَلَمْ يَحْزَنُوا لَهُ وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَسْرُرْ صَدِيقًا بَقَاؤُهُ^(٥)

وقال أبو اليقظان : ما ساد في الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة .

(١) الأغاني ١٣٦/٢١ ، فصل المقال ٢٢٩ نهاية الأرب ٦٤/٣ ، المحاسن والمساوي ١٤٦/٢ ، المقدم ١٤٠/٣ .

(٢) في ب : زهدوا فيما لديه .

(٣) في ا : حلوان له .

(٤) لباب الآداب ٢١٢ ، مجموعة المعاني ١٧ ، والأبيات ساقطة من م .

(٥) ورد البيت الأول فقط في التمثيل والمحاضرة غير منسوب لقائل ، وورد في لباب الآداب ٢٨٥ منسوباً إلى

صالح بن عبد القدوس .

وقال محمد بن منذر :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا حَسَبٌ وَلِلثَّقَفِيِّ مَالٌ^(١) .

وقال المعلوط :

وَمَا سَوَّدَ الْمَالُ الدَّيْنَ وَلَا دَنَا لِذَلِكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يَسُودُ

وقال عروة بن الورد :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر ، وخالفه حبيب وغيره فأنشدهما لعروة^(٢) .

وقال عروة بن الورد :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ شَكَا الْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرًا
وَصَارَ عَلَى الْأَذْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكَتْ صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ وَهِيَ^(٤) نَعْلُهُ أَوْ بَاعَ فِي السُّوقِ خُفَّهُ
وَلَمْ يَكُ مَا مُونًا عَلَى مَالِ جَارِهِ إِذَا مَا رَأَاهُ خَالِيًا أَنْ يَلْفَهُ

(١) عيون الأخبار ١/٢٤٦ ، وفيها : رضينا قسمة الرحمن ... الخ . ، وانظر الشعر والشعراء ٨٤٧ .
(٢) البيتان في ديوان عروة ٨ ، وفي نهاية الأرب ٣/٦٥ ، حماسة أبي تمام ١/١٨٤ ، ١٥٨ ، الأمال ٢/٢٣٤ ،
ونسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/٢٣٨ لأوس بن حجر كما ذكر المصنف .

(٣) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .

(٤) في ب ، م : رهن ، ولا يستقيم معها الوزن .

وقال الفرزدق :

وَالْمَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَالِ يُكْتَسَبُ^(١)

قال إبراهيم النخعي : إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي الفقيه :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الرَّائِثِ
سَاحِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي وَأَوْثَرُ^(٢) نَفْسِي عَلَى الْوَارِثِ^(٣)

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِنَّ مَالِي
فَنَفْسِي لَا تَطَاوَعُنِي لِبُخْلِ وَمَالِي لَا يُبْلَغُنِي قَمَالِي^(٤)

وقال أعرابي :

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَبِغْ إِلَّا لِبَاسِهِ
يَدَّ كَرْنِي صَرَفَ الزَّمَانِ^(٥) وَلَمْ أَكُنْ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَتَقَرَّبَ تَجَلِّسِي
فَذَرَّنِي أَجْوَلٌ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّهُ
وَمَطْعَمُهُ فَأَخْلِيهِ مِنْهُ بَعِيدُ
لَا هَرْبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
يُسْرُ صَدِيقٍ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ^(٦)

(١) ديوانه ٩٧ ، نهاية الأرب ٧٢/٣ ، وصدر البيت : يعضى أخوك فلا تافى له خلفاً .

(٢) في ب : وآثر .

(٣) عيون الأخبار ١٨٠/٣ بدون نسبة .

(٤) عيون الأخبار ٣٤٠/١ ، حماسة أبي تمام ٣٥/٢ ، ٣٦ .

(٥) في ١ : خوف النايأ .

(٦) الأبيات لأعرابي كان ينعمه أبوه من التصرف لإشفاقاً عليه فرد عليه بها انظر عيون الأخبار ٢٣٨/١ ،

أمالى النبال ١٢٦/٢ وفيها : لعانى أسر صديفا .

وقال آخر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أُنْفَقَتْهُ فَلَمَّا لَكَ^(١)

وقال قيس بن حاصم :

سَأُوْدِعُ مَالِي الْحَمْدَ وَالْأَجْرَ كُلَّهُ فَلَا أُجْرُ فِي الدُّنْيَا وَلَا الْحَمْدُ دَائِمٌ
فَرِحْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْهُ وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ مَا أَخَّرْتُ مِنْهُ لَنَادِمٌ
كان يقال : شر مالك ما لزمك إثم مكسبه ، وحرمت لذة إنفاقه .

قال الشاعر :

ذَهَابُ الْمَالِ فِي تَحْمِيْدٍ وَأَجْرٍ ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابٌ^(٢)

وقال آخر :

وَحَفِظْتُكَ مَالًا قَدْ عُنَيْتَ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنَ الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

قال جعفر بن محمد رحمه الله^(٣) : من ثقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزه بلا عشيرة .

قال محمود الوراق :

هَآكِ الدَّلِيلَ لِمَنْ أَرَا دَغِي يَدُومُ بِغَيْرِ مَالٍ
وَأَرَادَ عِزًّا لَمْ تُوْطَّ دُهُ الْعَشَائِرُ بِالْقِتَالِ

(١) عيون الأخبار ١٨١/٣ ، العقد الفريد ١٠٧/٣ .

(٢) سبيل مع بيت آخر ص ١٨٩ .

(٣) في ١ : محمد بن جعفر رحمه الله .

وَمَهَابَةٌ مِنْ غَيْرِ سُلَّةٍ طَانَ وَجَاهًا فِي الرَّجَالِ
 فَلْيَتَّصِمِ بِنُدُوسِهِ فِي عِزِّ طَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ
 وَخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةٍ أَوْ حَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ (١)

وقال النمر بن تولب:

خَاطِرٌ بِنَفْسِكَ كَثِي تَصِيبَ رَغِيْبَةٍ إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيحٌ
 فَلَمَالٌ فِيهِ تَجِلَّةٌ وَمَهَابَةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحٌ (٢)

وقال آخر:

وَيُزْرِي بِمَقَارِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ تُحَمِّقُهُ الْأَقْوَامُ وَهُوَ لَيْبٌ (٣)

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لِ وَجْهِ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ (٤)

وقال الخريمي وهو أبو يعقوب:

أَعِيشْ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنَعْتَ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ

وقال أمية بن أبي الصلت:

إِذَا كَتَسَبَ الْمَالُ الْفَقِيَّ مِنْ وَجْهِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
 وَمَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ مَا بَيْنَ مُصْلِحٍ مَعِيشَتُهُ فِيهَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

(١) في م: ها أنا بدل هاك ، وفي طاعة الله ذي الجلال بدل في عز طاعة الخ .

(٢) عيون الأخبار ١/٢٣٨ . وفيها غنيمة بدل رغبة ، والعيال بدل النساء ، وقبوح بدل فضوح .

(٣) أنشده ابن الأعرابي في عيون الأخبار ٣/٢٤٠ .

(٤) ديوانه ١٠٠ ، نهاية الأرب ٢/٦٩ ، معجم الأدباء ٢٠/١٠٠ .

وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الْحُقُوقِ وَلَمْ يُضِغْ
بِهِ الذُّخْرُ زَادًا لِتِي هِيَ أَنْفَعُ
فَذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعُ الْمَالِ ذَاخِرًا
لِأَوْلَادٍ سُوءِ حَيْثُ جَاءُوا وَأَرْضَعُوا^(١)

وقال كثير:

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ
صَنِيعَةٌ نَعْمَى أَوْ خَلِيلٌ تَوَامِقُهُ
بَمَحِلَّتْ وَبَعْضُ الْبُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ
فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقُهُ^(٢)

وقال محمود الوراق:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِأَمْرِيءٍ كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمٍ أَضْرَّ عَلَى الْفَتَى
إِذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ^(٣)

وقال آخر:

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ
وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالِ^(٤)

وقال محمود الوراق:

أَرَى دَهْرَنَا فِيهِ عَجَائِبُ جَهَّةٍ
إِذَا اسْتَعْرِضْتَ بِالْعَقْلِ ضَلَّ لَهَا الْعَقْلُ
أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يَسْوَدُ بِمَالِهِ
وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلَ هُنَاكَ وَلَا فَصْلُ

(١) ديوانه ٩٢ .

(٢) الشعر والشعراء ٤٩٨ ، وفيه : صنيعة تقوى أو صديق ، زهر الآداب ٢٤٧/٣ ، وفيه : فلم يفتلك ، السكامل ٢٠٦/١ ، ويفتلك أي يقطع منك

(٣) الأبيات في عيون الأخبار ٩١/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، السكامل ١٨٤/١ ، والبيت الثانى في البيان ٢٤٦/١ .

(٤) عيون الأخبار ٢٣٩/١ بدون نسبة .

وَأَخْرَجَ مَنْسُوبًا إِلَى الرَّأْيِ خَامِلًا وَأَنْوَكَ مَخْبُولًا لَهُ الْجَاهُ وَالثَّيْلُ
 وَمَا الْفَضْلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ وَلَكِنَّ ذَا الْمَالِ الْكَثِيرِ لَهُ الْفَضْلُ
 فَشَرَّفَ ذَوِي الْأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمْ فِعْلٌ^(١)

ومما ينسب إلى محمود، وأظنها لغيره وهو أبو عبد الرحمن العَطَوِيُّ :

دَعِ الرَّيَاءَ لِمَنْ لَجَّ الرَّيَاءَ بِهِ فِي الْأَمْرِ بِالْبَدْلِ وَإِذَا كُرَّ ذِلَّةَ الْعَدَمِ
 وَمُتَّ عَلَى الدَّرْهِمِ الْمَنْقُوشِ مَوْتٌ فَتَى رَأَى الْمَمَاتَ عَلَيْهِ أَكْرَمَ الْكِرَمِ
 وَعَدُّ عَنْ ذَا وَعَنْ هَذَا وَقَوْلُهُمْ الذِّكْرُ يَبْقَى وَتَفْنَى لَذَّةُ النَّعْمِ
 لَوْ لَا غِنَاكَ لَكُنْتَ الْكَلْبَ عِنْدَهُمْ فَإِنْ أَيْدَتْ فَجَرَّبُ وَأَشَقَّ بِالْتَدَمِ^(٢)

وقال أبو العتاهية :

وَالنَّاسُ^(٣) حَيْثُ يَكُونُ الْمَالُ وَالْجَاهُ^(٤)

(١) الأبيات ماعدا الأول في العقد الفريد ٣/٣٠ ، وفيه : ير للماله مكان يسود بحاله في البيت التالي .
 (٢) وردت الأبيات في محاضرات الأدباء ١/٢٩١ ، منسوبة إلى أبي علي الحمودي .
 (٣) ب : والمال .
 (٤) لم أعثر عليه في ديوانه المطبوع .

بابُ جَماعِ القولِ في الغنيِّ والفقرِ

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَاَعْمَلْ بِمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَاجْتَنِبْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ أَوْرَعَ النَّاسِ » .

وقال عليه السلام : « ايس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس » .
وفي الحديث المرفوع : « الفقرُ أزين المؤمنين من العذار^(١) على خد الفرس » .
وقد أتينا في معنى الفقر والغنى ، والمقدار المعمود في ذلك عند العلماء بدلائل السنن ، وأقاويل السلف ، بما فيه كفايةً وتبصره وشفاء لما في الصدور في موضعه من كتاب « بيان العلم » والحمد لله .

قال أوس بن حازمه : خير الغنى الفناعة ، وشر الفقر الضراعة^(٢) .

قال فضيل بن عياض : إنما الفقر والغنى بمد العرض على الله .

أنشدنا الرياتي :

ما شقوة المرء بالإفطار تقيرُهُ ولا سعادته يوماً بإكثارِ
إن الشقي الذي في النار منزله والقوز فوز الذي يشجو من النار^(٣)

قال جعفر بن محمد : العز والغنى يجولان في الأرض ، فإذا أصاباه ومنعاً يدخله

التوكل أو طناه .

(١) العذار : ما سأل من . مد الغنى من الغنى .

(٢) ب : المصوم .

(٣) البيان لصحاح من حديثه في الأثرين ١٠٦٣ / ١ ، ١٠٦٣ .

كان يقال : الشكرُ زينةُ الغنى ، والعفافُ زينةُ الفقر .
وقالوا : حقُّ الله واجبٌ في الغنى والفقر ، ففي الغنى العطفُ والشكر ،
وفي الفقر العفافُ والصبر .

كان يقال : سوءُ حملِ الغنى يُورثُ مَقْتًا ، وسوءُ حملِ العفاقة يَضَعُ شرفًا .
كان يقال : الغنى ^(١) في النفس ، والشرف في التواضع ، والكرم في التعمى .

أنشدنا الرياشي :

وَيَبِينَا الْفَتَى فِي الْفَقْرِ إِذْ صَارَ فِي الْغِنَى
كَذَلِكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْفَتَى
وَيَبِينَا الْفَتَى فِي الْبُؤْسِ إِذْ صَارَ فِي الْخَفَضِ
فَتُبْرِمُ أَحْيَانًا وَتُسْرِعُ فِي النَّقْضِ

وقال آخر :

قَدْ أَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ عِيٍّ
فَمَا عَادُوا عَلَى جَارٍ بِخَيْرٍ
كَذَلِكَ الْمَالُ يُنْطِقُ كُلُّ عِيٍّ ^(٢)
أَنَا مَا طَالَمَا كَانُوا سُكُوتًا
وَلَا رَفَعُوا لِمَكْرَمَةٍ يُبُوتًا
وَيَتْرِكُ كُلُّ ذِي حَسَبٍ صَمُوتًا

^(٣) وقال آخر :

نَطَقْتَ مُذِ اسْتَفَدْتَ الْمَالَ حَتَّى
وَشَجَعَكَ الَّذِي قَدْ كَانَ قَدِمًا
كَأَنَّكَ عَالِمٌ ذَلِقُ اللِّسَانِ
يَسْمِيكَ الْجَبَانَ ابْنَ الْجَبَانِ ^(٣)

(١) : العز .

(٢) ب : غث .

(٣) صاقط من ا .

وقال محمود الوراق

الْفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهَا الْغِنَى وَفِي غِنَى النَّفْسِ الْغِنَى الْأَكْبَرُ^(١)

وقال حماد الراوية : أفضل بيت من الشعر قيل في الأمثال :

يَقُولُونَ يَسْتَعْنِي وَوَاللَّهِ مَا الْغِنَى مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَا يُعِفُّ وَمَا يَكْفِي^(٢)

ولحمود الوراق أيضاً :

صَاحِبُ الْبُسْرِ يَرْقُبُ الْعُسْرَ وَالْمَنَّةُ سِرٌّ فِي دَهْرِهِ يَرِاقِبُ يُسْرًا
لَيْسَ خَلْقٌ لَهُ عَلَى اللَّهِ حَقٌّ إِلَّا مَا حَقَّهُ عَلَى النَّاسِ طُرًّا
لَا يُمَجِّبُ^(٣) الْغِنَى فِيهَا أَتَاهُ لَا وَلَا يَظْلِمُ الَّذِي مَاتَ فَقْرًا^(٤)
يَمْنَعُ اللَّهُ عَبْدَهُ نَظْرًا مِنْهُ لَوْ وَيُسْنِي لَهُ الْعَطِيَّةَ مَكْرًا
لَيْسَ مِنْ بُخْلِهِ يُنْقِصُ ذَا الْفَقْرِ سِرٌّ وَلَمْ يُعْطِ ذَا الْغِنَى الْمَالَ قَسْرًا

قال عبد الله بن الأهمم : من ولد في الفقر أبطره الغنى .

كان يقال : خصلتان مذمومتان : الاستطالة مع السخاء ، والبطر مع الغناء .

كان يقال : لا تدعُ على ولدك بالموت ، فإنه يُورث الفقر .

قال أعرابيٌّ من باهلة :

سَأَعْمِلُ نَصَّ الْعَيْسِ^(٥) حَتَّى يَكْفِيَنِي غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَمَانِ

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧ .

(٢) البيت مما ينسب إلى الخطيئة من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٢٠ .

(٣) ١ : لم يجاب ، ب : لا يضاف .

(٤) ١ : حرا .

(٥) نص العيس : استخراج أفضى ما عنده من مير .

فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحُرِّ بِالْإِقْلَالِ (١) وَسَمُّ هَوَانٍ
كَأَنَّ الْغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ (٢)

وقال يحيى بن حَكَم الغزالي، (٣) وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره (٤):

إِذَا كُنْتَ ذَا ثَرْوَةٍ مِنْ غِنَى فَأَنْتَ الْمَسْوَدُّ فِي الْعَالَمِ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبِ صُورَةٍ تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمِ (٥)

وللغزالي أيضاً:

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَصْنَافَ الدَّرَرِ فَمَرَّةً حَلَوْتُ وَأَحْيَانًا مَقَرَّةً (٥)
وَعَلَقَمًا حِينًا وَأَحْيَانًا صَبْرًا وَجُلُّ مَا يَسْقِيكَ الدَّهْرُ كَدْرًا
فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنَ الْفَقْرِ أَمْرًا أَلَا تَرَى أَكْثَرَ مَنْ فِيهَا يَفِرُّ
مَخَافَةَ الْفَقْرِ إِلَى نَارِ سَقَرٍ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْقَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ لِمَنْ كَانَ ذَا يُسْرٍ وَعَادَ إِلَى عُسْرٍ

ولعروة بن الورد:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْمَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) ب: على المرء ذي العلياء .

(٢) إعتاب الكتاب ٢١٧ ، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، البيان ٢٣٨/٢ ، السكامل ١٨٤/١ ، زهر الآداب ٥٦/٤ ، وفه : وإن الغنى في أهله يرزق الغنى بغير لسان ٠٠٠ الخ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٩٢ ، ونسبها لابن المعتز ولا توجد في ديوانه .

(٥) المقر : الحامس أو المر .

وَأَحْقَرُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ كَرِيمٌ وَخَيْرٌ
 مُبَاعِدُهُ الْخَلِيلُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَبْهَرُهُ الصَّغِيرُ
 وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوْادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
 قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ اللَّغْنَى رَبٌّ غَفُورٌ (١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي وَأَكْثَرَتْ الْغَرَامَةُ (٢) وَدَعَّوْنِي
 فَلَمَّا أَنْ غَنَيْتُ وَمَتَّابَ وَفَرِي إِذَا هُمْ - لَا أَبَلَكَ - رَاجِعُونِي (٣)

وقالوا : بقدر ما يعطى الغنى من الإيسار ، يعطى من الإجلال ، وبقدر ما ينزل بالفقير من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلته ، حتى يتهمه من كان يأمنه ، ويسيء به الظن من كان يثق به . ومحاسن الغنى مساوية الفقير ، إذا كان جواداً قالوا : مبدر ، وإن كان لسيناً قالوا : مهذار ، وإن كان شجاعاً ، قالوا : أهوج ، وإن كان حليماً صموتاً ، قالوا : عيى بليد ، وكل شيء هو للغنى مدح هو للفقير ذم .
 قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَتَى سَنِيًّا وَإِنَّ الْفَقْرَ بِالْمَرْءِ قَدْ يُزِرِي
 فَمَا (٤) رَفَعَ النَّفْسَ الدَّائِمَةَ كَالْغِنَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ كَالْفَقْرَ (٥)

(١) يروى : وأهونهم وأهونهم ، وإن أمسى له حسب ، ويقصيه الندى ، وينكره الصغير ، قليل ذنبه والذنب ، انظر الأبيات في ديوان عروة ٢٠ ، معجم الأدباء ١٨٣/٦ ، البيان ٢٣٨/٢ ، عيون الأخبار ٢٤١/١ ، محاضرات الأدباء ٢٤٢/١ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٢) ب : الملاة .

(٣) البيان والنبين ٣٩٩/٣ .

(٤) ١ : ولا .

(٥) المتطرف ٥٤/٢ .

وقال حبيب :

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالْسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي (١)
وللمغيرة بن حبناء :

وَمَا الْفَقْرُ يُزْرِي بِالرُّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنْ قُلُوبُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ تَقْدَحُ
وقال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيُّقِنَ أَنَا لِاحِقِـسَانٍ بِقَيْصَرَ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوِلُ مُلْكَاً أَوْ نَمُوتَ فَنَعْمَدَرَا (٢)
وقال أبو المتاهية :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى فَكَلُّ غِنَى فِي الْعُمُودِ جَلِيلُ
(٣) إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَعِيلُ (٣)
وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى عَشِيَّةً يَقْرَى أَوْ غَدَاةً يُنِيلُ (٤)
وقال الصلتان العبدي (٥) :

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الْغِنَى
وقال ابن سمدان (٦) :

- (١) ديوانه ١٢٣ ، نهاية الأرب ٩١/٣ ، زهر الآداب ٣٥/٤ .
(٢) ديوانه ٦٦ ، عيون الأخبار ٢٣٦/١ ، الشعر والشعراء ٦٢ ، معجم الشعراء ٢٠٠ .
(٣) ساقط من أ .
(٤) ديوانه ٢٢١ ، المقد الفريد ٣٠/٣ ، والبيتان الأول والثالث في حساسة أبي تمام ٢٨٥/٢ .
(٥) قثم بن خبية العبدي ، شاعر حكيم ، توفى نحو سنة ٨٠ هـ ، انظر في ترجمته وأشعاره : سبط اللآلي ٥٢١ ، ٧٦٦ ، والمؤتات ١٤٥ ، الشعر والشعراء ١٩٦ (الأعلام ١٩/٦) ، وانظر البيت في عيون الأخبار ١/٢٤١ ، الشعر والشعراء ٤٧٩ .
(٦) هو محمد بن سمدان الكوفي ، محدث فقيه عالم بالقراءات ، توفى سنة ٢٣١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٤٥/٣٢٤ ، بغية الوعاة ٤٥ (الأعلام ٨/٧) .

تَقْنَعُ بِمَا يَكْفِيكَ وَالْتِمِسِ الرِّضَا
فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي أُتْصَبِحُ أُمَّ تُمْسِي
فَلَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا
يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ

وقال بكر بن أذينة :

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيَ النَّفْسِ نَعْرِفُهُ
وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرٍ النَّفْسِ مَسْكِينُ

وقال محمود الوراق :

لَبِستُ صُرُوفَ الدَّهْرِ كَهْلًا وَنَاشِئًا
وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى
وَجَرَّبْتُ حَالِيهِ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

ولمحمود الوراق :

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَزْدَجِرُ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ (١)
عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرُ
أَنَّكَ تَعْصِي كَيْ تَنَالَ الْغِنَى
عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَفْتَقِرَ (٢)

وفي رواية أخرى :

أَنَّكَ تَعْصِي اللَّهَ تَرْجُو الْغِنَى
وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَفْتَقِرَ

وقال آخر :

وَلَا تَعْدِينِي الْفَقْرُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فَإِنَّ الْغِنَى لِلْمُنْفِقِينَ (٣) قَرِيبُ

(١) ب : فله .

(٢) عيون الأخبار ٢٤٩/١ القمد الفريد ٢٠٩/٣ والبيان الثاني والثالث في محاضرات الأدباء ٢٤٧/١ .

(٣) ب : للمتقين .

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « يقول الله يا ابن آدم أَتَفِقُ أَتَفِقُ عَلَيْكَ » .

وقال بعض الحكماء في ذم الغنى : طالبُ الغنى طویل العناء ، دائم النصب ، كثير التعب ، قليل منه حظُّهُ ، خسيس منه نصيبه ، شديد من الأيام حذره ، ثم هو بين سلطان يرحاه ، ويفخر^(١) عليه فاه ، وبين حقوق تجب عليه ، يضعف عن^(٢) منعها ، وبين أكفاء وأعداء ينالونه^(٣) ويحسدونه ويبغون عليه ، وأولاد يملؤنه^(٤) ويودون موته ، ونوائب تعتريه وتمزقه .

وقال بشر بن المعتمر المتكلم :

وَإِذَا الْجَهْلُ رَأَيْتَهُ مُسْتَعْنِيَا أَعْيَا الطَّيِّبَ وَحِيلَةَ الْمُحْتَالَ^(٥)

وقال الخليل بن أحمد :

مَا أَتَمَّجَ النَّسْكَ بِسَّالٍ^(٦) وَأَقْبَحَ الْبُخْلَ بِذِي الْمَالِ
مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَهْلِهِ هَانَ عَلَى ابْنِ الْعَمِّ وَالْحَالِ
مَا وَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي وَرْطَةٍ^(٧) أَزْرَى بِهِ مِنْ رِقَّةِ الْحَالِ^(٨)

قيل لبعض الحكماء : ما بالناس نجد من يطلب المال من العلماء أكثر ممن

(١) : وبعض .
(٢) ب : يفتت على .
(٣) : يقتابونه .
(٤) ب : وولد يذمونه .
(٥) البيت في البيان والتبيين ٣/٢٤٧ .
(٦) ا : بتسأل .
(٧) زيادة من ب .

يطلب العلم من ذوى الأموال ؟ قال : لمعرفة العلماء بمنافع المال ، وجَّه ذوى
الأموال بمنافع العلم .

قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُزْرِى بِأَهْلِهِ وَأَنَّ الْغِنَى فِيهِ الْعِلْمُ وَالْتَجَمُّهُ

قال أحيحة بن الجلاح :

اسْتَعْنِ عَنِ كَلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحْمٍ إِنَّ الْغِنَى مِنْ (١) اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ
«وَالْبَسْ عَدُوَّكَ فِي رِفْقٍ وَفِي دَعَا لِبَاسِ ذِي إِرْبَةِ لِلدَّهْرِ كِبَاسِ

(١) ب : الذى . والبيتان في باب الآداب ٣٥٦ والثاني منهما في حاسة البحرى ٩ ، وفيها : أطوار ذى
لربة .. الخ . والإربة بالكسر : الدهاء والسكر .

بَابُ الدِّينِ

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله مقبلاً غير مدبر، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: «نعم. إلا الدين، بذلك أخبرني جبريل».

وعنه عليه السلام أنه قال: «صاحب الدين محبوب من محبوس عن الجنة بدينه».

وقال عليه السلام — بعد (١) أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين (٢) —: «من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً فعلى».

كان يقال: لا تم إلا تم الدين، ولا وجع إلا وجع العين. وقد روى هذا القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه ضعيف.

قال عمر بن الخطاب: إياكم والدين، فإن أوله ثم وآخره حرب.

قال جعفر بن محمد: المستدين تاجر الله في الأرض.

قال عمر بن عبد العزيز: الدين وقرة طالما حمله الكرام.

قال عمرو بن العاص: من كثر صديقه كثرت دينه.

قيل لمحمد بن المنكدر: أتحمج وعليك الدين؟ قال: الحج أفضى للدين. يريد

الدعاء فيه، والله أعلم.

كان يقال: الدين رِق، فلينظر أحدكم أين يضع رقه.

كان يقال: الأذلة أربعة: التمام، والكذاب، والفقير، والمديان.

كان يقال : حُرِّيَّةُ الْمُسْلِمِ كَرَامَتُهُ ، وَذُلُّهُ دَيْنُهُ ، وَعَذَابُهُ سُوءُ خَلْقِهِ .

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يماثل الناس بالعيننة^(١) ، فإذا حانت دراهمه ركب حماراً يقال له شارب الريح ، فيقف على غرماثه فيقول :

بَنُو عَمَّنَا آدُوا الدَّرَاهِمَ إِتْمَا يَفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدَّرَاهِمِ^(٢)

وقال آخر :

فَمَا شَأْنُ دَيْنِي إِذْ يَحُلُّ عَلَيْكُمْ أَرَى النَّاسَ يَقْضُونَ الدُّيُونَ وَلَا يَقْضِي
أَقْدَاكَ كَانَ ذَلِكَ الدَّيْنُ تَقْدَاً وَبَعْضُهُ لَعَرْضٍ فَمَا أَذِيَتْ نَقْدًا وَلَا عَرْضًا
وَلَكِنَّمَا هَذَا الَّذِي كَانَ مِنْكُمْ أَمَانِي مَا لَأَفَتْ سَمَاءً وَلَا أَرْضًا
فَلَوْ كُنْتُ تَنْوِينَ الْقَضَاءَ لِدَيْنِنَا لَأَنْسَأْتُ^(٣) لِي بَعْضًا وَعَجَّأْتُ لِي بَعْضًا^(٤)

قال أبو عثمان المازني : سمعت معاذ بن معاذ ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين البيتين لمجنون بنى حامر :

طَمِعْتُ بِلَيْلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِتْمَا تَقَطَّعُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ الْمَطَامِعُ
وَدَايَنْتُ لَيْلِي فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودًا عَلَيَّ لَيْلِي عُدُولٌ مَقَانِعُ^(٥)

(١) العيننة : أى تعيين وقت لاستقضاء الدين .

(٢) انظر الخمر والبيت في عيون الأخبار ٢٥٦/١ .

(٣) ب، م : لأنسأتكم .

(٤) محاضرات الأدباء ٢٢٩/١ .

(٥) نسب البيتاني في نهاية الأرب ٢٢/٨ ، لباب الآداب ٣٢٢ ، أمالي القالي ١٦٩/١ إلى البيهقي الجاشعسي .

وهما في محاضرات الأدباء ٩٦/١ ، والأول في حاسة البحرى ٢٠٢ بغير نسبة ، وترجع إلى سابق عهدهما .

وقال آخر أنشده ابن الزبير :

أَلَا لَيْتَ النَّهَارَ يَمُودُ كَيْلًا فَإِنَّ الصُّبْحَ يَأْتِي بِالْمُهْمُومِ
حَوَائِجُ مَا نَطِيقُ لَهَا قَضَاءً وَلَا دَفْعًا وَرَوَعَاتُ^(١) النَّعِيمِ

كان يقال : الدِّينُ هُمٌّ بِاللَّيْلِ وَذَلْ بِالنَّهَارِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ عَبْدَهُ جَعَلَ فِي عُنُقِهِ دِينًا .

وقال آخر :

إِنَّ الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنٌ فَاطُورِ الصَّحِيفَةِ وَاحْفَظْهَا مِنَ الْفَارِ^(٢)

قال كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَ غَرِيمِهِ وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مَعْنَى غَرِيمًا^(٣)

أنشدنا الصولي لسليمان بن وهب متمثلاً :

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دِينِي عَلَيْهِمَا مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَانِي
خَلِيلِي أَمَا أُمَّ عَمْرٍو فَتَنْهَمَا وَأَمَّا عَنِ الْآخِرَى فَلَا تَسْلَانِي^(٤)

(١) ب : روغات .

(٢) البيت لأعرابي يدعى أبا النباش المقبلي ، أخذ مالا من تاجر بالمدينة يدعى سيار بن الحكم ثم غاب عنه مدة ، والمظهر أخيراً لاحقه التاجر وجماعة معه بصحيفة الدين ، فأظهر لهم استمداده لدفعه في مكان معين بالمدينة ، فلما ساروا معه في خروجها أسرع بالفرار وأعجزهم هرباً ، انظر القصة وأبيات ثلاثة أخر في حماسة البحري ٤١٦، ٤١٧ ، عيون الأخبار ٢٥٥/١ .

(٣) ديوانه ١٧٧ ، نهاية الأرب ١٧٥/٣ ، عيون الأخبار ٩٢/٤ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الشعر والشعراء ٤٩٠ .

(٤) وفيات الأعيان ١٤٧/٢ .

باب الاقتصاد والرفق

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(١) وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢).

فهذا أدب الله تعالى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما عال من اقتصد » .

كان يقال: ثلاث من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق ، والإنصاف من نفسك ، والابتداء بالسلام .

كتب بعض الصالحين إلى بعض إخوانه: كل ما رده^(٣) العقل ، وناله الفضل بجميل حسن .

قال عبدالله بن عباس: الهدى الصالح ، والسمت الحسن ، والاقتصاد ، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » .

وقال عليه السلام: « ما كان الرفق قط في شيء إلا زانه ، ومن حرم الرفق حرم الخير » .

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٣) ما أخره .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أراد الله بأهل بيت خيراً إلا أدخل عليهم الرفق .
ولا أراد بهم شراً إلا أدخل عليهم الحُرْق (١) » .

قال عمر بن الخطاب : لا يقل مع الإصلاح شيء ، ولا يبقى مع الفساد شيء .
قال المتلمس :

وإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرفق عين ، والحرق شؤم » .
سئل بعض العلماء عن السكينة ، فقال : هي السكون عما الحركة فيه ، والعجلة
لا يحمدها الله ولا يرضاها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » .

لسهل بن هارون في يحيى بن خالد :

عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ مَنُوعٌ (٣) إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا (٤)

وقال آخر (٥) :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا (٥)

وقال آخر :

(١) الحرق : ضد الرفق ، وألا يحسن المرء التصرف في الأمور .

(٢) ديوانه ١٦٨ ، نهاية الأرب ٦١/٣ . المقدم الفريد ١٤٠/٣ .

(٣) ساقط في ب ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٣٠١/٣ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) البيت لأبي عبيدة المهلب ، انظر التمثيل والحامرة ٤٢٩ . البيان ٢٥٤/١ ، فصل المقال ٢٥٤ .

لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطًا
وَكَنْ^(١) مِنْ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا

قال أعرابي للحسن: يا أبا سعيد! علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً، ولا سافطاً
سقوطاً. قال له الحسن: أحسنت^(٢)، خير الأمور أوسطها.

قال محمود الوراق:

إِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مَعْوَلٍ^(٣) فِي النَّائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْوَلًا
وَرَأَيْتُ أَسْبَابَ الْقُنُوجِ مَنُوطَةً بِعَرَى الْغَنَى فَجَعَلْتَهَا لِي مَعْتَلًا
فَإِذَا نَبَأَ بِي مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ عَنْهُ مَنْزِلًا
وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكَتُهُ قَيِّمًا أُرْخَصَ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا^(٤)

لبعض المتأخرين من البخلاء يوصى ابنه:

إِذَا مَا كُنْتَ فِي بَلَدٍ غَرِيبًا وَخِيفْتَ مِنْ أَنْ تَبُوءَ بِغَيْرِ مَالٍ
فَلَا تَبْسُطْ يَدَيْكَ وَكُلْ قَلِيلًا يَفُوتُكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي اعْتِدَالٍ
وَذُبَّ عَنِ الدَّرَاهِمِ كُلِّ حِينٍ وَكَثْرَهَا وَقَلُّ فِي الْعِيَالِ
وَقُلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَشْتَبِهٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ هَذَا الشَّيْءُ غَالٍ
فَتَرَكُ الْمَالِ لِلْأَعْدَاءِ خَيْرٌ لِرَبِّ الْمَالِ مِنْ ذُلِّ السُّؤَالِ

(١) ب: تكن. والأبيات في البيان ٢٥٤/١.

(٢) ب: حسبت.

(٣) ١: مغبة.

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٨٥/٣، محاضرات الأدباء ٢٢٥/١، المستطرب ١٢١/١، ٧٩/٢.

روينا عن نصر بن علي الجهضمي ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل ، فإذا هو يمدح الرفق فأطنب ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي في الرفق . فقال هاته يا نصر ، فقلت :

لَمْ أَرْ مِثْلَ الرَّفْقِ فِي لَيْنِهِ أَخْرَجَ لِلْمَذْرَاءِ مِنْ خِذْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِينُ بِالرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ قَدْ يُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

قال سابق :

إِنَّ التَّرْفُقَ لِلْمُقِيمِ مُوَافِقٌ وَإِذَا يُسَافِرُ فَالتَّرْفُقُ أَوْفَقُ
لَوْ سَارَ أَلْفُ مَدَجِّجٍ فِي حَاجَةٍ لَمْ يَلْقَهَا إِلَّا الَّذِي يَتَرَفَّقُ^(١)

(١) ورد البيتان في معجم الأدباء ٨/١٢ منسوبين إلى صالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الشهيرة :
المرء يجمع الزمان يفرق ويظل يرفع والمخطوب تمزق
وقد سبقت في كتابنا بعض أبيات منها انظر ص ١٣٨

باب السفرِ والاعتِرابِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السفرُ قطعةٌ من العذاب ، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَهُ^(١) من سفره فليعجلْ الرجوعَ إلى أهله » ، وزاد بعضهم في هذا الحديث « السفرُ قطعة من العذاب ، فاقطعوه بالدُّلْجَةِ^(٢) . » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تَلَقَّوْا الْحَاجَّ وَلَا تَشِيْعُوْهُم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصيِّحُوا وتغنموا » .

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما مات ميت بأرض غربةٍ إلا قيس له من مسقط رأسه إلى مُنْقَطَعِ أثره في الجنة » .

ومن حديث ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « موتُ النزيب شهادة » .

وهن حديث أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ مات غريباً مات شهيداً » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العبادُ عبادُ الله ، والبلادُ بلادُ الله ، فأينما وجدتَ الخيرَ فأقم واتق الله » .

وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه — ومنهم من يرفعه — قال : من سيادة

(١) النهمة : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

(٢) الدلجة : السير من أول الليل .

المرء أن تكون زوجته موافقة ، وأولاده أبراراً ، وإخوانه صالحين ، ورزقه في بلده
الذي فيه أهله .

مكتوبٌ في التوراة : ابن آدم ! أٌحْدِثْ سَفَرًا أُحْدِثْ لَكَ رِزْقًا .

قالت العربُ : من أٌجْدَبَ انتجع (١) .

قيل لأعرابي . أين منزلُك ؟ قال : بحيث ينزل الغيث .

من أمثال العامة : البركات مع الحركات .

وقالوا : ربما أسفر السَّفَرُ عن الظَّفَرِ .

قال البحتري :

وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةَ مُعَدِّمٍ فَالْبَسْ لَهَا حُلَّالَ النَّوَى وَتَقَرَّبْ (٢)

وقال زهير :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ (٣)

وقال الأعشى :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْجَبًا

وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا (٤)

(١) الانتجاع : طلب الكلاء في موضعه .

(٢) ديوانه ٢٠/١ .

(٣) شرح ديوانه ٥٠ ، حماسة البحتري ٢٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦ .

(٤) وردت الأبيات بهذه الرواية في عيون الأخبار ٩١/٣ محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، نهاية الأوب ٢/٦٦ ،

التمثيل والمحاضرة حماسة البحتري ١٥٤ ، ١٥٥ ووردت في ديوانه ١١٣ برواية أخرى هي :

مَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَجِدُهُ عَلَى مَنْ رَهَطَ حَوَالِيهِ مَقْضَبًا

وَيُحَطَّمُ بِظُلْمٍ لَا يَزَالُ يَرَى لَهُ مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْجَبًا

وتدفعن ... الخ

ومجرا ومسجبا : مصدران ميميان من الجر والسحب ، وكبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها .

وقال آخر:

إِنَّ الْغَرِيبَ بِأَرْضٍ لَا عَشِيرَةَ بِهَا كَبَائِحَ الرِّيحِ لَا يُعْطَى بِهِ مَمْنًا

وقال سابق:

لَا أَفِينَنَّكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ^(١)

وقال آخر:

فَلَمْ أَرَّ عِزَّ الْمَرْءِ إِلَّا عَشِيرَةً وَلَمْ أَرَّ ذُلًّا مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الْأَهْلِ^(٢)

وقال آخر:

إِنَّ الْغَرِيبُ فَمَا أَلَامَ عَلَى الْبُكَاءِ إِنَّ الْبُكَاءَ حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبٍ

وقال آخر:

يُحَاذِي بِالَّذِي تَجِدُ الْقُلُوبُ وَيَأْنَسُ بِابْنِ بِلَدَتِهِ الْغَرِيبُ

وَصَادَفَنِي غَرِيبٌ فَالْتَقَيْنَا وَكُلُّ مُسَاعِدٍ فَهُوَ الْقَرِيبُ

وقال آخر:

تَغَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي أَوْ مَلُّ ثَرْوَةٌ فَلَمْ أُعْطَ آمَالِي وَطَالَ التَّغَرُّبُ

فَمَا لِلْفَتَى الْمُحْتَالِ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ وَلَا لِجُدُودِ جَدِّهَا اللَّهُ مَذْهَبُ

وقال كعب بن زهير:

فَقَرَّرِي فِي بِلَادِكَ إِنْ قَوْمًا مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهْوُونَا^(٣)

(١) البيت لصالح بن عبدالقدوس من قصيدته المشهورة التي مررت الإشارة إليها ، انظر معجم الأدباء ١٢/٠٨

(٢) يروي الشطر الأول : فلم أر عزا لامرئ كعشيرة ، انظر محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، البيان ١/٢٤٦ ،

الكامل ١/١٨٤ وهو لمحمود الوراق ، وقد سبق مع أبيات أخرى في ص ٢٠٣

(٣) ديوانه ٢١٧ .

وقال آخر :

لَيْسَ اِرْتِمَاكَ تَزْدَادُ الْعَنَى سَفْرًا بَلِ الْمَقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ^(١)
قالوا : ترك الوطن أحد اليسارين^(٢) .

قال الشاعر :

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا رِحْلَةٌ غَيْرَ أَهَّاءَ مَنِ الْمَنْزِلِ الْقَانِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْبَاقِي^(٣)
وقال آخر :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الْإِقْتَارِ^(٤) خَيْرٌ مَنِ الْعَيْشِ الْمَوْسَعِ فِي اغْتِرَابِ^(٥)
وقال آخر :

وَمَهْمِهِ فِيهَا السَّرَابُ يَسْبِغُ يَدَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حِينَ يُصْبِحُ
كَأَنَّمَا ثَوَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ^(٦)

قالوا : إذا كنت في غير بلدك ، فلا تنس نصيبك من الذل .

وأنشدوا :

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةٌ مُذْنِبٍ وَخُضُوعٌ مِدْيَانٍ وَذُلٌّ مُرِيبٍ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وفيات الأعيان ٤٣٩/٥ . والحسف : الإذلال ، وأن يحمل الإنسان على ما يكره .

(٢) ب : التسابق .

(٣) البيت لأبي العتاهية ، ديوانه ١٧٤ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ بغير نسبة .

(٤) ا : الإنسان .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٠١ بدون نسبة .

(٦) زيادة في ب ، ولم أعر إلا على الشطر الأخير في البيان ١٦٤/٢ ، وقبلة : إنك يا ابن جعفر لا تفلح ...
الليل أخفى .. الخ

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًّا^(١) لَسْتَ مِنْهُمْ
فَكُلِّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ

وقال آخر :

إِنَّ الْغَرِيبَ وَإِنْ أَقَامَ بِسَلْدَةٍ
يَهْدِي إِلَيْهِ خَرَّاجُهَا لَغَرِيبٍ

وقال آخر :

غَرِيبٌ يُقَاسَى الْهَمُّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
فَيَأْرَبُ قَرَّبٌ دَارَ كُلِّ غَرِيبٍ

قالوا: الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه، ونفذ شربه^(٢).

قال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمْ
غَرِيبًا فَلَا يَغْرُرُكَ سَخَالُكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُصْنَعِي^(٣) إِنْ أَوْهَ
إِذَا لَمْ يُزَاجِمِ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدٍ

قالت العرب : ليس بينك وبين يبلاد نسب ، خير البلاد ما حملك .

^(٤) وقال آخر :

لَيْسَ الْفَتَى بِفَتَى لَا يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ^(٤)

(١) العدا : المتباعدون أو الغرباء ، واستعمل الجمع مكان المفرد لضرورة الشعر ، وقد نسب البيت في البيان ٢٢٣/٢ إلى خالد بن نضلة الأسدي ، ونسب في الكامل ٢٨٤/١ إلى أعرابي من بني سعد يدعى خنوص ، وورد في محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، عيون الأخبار ٢٩٢/١ ، حسنة أبي تمام ١٤١/١ بغير نسبة .

(٢) زيادة في ب .

(٣) مصنى إناره : منقوس حقه ، وقد نسب البيتان في محاضرات الأدباء ١٧٧/١ ، الحاسة لأبي تمام ٢٠٦/١ إلى غسان بن وعلة ، ووردت ماسوبة للنمر في عيون الأخبار ٨٩/٣ ، الشعر والعراء ٢٦٩ .

(٤) ساقط من أ . وانظره في الشعر والعراء ٣٢ .

وقال آخر :

سَلِ اللَّهَ الْإِيَابَ مِنَ الْمَغِيبِ فَكَمْ قَدْ رَدَّ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبِ
وَسَلِّ اللَّهُمَّ عَنْكَ بِحُسْنِ ظَنِّ وَلَا تَيْأَسْ مِنْ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ
قال بعض العقلاء : أعرف بيتاً قد يتت أكثر من مائة ألف رجل في المساجد ،
وفي غير أوطانهم ، وهو :

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْتَمِسِ النِّعَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ قَتْمَدْرًا (١)
قال خالد بن صفوان : في السفر ثلاثة معان : الأول الغرم ، الثاني القدرة ،
والثالث الرحيل .

كان يقال : فقد الأحبة غربة .

قال الشاعر :

إِذَا مَامَصَى الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ (٢)

وقال لبيد بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِيكَ إِلَّا تَطْنِيًّا (٣)
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى
إِذَا رَحَلَ السَّقَارُ مَنْ هُوَ رَاجِعٌ
وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعٌ

وقال علي بن الجهم :

يَارْحَمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّازِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

(١) البيت لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، وقد نسب في الأغاني ٧٨/١٩ إلى أبي عطاء السندي ، ونسب في لباب الآداب ٢٧ إلى النابغة ، وورد في عيون الأخبار ٢٤٣/١ بغير نسبة .

(٢) البيت لأبي محمد التيمي ، انظر البيان ١٨٩/٣ ، محاضرات الأدباء ١٤٩/٣ ، الأغاني ١١٩/١٨ ، زهر الآداب ٢٢١/٣ .

(٣) ب : تطبياً ، والبيتان في ديوانه ١٠٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ ، المستطرف ١٠٤/٢ .

حَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا
يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرْبَتِهِ عَدْلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّهُ مَا صَنَعْنَا^(١)

أراد أعرابي السفر فقال لاهراته — وقيل إنه الحطيثة — :

عُدِّي السَّيْنِ لِنَعِيْبِي وَتَصَبَّرِي وَذَرِي الشُّهُورَ فَأَهْمُنْ قِصَارُ
فَأَجَابَتْهُ^(٢) :

اذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَارْحَمْ بَنَاتِكَ لِأَنْتَ صِنَارُ^(٣)
فَأَقَامَ وَتَرَكَ سَفْرَهُ -

قال امرؤ القيس :

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْفَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)
وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلی :

طَرِبْتَ إِلَى الْأَصْيَبِيَّةِ الصَّنَارِ وَهَاجَكَ مِنْهُمْ قُرْبُ الْمَزَارِ
وَكَلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ^(٥)
وقال جرير :

وَلَمَّا اتَّقَى الْحَيَانَ الْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَمَقَاتِلُهُ^(٦)

(١) الأبيات في ديوانه ٧٧ ، الأغاني ١١٢/٩ ، وفيات الأعيان ٤١/٣ ، الخنار من شعر بشار (البيتان الأول والثاني) ٢٥٩ ، محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، ونسبها هناك إلى القاسم بن عبيد الله .

(٢) ساقط من أ .

(٣) البيتان في المستطرف ٥٣/١ ، عيون الأخبار ١٤١/١ .

(٤) زيادة من ب ، و بروي ، وقد نقت . ديوانه ١٢ ، الكامل ٢٢٥/١ ، محاضرات الأدباء ٢٧٥/٢ .

(٥) معجم الأدباء ٢٥/٦ ، الأمل ٥٥/١ ، وفيه : وأبرح ما يكون الشوق يوما . مكان الشطر الثالث ،

عيون الأخبار ١٤١/١ .

(٦) ديوانه ٤٧٨ .

وقال آخر:

مُرِرْتُ بِمَجْعَفٍ وَالْقُرْبِ مِنْهُ كَمَا مُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْإِيَابِ
وَكَنْتُ بِقُرْبِهِ إِذْ حَلَّ أَرْضِي أَمِيرًا بِالسَّكِينَةِ وَالصَّوَابِ
كَمَا طُورَ بِلَدَّتِهِ فَأَضْحَى غَنِيًّا عَنِ مُطَابَةِ السَّحَابِ (١)

وقال آخر، وحكى صاحب البيان أنه لمُضَرَّسِ الْأَسَدِيِّ (٢) :

مُقِلُّ رَأْيِ الْإِقْتِلَالِ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ حَتَّى تَعْوَلَا
إِذَا جَابَ أَرْضًا أَوْ ظِلَامًا رَمَتْ بِهِ مَهَامَهُ أُخْرَى عَيْسُهُ مُتَقَلِّبًا
وَلَمْ يَبْنِهِ عَمَّا أَرَادَ مَهَابَةً وَلَكِنْ مَضَى قُدَمَا وَمَا كَانَ مُبْسَلًا
فَلَمَّا أَفَادَ الْمَالَ جَادَ بِفَضْلِهِ لَمَنْ جَاءَهُ يَرْجُو نَدَاهُ مُؤَمَّلًا (٣)

وقال آخر، وهو الأحمري بن سالم الزني :

فَأَلَمْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا التَّوَى كَمَا قَرَّعِينَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ (٤)

وقال آخر :

إِذَا نَحْنُ أَبْنَا سَامِينَ بِأَنْفُسِ كِرَامٍ رَجَّتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِيَّاهَا تَوُوبٌ وَفِيهَا مَاوُهَا وَحَيَاؤُهَا (٥)

(١) نسبت الأبيات في التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ لأبي عيينة الهلبى ، وفي زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى واطورها في عيون الأخبار ١٤١/١ بدون نسبة .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيان ٣٨/٣ ، ونسبت في المحاضرات ٢٨٤/١ لابن الإطنابة .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ غير منسوب لقائل ، ونسب في المؤلفات ٩٢ لمقر بن حمار البارقى وفي المختار من شعر بشار ٢٢٠ نسب للأحمري بن سالم المرادى ، وفي نهاية الأرب ٥/٩٠ تردد في نسبه بين مقر بن حمار ، والطرماح بن حكيم ، ونسب في محاضرات الراغب ٢٧٥/٢ لأبي عيينة الهلبى .

(٥) نسب البيتاني في الكامل ٢٥٢/١ الشعر والشعراء ٨٤٩ إلى عبد الله بن محمد بن أبي هيبنة ، وورد في عيون الأخبار ١٤١/١ من غير نسبة .

وقال آخر :

رَجَعْنَا سَالِيِنَ كَمَا بَدَأْنَا وَمَا خَابَتْ غَنِيْمَةٌ سَالِيِنَا
وَمَا تَدْرِيْنَ أَىُّ الْأَمْرِ خَيْرٌ أَمَا نَهَوِيْنَ أُمَّ مَا تَكْرِهِيْنَا^(١)

قال عوف بن محم^(٢) : عادت عبد الله بن طاهر إلى خراسان ، فدخلنا الرمي في
السكر فإذا قرية تمرد على فنن شجرة ، فقال عبد الله : أحسن والله أبو كبير^(٣)
في قوله :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكَِ الْفُكَّ حَاضِرٌ وَغَضُّكَ مِيَاذُ فَنِيْمٍ تَنُوْحٍ^(٤)

ثم قال : يا عوف اجزها . فقلت : شيخ كبير ، ومحملت على البدية ، وهي
ممارسة أبي كبير^(٥) ، ثم انفتح لي شيء ، فقلت :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَتُزُوْحُ أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَبِيَةِ فُتْرِيْحُ
لَقَدْ طَلَحَ الْبَيْنُ الْمَشِيْتُ رَكَائِي قَهْلَ أَرِيْنَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيْحُ
وَأَرَقِيْنَ بِالرِّيِّ نُوْحُ حَمَامَةٍ فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الْقَرِيْحُ يَنُوْحُ
عَلَىٰ أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تَذُرْ عَبْرَةَ وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوْعِ سَقُوْحُ
وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بِجِيْمَتْ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامِهِ فَبِيْحُ^(٦)

(١) عيون الأخبار ١/١٤٢ ، البيان ٢/٢٨٨ .

(٢) الخزاعي بالولاء أبو النهال ، أحد الأدباء العلماء الرواة ، من موالى بني أمية وشيبان ، انتقل إلى العراق
فاختصه طاهر بن الحسين لمناذمته ، فبق معه ثلاثين سنة ، وللمات قرية ابنه عبد الله وجعل له منزله عند أبيه ،
تولى سنة ٢٢٠ هـ . ترجمته في فوات الوفيات ٢/١١٨ ، إرشاد الأريب ٦/٩٥ (الأعلام ٥/٢٧٨) .

(٣) ب : أبو كبير . وهو تصحيف ، وأبو كبير هو عامر بن الحليس الهذلي ، شاعر فحل ، قيل أحرک الاسلام
- وأسلم ، انظر الشعر والشعراء ٦٥٧ ، وإرشاد الأريب ٤/٢٢٦ (الأعلام ٤/١٧) ، وانظر البيت في ديوان
الهذليين ١/٩٨ .

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٢/٣٦٤ ، معجم الأدباء ١٤/١٤٢ ، المقصد المريد ٥/٤١٤ ، الأمل ١/١٢٣ .

وذكر تمام الخبر .

كان يقال : من لم يرزق ببلدة فليتحول إلى أخرى .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرض أرض الله . والعباد عباد الله ،
فحيث وجد أحدكم رزقه ، فليثق الله وليقيم .»

قال عبدالله بن أبي الشيص :

أظن^(١) الدهر قد آلا فبراً
لقد قعد الزمان بكل حر
كان صفائح الأحرار أردت
فأصبح كل ذي شرف ركوباً
فهمتك جيب درج الليل منه
يراقب للغي وجها ضحوكاً
فبيكسب من أقاصي الأرض كسباً
ومن جعل الظلام له قوداً
وقال آخر :

لا تصحبن رقيقاً آستت تأمنه
شراً الرقيق رقيق غير مأمون
أنشد نبطويه :

خاطر بنفسك لا تقمذ بعجزه
فلايس حر على عجز بمذور

(١) ب : أرى .

(٢) انظر معاني الأديب ، ٢٤٥/١ ، عيون الأخبار ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

إِنْ لَمْ تَنْلُ فِي مَقَامٍ مَا تَطَالِبُهُ
فَأَبْلِ عُدْرًا بِلَدْلَاجٍ وَتَهَجِيرِ
لَنْ يَبْلُغَ الْمَرْءُ بِالْإِحْجَامِ هِمَّتَهُ
حَتَّى يُبَاشِرَهَا مِنْهُ بِتَغْيِيرِ^(١)

قالت بنت الأعشى :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبِلَا
دُ مُجْفَى وَتُقَطَعُ مِنَّا الرَّحِمُ
إِذَا غَبْتَ عَنَّا وَخَلَفْتَنَا
فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ^(٢)

وقال آخر :

وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةٌ
أَيَا أَمَلِي خَبْرٌ مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ يَدْرِي مُسَافِرٌ
إِذَا أَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ^(٣)

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ يَتَرَحَّالُ
وَنَازِحُ الدَّارِ لَا أَنْفَكُ مُغْتَرِبًا
وَطُولِ سَعْيٍ وَإِدْبَارِ وَإِقْبَالِ
عَنِ الْأَحْيَةِ لَا يَدْرُونَ مَا حَالِي
عِشْرِقِ الْأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبًا
لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصِي عَلَى بَالِي
وَلَوْ قَنَعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَا
إِنَّ الْقُنُوعَ الْغَنَى لَا كَثْرَةَ الْمَالِ^(٤)

(١) الأبيات في الأمل ٢/٣٠٤ ، وفيها : بتغيير مكان بتغير .

(٢) ورد البيتان في معجم الأدباء ٧/١١٣ ، اللقد الفريد ٢/٤٠١ ، هكذا !

تقول ابنتي يوم جد الرحيل أرابا سواء ومن قد يتم
أبابا إذا أضمرتك البلا دنجفى وتقطع منا الرحم

واظن محاضرات الأدباء ١/٢٥٧ .

(٣) البيتان لسكيت بن زيد الأسدي ، انظر المؤلف والمختلف ١٧٠ .

(٤) الأبيات لسكثوم بن عمرو الغنوي كما في اللقد الفريد ٣/٢٠٨ ، ٢٠٩ ؛ وفيه الشطر الثاني من البيت

الأول: وطول شغل يادبار وإقبال .

أُنشد الأعمى لحاجب الفيل الشكري :

لَمَّا رَأَتْ بِنْتِي بِأَنِّي مُزْمَعٌ يَتَرَحَّلِي مِنْ أَرْضِهَا فَمُودِعٌ
 وَرَأَتْ رِكَابِي قُرْبَتِ لِرِحَالِهَا قَالَتْ وَعَرَبُ الْعَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعٌ
 أَبْنَا أَتْرُكْنَا وَتَذَهَبُ تَائِبًا فِي الْأَرْضِ تَخْفِضُكَ الْبِلَادُ وَتَرْفَعُ
 فَيَضِيعُ صَبِيَّتَكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ بِمُضِيمَةٍ فِي الْمَصْرِ لَمْ يَتَرَعَّرُوا
 فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ
 إِنَّا سَرَضِي مَا أَقَمْتَ بِمَيْشِنَا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجْوَعُ وَنَشْبَعُ
 وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا فَفَرَضِي رِزْقَهُ وَكَفَى^(١) الْحُسْنِ مَعِيشَةً مَنْ يَقْنَعُ
 إِنَّا إِذَا مَا غَيْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ مِمَّا تَخْلَفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ
 تَجْفُو مَوَالِينَا وَيُعْرَضُ جَارُنَا وَقَرِيْبِنَا الْأَدْنَى يِعِزُّ وَيَقْطَعُ
 وَتَخَافُ أَنْ تَلْقَاكَ وَشَكَّ مَنِيَّةِ فَيُصَيِّبُنَا الْأَمْرُ الْجَلِيلُ الْمَفْطَعُ
 فَصَغِيرَ بَعْدَكَ لَيْسَ يَرْفَعُ يَتَنَا وَيُدِلُّنَا أَعْدَاؤُنَا وَنَضِيعُ
 هَذَا الرَّحِيلُ وَأَمْرُنَا مَا قَدْ تَرَى فَتَنِي تَوُوبُ إِلَى الصَّغَارِ وَرَجِيعُ
 فَخَنِقْتُ مِنْ قَوْلِ الصَّغَارِ بِعَبْرَةٍ كَادَ الْقَوَادُ لِقَوْلِهِمْ يَتَصَدَّعُ
 وَأَجَبْتُهُمْ صَبْرًا مُبَيَّنَةً^(٢) وَأَعْلَمِي

وقال النزال :

(١) : ا : وفي .

(٢) ب : صبراً ابني ، ا : بنى صبراً ، ولا يستعمل مع كائنها الوزن ، وما أجهت أرب إلى رواية ب .

وَكَمْ ظَالِمٍ قَدْ ظَنَّ أَنَّ لَيْسَ آيِبًا فآبَ وَأَوْدَى حَاضِرُونَ كَثِيرٌ
 وَإِنَّ الَّذِي أَعْظَمْتَهُ مِنْ تَعَرُّبِي عَلَى - وَإِنْ أَعْظَمْتَ ذَاكَ - يَسِيرٌ
 رَأَيْتُ الْمَنِيَا يُدْرِكُ الْمُصَمَّ عَدُوَهَا فَيَنْزِلُهَا وَالطَّيْرُ مِنْهُ تَطِيرُ
 وَعَلَى أَمْضِي^(١) ثُمَّ أَرْجِعُ سَالِمًا وَيَهْلِكُ بَعْدِي آمِنُونَ حُضُورُ
 جَعَلْتُ أَرْجِيهَا لِأَبِي وَمَنْ غَدَا عَلَى مِثْلِ حَالِي لَا يَكَادُ يَحُورُ
 وَكَيْفَ أَبَالِي وَالزَّمَانُ قَدْ انْقَضَى وَعَظْمِي مَهِيضٌ وَالْمَكَانُ شَطِيرُ
 وَإِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ مِنِّي تَجَلُّدًا ^(٢) لَدَوِ كَبِدِي حَرَّى عَلَيْكَ حَسِيرُ^(٣)

وقال آخر :

يُقِيمُ الرَّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْعَرَامِيَا
 فَأَكْرِمُ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُ مَعَا كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا^(٤)

وقال الراجز^(٥) :

إِنَّ فِرَاحًا كَفِرَاحِ الْأَوْكُرِ بِأَرْضِ بَغْدَادَ وَرَاءَ الْأَجْسُرِ
 تَرَكَتُهُمْ كَبِيرُهُمْ كَالْأَصْغَرِ عَجْزًا عَنِ الْحِيلَةِ وَالْتَشْمُرِ
 ذِكْرِي لَدَيْهِمْ مِثْلُ طَعْمِ الشُّكْرِ وَوَجْدُهُمْ بِي مِثْلُ وَجْدِ الْأَعُورِ
 بَعِينِهِ إِذْ ذَهَبَتْ لَمْ يُبْصِرِ^(٥)

(١) : على سأمضى .

(٢) : ساقط في ب .

(٣) : انظر البيهقي في معجم الأدباء ١٣٧/١٠ ، وفيه : .. الرجال الموسرون .. الخ .

(٤) : ب : آخر .

(٥) : ورد الفطران السامر والسامر فقط في التمثيل والمحاضرة ٣٢٣ .

التشمر : الاكتساب ، شمرت لأهلى : أى اکتسبت لهم ، وتشمر الشجر إذا أورق .

قال أبو الفتح البُستِيّ :

لَئِنْ تَنَقَّلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاهِ رَهْنِ أَسْفَارِ
فَالْحُرُّ حُرٌّ عَزِيْزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بَرْجٍ ذَاتُ أُنْوَارٍ (١)

وقال غيره :

كَفَى حَزَنًا أَنِّي مُقِيمٌ بِبِلَدَةٍ وَأَنْتِ بِأُخْرَى مَا إِلَيْكَ سَبِيلُ

خرج الشافعي الفقيه رضى الله عنه في بعض أسفاره ، فضمه الليل إلى مسجد ، فبات فيه ، وإذا في المسجد قوم عوام يتحدثون بضرور من الخنا وهجر المنطق ، فتمثل :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ أَمْرًا لَا أَشَاكِلُهُ (٢)

قال شريك : كان يقال : إن أنجى الناس من البلاء والفتن ، من انتقل من بلد إلى بلد .

قيل لبعضهم : أى سفر أطول ؟ فقال : من كان في طلب صاحب يرضاه ، أو درهم حلال يكسبه .

قال حاتم الطائي :

إِذَا لَزِمَ النَّاسُ الْبُيُوتَ وَجَدْتَهُمْ عُمَاةً عَنِ الْأَخْبَارِ حُرْقَ الْمَكْسَبِ (٣)

(١) التتميل والمحاضرة ٢٢٩ ، نسيمة الدهر ٢٢٤/٤ .

(٢) البيت لمييطى (عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي ميعط الأموى) ، النظر البيان والتبيين ٢٠٤/٢ ،

٣٤٦/٣ ، معجم الأدباء ٣١٠/١٧ ، المختار من شعر بشار ٢١٥ .

(٣) الديوان ٤ ، وفيه : إذا أوطن القوم البيوت .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

كَمْ الْمَقَامُ وَكَمْ تَعْتَاؤُكَ الْعِلْمَ
فَارْحَلْ فَإِنَّ بِلَادَ اللَّهِ مَا خُلِقَتْ
إِنْ ضَاقَ لِي بَلَدٌ يَمَّتُّ لِي بِلَدًا
وَإِنْ تَغَيَّرَ لِي عَنْ وُدِّهِ رَجُلٌ
لَمْ يَقْطِعِ اللَّهُ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمْلًا
اللَّهُ قَدْ عَوَّدَ الْحُسْنَى فَا بَرِحَتْ
يَمِينِي وَيُصْبِحُ بِي عُمَرُ أَدَافِعُهُ

مَا ضَاقَتْ الْأَرْضُ فِي الدُّنْيَا وَلَا السَّبِيلُ
إِلَّا لِيُسَلِّكَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
وَإِنْ نَبَأَ مَنْزِلُ بِي ، كَانَ لِي بَدَلُهُ
أَصْفَى الْمَوَدَّةِ لِي مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ
إِلَّا تَجَدَّدَ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلٌ
مَنْهُ لَنَا نِعْمٌ تَثْرَى وَتَتَّصِلُ
بِرِزْقِ رَبِّي حَتَّى يَنْفَدَ الْأَجَلُ^(١)

وقال بعض المتأخرين من المغاربة ، وتنسب إلى المتنبي ، ولا تصح له :

رَأَيْتُ الْمَقَامَ عَلَى^(٢) الْإِقْتِصَادِ
وَمَجْرُؤُ بَدِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ
وَمَا غَرِبَ الرِّزْقُ عَنْ رَائِدِ
إِذَا مَا الْأَدِيبُ ارْتَضَى بِالْخُمُولِ
وَفِي الْإِضْطِرَابِ وَفِي الْإِغْتِرَابِ
وَشَرُّ الضَّرَاعِمِ ضِرْغَامَةٌ

قُنُوعًا بِهِ ذِلَّةٌ لِلْعِبَادِ^(٣)
بِهِ عَيْشُهُ وَسِعَ هَذِي الْبِلَادِ^(٤)
وَلَا سِيًّا حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ
فَلَا حَظَّ^(٥) فِي الْأَدَبِ الْمُسْتَفَادِ
مَنَالُ الْمَنَى وَبُلُوغُ الْمَرَادِ
طَوَى شِبْلُهُ وَهَوَى فِي النِّيلِ هَادِ

(١) المحاسن والمساوي ٣/٢ .

(٢) ١ : العيشة في .

(٣) ب : لذة في العباد .

(٤) زيادة من ب .

(٥) ب : فا الخط .

وَإِنْ صَارِمٌ قَرٌّ فِي (١) غَمْدِهِ
 وَلَوْ يَسْتَوِي بِالنُّهُوضِ الْقُعُودُ
 إِذَا النَّارُ ضَاقَ بِهَا زَنْدُهَا
 فَدَعَّ مَوْطِنًا وَاعْتَدَّ مُسْتَرْزِقًا
 وَلَا تُفْنِ عُمْرَكَ خَوْفَ الْفِرَاقِ
 يُطْلِنُ الْبُكَاءَ عِنْدَ شَحْطِ النَّوَى
 فَكَمْ تَرَحَّةٍ مِنْ أَسَى فُرْقَةٍ (٢)
 إِلَى كَمْ تَحْمَلُ ضَيْقَ الْمَعَاشِ
 عَلَى حَالَةٍ فَوْقَهَا (٣) خَيْرُهَا
 بِلَا حَاسِدٍ لِي وَلَا حَامِدٍ
 فَلَا شَرٌّ مِنِّي يَخَافُ الْعَادُوْ
 مُجِبِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَجِبِ غَرْبَهَا
 عَسَاكَ تَنَالُ الْغِنَى أَوْ تَمُوتُ
 فَإِنْ يَكُنِ الْفَقْرُ حِمَامًا عَائِيكَ
 فَلَمَمَتْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَرَكَ

حَوَى غَيْرُهُ الْفَضْلَ (٤) يَوْمَ الْجَلَادِ
 لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فَضْلَ الْجِهَادِ
 فَفُسِّحَتْهَا فِي فِرَاقِ الزَّنَادِ
 كَذَا الرِّزْقُ غَادٍ إِلَى كُلِّ غَادِ
 لِيَبِيضَ مِلَاحٌ وَسُمْرٌ خِرَادِ
 وَيَأْسَيْنَ كُلُّ الْأَسَى فِي الْبِعَادِ (٥)
 تَعُودُ سُرُورًا بِجِسْنِ الْمَادِ
 وَتَصْبِرُ وَالصَّبْرُ صَعْبُ الْقِيَادِ
 وَضَيْقُ الْمَعِيشَةِ سَقَمُ الْفَوَادِ
 قَلِيلَةٌ خَيْرٌ كَمَاءِ التَّمَادِ
 وَلَا خَيْرَ يَرْجُوهُ أَهْلُ الْوِدَادِ
 إِلَى كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَوَادِ
 وَعُدْرَتِكَ فِي ذَلِكَ لِلنَّاسِ بَادِ
 فَكَابِدُهُ فِي غَيْرِ نَادِيكَ نَادِ
 بِعَيْنِ الْخَسَاسَةِ عَيْنِ الْأَعَادِي

(١) : فرمن .

(٢) : المظن .

(٣) ب : العياد .

(٤) ب : ترحة .

(٥) ب : فوقها .

فَإِنْ لَمْ تَنْلِ مَطْلَبًا رُمْتَهُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ سِوَى الْإِجْتِهَادِ^(١)

وقال آخر :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وَإِنْ أَبْدَى تَجَلُّدَهُ إِلَّا سَيِّدُكُمْ بَعْدَ الْعُرْبَةِ^(٢) الْوَطْنَا

وقال عبيد بن الأبرص :

وَكَلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُوُوبُ^(٣)

(١) هذا وقد نسبت الأبيات الثلاثة الأولى إلى البحترى في معجم الأدباء ٧٧/١، ولكنها لا توجد في ديوانه أيضا .

(٢) ب: الفرقة .

(٣) الكامل ٢٦٧/١ ، عيون الأحرار ١١٨/٣ ، النسر والشمراء ١٤٥ ، التمثيل والمحاصرة ٤٩ .

باب التحول عن مواطن الذل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه »
قالوا : يا رسول الله ! وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء^(١) لما
لا يطيق » .

قال أوس بن حجر :

أُقيمُ بدارِ الحزيمِ ما دامَ حزمُها وأحزِرُ إذا حالتِ بِأَنِ اتَّحوَّلاً^(٢)
وقال المتلمس :

إِنَّ أَهْوَانَ حِمَارٍ الْبَيْتِ يَأْلَفُهُ وَالْحُرُّ يُنْكِرُهُ وَالْفِيلُ وَالْأَمْسَدُ
وَلَا يُقِيمُ بَدَارِ الذَّلِّ يَأْلَفُهَا إِلَّا الذَّلِيلَانَ عَيْرِ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشْجُ فَمَا يَأْوِي لَهُ أَحَدٌ^(٣)

وقال مالك بن الريب :

فإن تَنْصِفُونَا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِيَعَادِ
فِي الْأَرْضِ عَن دَارِ الْمَدَلَّةِ مَذْهَبُ^(٤) وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنْتَ كِبِلَادِي

(١) ساقط من ١ .

(٢) عيون الأخبار ١/٣٤ ، حماسة البحتري ١٧٩ .

(٣) يروى : حمار الأهل يعرفه ، والحريتكروه والرسلة الأجد ، ويروى الجسرة الأجد ، ويروى البيت الثاني : ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان ... الخ ، وفي البيت الثالث يروى معقول مكان مربوط ، حوفلا بيكي مكان فا يأوى .

ومعنى الرسالة الأجد : الناقة الموثقة الخلق القوية الأعضاء والجسرة : الجمل الماضي أو الطويل ، فا يأوى : حايق . والأبيات في ديوانه ١٩٦ ، حماسة البحتري ١٩ ، نهاية الأرب ٣/٦١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ .
(٤) ينسب البيهقي أيضاً للفرزدق انظر شرح ديوانه ١٩٠ ، ووردا في حماسة البحتري ١٨٠ لرجل من تميم ولم يعينه . وانظرهما في السكامل ١/٣٠١ ، ٢٠٢ محاضرات الأدباء ١/٢٢٧ ، ويروى مكان الشطر الأول من البيت الثاني : حوفه الأرض عن ذى الجور متأى ومذهب .

وقال المغيرة بن حبياء :

وَمِثْلِي إِذَا مَا الدَّارُ يَوْمًا نَبَتْ بِهَا
وَلَا أَنْزِلُ الدَّارَ (١) الْمُقِيمَ بِهَا الْأَذَى
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْتَعِبْ بِدَارِ نَزَلْتَهَا
أُنشِدُ أَبُو عَمِيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ :

تَحَوَّلَ عَنْهَا وَاسْتَمَرَّتْ مَرَارِيْرُهُ
وَلَا أَرَامُ الشَّيْءَ الَّذِي أَنَا قَادِرُهُ
فَبِعِنَهَا بِدَارٍ أَوْ بِجَارٍ تُجَاوِرُهُ (٢)
وَلَمْ تَكُ مَكْبُولًا بِهَا فَتَحَوَّلِ (٣)

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يَهِيْتُكَ أَهْلَهَا
وقال الزبير (٤) بن عبد المطلب :

وَلَا أُقِيمُ بِدَارٍ لَا أَشُدُّ بِهَا
وقال آخر :

صَوْتِي إِذَا مَا اعْتَرَّتْ نِيَّ سَوْرَةَ الْغَضَبِ (٥)

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى خِلِّ مُتْفَارِقُهُ
فِي النَّاسِ مُبْتَدَلٌ وَالْأَرْضُ وَسِيعَةٌ
إِنَّ الْأَقَاصِيَّ قَدْ تَدَاوُ فَتَأْتَلِفُ
فِيهَا مَجَالٌ لِدِي لُبٌّ وَمُنْصَرَفٌ

وقال قيس بن الخطيم (٦) :

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ
يَعِيشُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بِلَاءٌ (٧)

(١) ب : الأرض .

(٢) المراتب: جمع مريرة وهي العزقة ، أرام الشيء : أحبه وآلفه .

(٣) ورد البيت في معجم الشعراء ٤٩٥ منسوباً إلى هبنقة الحمق واسمه يزيد بن ثروان ، وانظره في محاضرات

الأدباء ٢٧٢/٢ .

(٤) ب : الزهر .

(٥) البيت في عيون الأخبار ١/٢٩٢ .

(٦) ١ : آخر .

(٧) ب : بهان ، وقد ورد البيت له أيضاً في حماسة البحترى ١٧٩ ، ولا يوجد في ديوانه ، وورد في

محاضرات الراغب ٢٧٢/٢ غير منسوب لقائل .

(١) وقال المغيرة بن حبيّنا :

وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِي الْأَرْضِ عَن دَارِ الْأَذَى مُتَرَحِّحٌ^(١)

وقال معن بن أوس :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَمَتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَن دَارِ الْقَلْبِ مُتَحَوِّلٌ^(٢)

(٣) وقال عبد الصمد بن المعدل ، ويروى لغيره :

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتَ رَأَيْتَ فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنٌ^(٤)

وقال أبو العتاهية :

مَنْ عَاشَ قَضَى كَثِيرًا مِنْ لُبَانَتِهِ وَلِلْمَضَائِقِ أَبْوَابٌ مِنَ الْفَرْجِ
مَنْ ضَاقَ عَنكَ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فِي كُلِّ وَجْهِ مَضِيقٌ وَجْهُ مُنْفَرَجٌ^(٥)

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

هَمٌّ تَقَاذَفَتِ النُّحُوبُ بِهَا فَهَرَعْنَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ^(٥)

وقال آخر :

* وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَرَحَلٌ *

وقال حبيب بن أوس الطائي :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدَيْبَا جَتَيْهِ فَاغْتَرِبَ تَجَدَّدٌ

(١) ساقط من ب ، والمترحح: الواسع الفسيح

(٢) زهر الأديب ٢٣٢/٣ ، المستطرف ٤٨/٢ ، حماسة أبي تمام ٣/٢ .

(٣) ساقط من ا وانظره في نهاية الأرب ٨٧/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٨ ، منسوباً إليه .

(٤) البستان في ديوانه ٦١ .

(٥) بهاء م : فترعن ، ولم أجده في ديوان أبي العتاهية .

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتِ حَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ^(١)

وقال ابن المعتز :

رَأَيْتُ حَيَاةَ الْمَرْءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ ابْتِدَاؤُهُ

فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتُهُ الْعَنَابَا الطَّوَامِحُ كَذَا تَخْلُقُ لِلرَّءِ الْعَيُونَ اللَّوَامِحُ^(٢)

وقال أبو الفتح البستي :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ يُغَيِّرُهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَطْعَمًا^(٣)

وقال أبو الفتح الشذوني^(٤) :

إِذَا مَا الْحُرُّ هَانَ بِأَرْضِ قَوْمٍ وَقَدْ هُنَا بِأَرْضِكُمْ وَصِرْنَا

فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَرَبِ جُنَاحُ لَقِيَ^(٥) فِي الْأَرْضِ تَذْرُؤُهُ الرِّيَّاحُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا نَبَأَ بِي مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ مِنْهُ مَنْزِلًا

وقال آخر :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا لَيْسَ الْمَقَامُ عَلَيْكَ حَقًّا وَاجِبًا

فَدَعِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّخْوِيلَا فِي مَنْزِلٍ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٦)

(١) ديوانه ٥١ ،

(٢) البيت الثاني فقط في الديوان ٢٩ ، وفيه : فما يخلق الثوب، وانظرهما معاً في التمثيل والمحاضرة ١٠٣ -

(٣) يتيمة الدهر ٢٢٤/٤ ، نهاية الأرب ١١١/٣ .

(٤) ب : النعمون الشذوني ، ا : اليعقوبي ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٥) الاق : ما طرح على الأرض لعدم قيمته .

وقال بشار بن برد :

وَكَنتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ
تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضْيِيقُ
(١) وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنِّي مُتَعَفِّفٌ
لَهُ فِي الشَّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ
وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرَّجَالِ تَضْيِيقُ (٢)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتُ فِي دَارٍ وَحَاوَلْتُ رِحْلَةً
وَقَالَ آخَرُ :

خَلَطْتُ فَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ تَخْلِيْطٌ
وَلَا تُقَمُّ بِيَلَادٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا
وَالنَّاسُ صِنْفَانِ مَحْرُومٌ (٣) وَمَنْبُوطٌ
فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالرِّزْقُ مَبْسُوطٌ
وَلَا تَكُنْ غِرَّةً تَرْضَى بِغَيْرِ رِضَى
وقال جواس (٤) الكلابي :

وَإِذَا الْعَلِجُ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونِي
وَكَفَانِي جَفَاءً مَن يَزْدَرِينِي
لَمْ يُحْرِمْ عَلَيَّ مَتْنَ الطَّرِيقِ
قَطْعِي الْخَرْقَ بِالْمَرْوِخِ الْحَرُوقِ

وقال آخر :

اصْبِرْ عَلَيَّ حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا
فَرَجُّ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

(١) سبق البيتان الأولان ، والثالث ساقط من ب .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٨٩ .

(٣) به : مرحوم .

(٤) ١ : خدائش ، به ، م في حواش ، والصحيح أنه جواس الكلابي انظر المؤلف ٧٤ ، وانظر البيت الأول

قطع في البيان والتبيين ١/٣٥٨ والخرق : الفلاة والأرض الواسعة ، والمروخ المحروق : الناقة السريعة .

وَإِذَا خَشِيتَ تَعَدُّرًا فِي بَلَدَةٍ فَاسْتَدِدْ يَدَيْكَ بِمَاجِلِ التَّرْحَالِ
إِنَّ الْمَقَامَ عَلَى الْهَوَانِ مَذَلَّةٌ وَالْعَجْزُ أضعَفُ (١) حِيلَةُ الْمُحْتَالِ

وقال يحيى بن حكم النزال :

وإنَّ مُقَامِي شَطْرَ يَوْمٍ بِمَنْزِلِ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي بِهِ لَكَثِيرُ
(٢) وَقَدِ يَهْرُبُ الْإِنْسَانُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى فَيَدْرِكُهُ مَا خَافَ حَيْثُ يَسِيرُ (٣)

وقال المتنبي :

إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي بَلَدَةٍ مَا أُرِيدُهُ فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابٌ (٤)

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته :

إِنَّ الْفَتَى كَلَّ الْفَتَى مَنْ رَأَى هَوَانَهُ أَفْبَحَ مَا قَدَ رَأَى
أَهْرَبَ عَنِ الذَّلِّ وَعَجَّلُ فَمَا أَقْرَبَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْطَأَ
لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدَا مُضِيفٍ لَمَا تَمَتَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَأَ

وَلِي حِينَ رَحَلْتُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةِ (٥) :

وَقَائِلَةٌ مَالِي أَرَاكَ مَرَحَلًا فَقَدْتُ لَهَا : صَهَ وَاسْمِعِي الْقَوْلَ مُجْمَلًا
تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسَرُّهُ بِقُرْبِهِ وَعَادَ زُعَافًا بَعْدَمَا كَانَ سَلْسَلًا

(١) في ١ : آفة ، وانظر الأبيات في باب الآداب ٢٩٤ .

(٢) سائط في ١ ، ب .

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني لا المتنبي ، انظره في ديوانه ٢٢ ، محاضرات الأدباء ٢٧٢/٢ ، زيمة الدهر

٥٤/١٠ ، وفيها : إذا لم أجد من خلة ما أريده .

(٤) في ١ ، ب : ولفقيه أبي عمر بن عبد البر في حين رحلته من إشبيلية .

وَحَقُّ لِحَارِ لَمْ يُوَافِقَهُ (١) جَارُهُ
 مُبْلِيْتُ بِمُخْفَضٍ (٢) وَالْمَقَامُ بِبِلْدَةٍ
 إِذَا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ
 وَلَمْ تُضْرَبْ الْأَمْثَالُ إِلَّا لِعَالِمٍ

وقال ابن أبي حازم ، أو ابن بسام :

وَأِنْ تَبَا مَنَزِلٌ بِحُرٍّ
 لَا يَلْبَثُ الْحُرُّ فِي مَكَانٍ
 بِالْحُرِّ حُرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ
 (٣) وَالنَّذْلُ نَذْلٌ وَإِنْ تَكَنَّى
 فَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنَهُ
 فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
 يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى هَوَانٍ
 عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمَانِ
 وَصَارَ ذَا مَنْطِقٍ وَشَانٍ (٤)
 فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانٍ (٥)

وقال أبو الفتح :

مَتَى رَفَضْتَنِي دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتَهَا
 وَقَالَ حَبِيبٌ :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفَضَ الْعَيْشِ فِي دَعَا (٦)

(١) ب : أن يوافق .

(٢) ب : بمحض .

(٣) زيادة و ب .

(٤) وردت الأبيات ماعدا الرابع لابن أبي حازم في عيون الأخبار ١٨٤/٣ على خلاف في الترتيب، ونسبت إلى الحسين بن عبد الله بن أبي حصينة المعري في معجم الأدباء ١١٣/١٠ .

(٥) ب : وسرت ولي .

(٦) ب : نطبه ، وكذلك في عيون الأخبار ٢٣٤/١ وفيها أيضاً : نراع بدل نزوع .

تَلَقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلِ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانٍ^(١)

وقال ابن أبي حبيش :

يَا نَازِلًا بِبَطْلَيْوَسٍ إِذَا ظَفِرَتْ
وَلَا تُقِمُّ بِيَلَادٍ لَا يُعَادُ بِهَا أَل
إِنَّ الْمَقَامَ بِأَرْضٍ لَا يُزَارُ بِهَا
يَوْمًا يَدَاكَ بِيَوْمِ الْبَيْنِ فَاسْتَبِقِ
مَرْضَى وَعَجَّلْ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ رَمَقِ
وَلَا يُعَادُ أَخُو الشُّكْوَى مِنَ الْحُمُقِ

(١) ب : وجيرانا بجيران ، وورد الشعر الثاني من البيت الأول في المقدم الفريد ٢٣/٣ : نزاع شوق إلى أهل وأوطان . والبيتان ليسا في ديوان أبي تمام ، وقد وردا بغير نسبة في حماسته ١/١٠٤ ، ١٠٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٦ ولسبا في معجم الأدباء ١/١٩٢ إلى الصولى .

باب التوديع والفرّاق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في مسيره إلى العمرة ، فقال :
« يَا أَخِي لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَايِكَ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ إِلَى سَفَرٍ فَلْيُودِعْ إِخْوَانَهُ ،
فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ ^(١) لَهُ فِي دُعَائِهِمْ بَرَكَةً » .

وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلاً يقول : استودع الله دينك ، وأمانتك ،
وخواتم عملك .

قال الشعبي : السنة إذا قدم رجل من سفر ، أن يأتيه إخوانه فيسلموا عليه ،
وإذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويغتتم دعاءهم .

ودع شعبة بن الحجاج رجلاً خارجاً إلى الحج ، فقال له : أما إنك إن لم تعدد الحلم
ذلاً ، ولا السفه شرفاً ، سلم حجك .

ودع عبد الله بن المبارك رجلاً ، فقال :

وَمَحْنٌ نُنَادِي أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا
فِرَاقٌ حَيَاةٍ لَا فِرَاقٌ مَمَاتٍ ^(٢)

وقال إبراهيم الموصلي ^(٣) :

تَقَضَّتْ كِبَانَاتُ وَجَدِّ رَجِيلٍ
وَيُشْفَى مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيلٍ

(١) ب : عاجل .

(٢) زيادة من أ .

(٣) في الأغانى ١٤/٣ ، طبعة الساسي ، أنها لابنه إسحاق ، يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبى بمدايقه .
بالخرمية ، وفيها بقول :

تُرد إسحاق بنصح أميره

فليس له عند الأنام عديل

يفرج عنه الشك صدق عزيمه

ولب به يعلو الرجال أصيل

وتسبت لإسحاق أيضا في المختار من شعر بشار ٢٤٩ .

وَمُدَّتْ أَكْفُ لِلْوَدَاعِ تَصَافَحَتْ
 (١) وَلَا بُدَّ لِلْإِلْفَيْنِ مِنْ دَمٍّ لَوْعَةٍ (٢)
 إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلٌ
 أَوْ أَيْسُ لَا يُودَى لَهُنَّ قَتِيلٌ
 وَأَعْوَلْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَيْكَ (٣) عَوِيلٌ
 وَكَادَتْ عُمُونَ لِلْفِرَاقِ تَسِيلٌ

وقال محمد بن مقسم ، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم :

فِرَاقُ الْأَحِيَّةِ دَالٌ دَخِيلٌ
 سَمِعْتُ بَيْنِكَ فَأَعْتَادَتِي
 أَهَذَا وَلَمْ يَكُ يَوْمُ الْفِرَاقِ
 وَأَيُّقُنْتُ أَنِّي بِهِ تَأَلَّفُ
 حَيَاةُ الْخَلِيلِ حُضُورُ الْخَلِيلِ
 وَيَوْمُ الرَّحِيلِ لِنَفْسِ رَحِيلٌ
 غَلِيلٌ بِقَلْبِي وَحُزْنٌ طَوِيلٌ
 فَإِنْ كَانَ لَا كَانَ زَادَ الْغَلِيلُ
 وَمَا قَدْ وَصَفْتُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ
 وَيَفَى إِذَا غَابَ عَنْهُ الْخَلِيلُ

وقال آخر :

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ الْبَيْنِ حُزْنًا
 فَجَازَيْتُ الَّتِي جَادَتْ بِدَمْعِ
 وَجَازَيْتُ الَّتِي بَخِلَتْ بِدَمْعِ
 وَالْأُخْرَى بِالْبُسْكَاءِ بَخِلَتْ عَلَيْنَا
 بَانَ أَقْرَرْتُهَا بِالْوَصْلِ عَيْنًا
 بَانَ غَمَّضْتُهَا يَوْمَ التَّقِينَا

وقال الزبير بن بكار : شيعني إسحاق بن إبراهيم وقال :

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورفقتان من نسخة ب .
 (٢) في الأغاني : ولا بد للآلاف من فيض عبرة .
 (٣) في الأغاني : على .

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الْحَيَاةِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدَّيْمِ
عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ أَفَارِقُ مِنْكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمٍ^(١)

وقال آخر:

وَدَعَّ أَحْبَابَهُ فَمَا وَقَفُوا وَلَا عَلَى ذِي صَبَابَةٍ عَطَفُوا
كَمْ كَبِيدٍ قَطَمُوا بَيْنِهِمْ وَكَمْ دُمُوعٍ عَلَيْهِمْ تَلَفٌ^(٢)
كَأَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِرُوا وَتَعْرِفُهُمْ وَالْوِصَالَ مُؤْتَلِفٌ^(٤)

وقال آخر:

لَمْ أُنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ مَوْقِفَهَا وَطَرَفَهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ
وَقَوْلَهَا وَالرَّكَّابُ وَاقِفَةٌ تَرَكَتَنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وقال آخر:

لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْفِرَاقِ وَإِنْ كَا نَ أَخُو الْوَجْدِ وَالِهَاءُ كَلِفًا
أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ الْمُشَيِّعِ لِلْقَدِّ بِ يُرِيدُ الرَّجُوعَ مُنْصَرِفًا

وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَدَعْتُهُ وَكُلُّ بَعْشَرَتِهِ مُبْلِسُ
لَنْ رَجَعْتَ عَنْكَ أَجْسَامَنَا لَقَدْ سَافَرْتَ مَعَكَ الْأَنْفُسُ^(٥)

(١) ورد البيتان منسوبين إلى دعبل الخزاعي في زهر الأدب ١٠٦/٤ ، وانظرهما في العقد الزهري ٤١٣/٥ ،
عيون الأخبار ٣٢/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧/٢ وفيها جميعا : وداعك مثل وداع الربيع .
(٢) تلف : تعزر .
(٣) ساقط من ب .
(٤) نهاية الأرب ٢٤٦/٢ .
(٥) ورد البيتان في العقد الزهري ٤٠٩/٥ منسوبين إلى أبي الطيب ، وانظرهما في نهاية الأرب ٢٤٦/٢ ،
والمبلس : الساكت على ما في نفسه من هم .

وقال آخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِدَوَاعٍ
أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
وَأَنْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ (١)

وقال آخر :

صَاحَ الْعُرَابُ بَوْشَكَ الْبَيْنِ فَارْتَحَلُوا
وَعَادَرُوا الْقَلْبَ مَا تَهْدَا لَوَاعِجُهُ
وَفِي الْجَوَانِحِ نَارُ الْحَبِّ تَقْدِفُهَا
لَمَّا أَنَاخُوا مُقْبِلَ الصُّبْحِ عَيْرَهُمْ
وَقَلَّبَتْ مِنْ خِلَالِ السُّجْفِ نَاطِرَهَا
وَوَدَّعَتْ بَيْنَانَ عَقْدُهُ عَنَمٌ
وَيُنْحِي مِنَ الْبَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبِهِمْ
يَا رَاحِلَ الْعَيْسِ عَرَّجَ كَيْ نُوَدَّعَهُمْ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ
وَقَرَّبُوا الْعَيْسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا
كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلٌ
أَيْدِي النَّوَى بِي نَادِ الشُّوقِ إِذْ رَحَلُوا
وَرَحَلُوهَا وَسَارَتْ بِاللَّحَى الْإِبِلُ
تَرْنُو إِلَى وَدَمْعِ الْعَيْنِ مُنْهَمِلٌ
نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَكَ يَا جَمَلٌ
مِنْ نَازِلِ الْبَيْنِ حَلَّ الْبَيْنُ وَارْتَحَلُوا
يَا رَاحِلَ الْعَيْسِ فِي تَرْحَالِكَ الْأَجَلُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي لَطُولِ الْبَيْنِ مَا فَعَلُوا (٢)

أنشدني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال أنشدني أبو بكر بن محمد
ابن عبد الله بن أحمد الصيقلاني ، قال : أنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل
الأخفش :

(١) محاضرات الادباء ٢٧/٢ نهاية الأرب ٢/٢٤٣ ، وهما فيه لأبي حفص الشطرنجي .

(٢) المستطرف ٢/٤٩ ، نهاية الأرب ٢/١٩١ ، العقد الفريد ٦/١٦٨ .

سُقِيَا وَرَعِيَا وَإِعَانَا وَمَغْفِرَةً
لِلْبَاكِيَاتِ عَلَيْنَا حِينَ نَرْتَحِلُ
مَيْكِي عَلَيْنَا وَلَا تَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
أَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِ الْإِبْلِ (١)

وقال آخر :

أَحْبَابَ بَيْتِ اللَّهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ
وَفِي أَيِّ خَيْدِرٍ مِنْ خُدُورِكُمْ قَلْبِي (٢)
أَأَبَى تَحْمِيلِ الْجِسْمِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
وَحَادِيكُمْ يُحْدُو بِقَلْبِي مَعَ الرَّكْبِ (٣)

(٤) وقال عمر بن أبي ربيعة :

هَاجَ الْقَرِيضَ الذُّكْرُ
عَلَى بَغَالِ شَحِيحٍ (٤)
لَمَّا غَدَوْا فَانْتَمَرُوا
فِيهِنْ هِنْدٌ لَيْدِنِي
قَدْ ضَمَّنَّ السَّفْرُ
سَحَى إِذَا مَا جَاءَهَا
مَا عُمِّرَتْ أُعْمَرُ
حَتْفٌ أَتَانِي الْقَدْرُ (٥)

وقال آخر :

أَيَا حَبِيبِ (٦) مِمَّنْ يُودَعُ الْفَهْ
هَمَّتْ بِتَوْدِيْعِ الْكَلِيْبِ فَلَمْ أَطِقْ (٨)
يَمُدُّ يَدًا نَحْوَ الْفِرَاقِ فَيُسْرِعُ (٧)
فَوَدَعْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ

(١) زهر الآداب ٣/١٩٠ ، وفيه الشطر الأخير : لنحن أغلظ أكباداً من الإبل ، وفيه لاقوا .

(٢) إلى هنا ينتهي الساقط من ب .

(٣) ورد البيتان في المطرب من أشعار أهل المغرب ٢١٤ ، منسويين إلى شاب خرج يودع الحاح ، ولم يبينه .

(٤) الشحيج : صوت البغال .

(٥) زيادة من ب وانظر الأبيات في ديوانه ١٠٢ ، الأغاني ١/١٨٧ .

(٦) ١ : أيا عجبى .

(٧) ب : فيسرع .

(٨) ب : فلم نطق .

وينظر إليه قول الآخر :

وَدَّعَاهَا طَرْفِي فَقَالَتْ لَهُ
بِالدَّمْعِ أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ

وقال حبيب :

مَا الْيَوْمُ أَوْلَ تَوْدِيْعِي وَلَا الثَّانِي
حَسْبُ الْفِرَاقِ بَأَنَّ الدَّهْرَ سَاعِدُهُ
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى يَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ
الْبَيْنُ أَكْثَرَ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِحُثْمَانِي
حَتَّى تُشَافِهَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ (١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ سَفْرًا جَلًّا فَتَطَّيَّرَا
خَوْفَ الْفِرَاقِ لِأَنَّ شِطْرَهُ جَائِه (٢)
مِنْهُ وَظَلَّ مُفَكِّرًا مُسْتَعْبِرًا
سَفْرُهُ وَحَقَّ لَهُ بِأَنَّ يَتَطَّيَّرَا

وقال آخر :

أَقِيمُ وَتَطْعَنِينَ وَأَنْتِ رُوحِي
لَئِنْ كَانَ الْفِرَاقُ غَدًا فَاِنِّي
تَعَالَى بَعْدَ فُرْقَتِنَا لِنَبْكِي
وَهَلْ جَسَدُهُ يَعِيشُ بِغَيْرِ رُوحٍ
سَأَحْمَلُ لَا أَشْكُ إِلَى ذَرِيْعِي
فَاِنِّي نَائِحٌ أَبَدًا فَذُوحِي

وقال أبو الشيص ، وهو محمد بن عبد الله بن رزين :

مَا فَرَّقَ الْأَحْبَابَ بَعْدَ
وَالنَّاسُ يَدْحُونَ (٣) غُرَا
سَدَّ اللَّهُ إِلَّا الْإِبِلُ
بِالْبَيْنِ لَمَّا جَهَلُوا

(١) انظر الأبيات في شرح الديوان ٢/٣٠٨ ، ٣١٠ وفيه : أول توديع .

(٢) ١ : شطرها ما به ، وهو تصحيف ، وانظر البيتين في العقد ٢/٣٠٢ .

(٣) ب . قد لاموا .

وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِالْبَيْنِ تُطْوَى^(١) الرَّحْلُ
 وَلَا إِذَا صَاحَ غُرَا بٌ فِي الدِّيَارِ ارْتَحَلُوا^(٢)
 وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا (م) نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ^(٣)

أنشدنيها عبد الوارث عن قاسم عن أبي خيثمة لأبي الشَّيْص .

وقال العلوي على بن محمد :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ لِمَوْتِ لَوْ فُقِدَ الْفِرَاقُ سَبِيلًا
 يَا سَاعَةَ الْبَيْنِ الطَّوِيلِ كَأَنَّمَا وَاصَلْتِ سَاعَاتِ الْقِيَامَةِ طُولًا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه :

لَعَمْرِي لَمِنَ شَطَطِ بَعَثَةِ دَارِهَا لَقَدْ كَذَبْتُ مِنْ قَبْلِ الْفِرَاقِ أَلِيحٌ^(٤)
 أَرَوْحٌ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيُحْسَبُ أَنِّي فِي الشَّيَابِ صَحِيحٌ^(٥)

وقال حبيب :

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تَبْقَ لِي جَلْدًا وَلَا مَعْقُولًا
 لَوْ جَاءَ^(٦) مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلًا

(١) ب : تطوى .

(٢) ب . احتملوا .

(٣) انظر الأبيات كلها في زهر الآداب ١٧٠/٢ الشعر والشعراء ٨٢١ ، والبيتين الثاني والخامس في التمثيل والمحاضرة ٣٦٩ ، والأول والثالث في السكامل ٣/٢ ، وفيه : ما فرق الألاف ... والبائس المسكين ما تطوى .

(٤) ب م : أليح . ومعنى أليح : أهلك .

(٥) انظرهما في العقد الفريد ٢٦/٦ ، إلمالي ١٦٠/٢ .

(٦) ب : حار .

قَالُوا الرَّحِيلُ^(١) فَأَشْكَكْتُ بِأَنْهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا^(٢)
 وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف ، فرأيت اختصاره ، قال الحارث بن وعلة ،
 وتُنسب إلى العتّابي كُلتوم بن عمرو ، وهي أبيات كثيرة أولها :

ما غَنَاءَ الحِذَارِ وَالإِشْفَاقِ وَشَأْيِبِ دَمْعِكَ المُهْرَاقِ
 غُرٌّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ يَفُوتَ المَنَايَا وَعُرَاهَا قَلَانِدُ الأَعْنَاقِ
 وَيَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِمُرَا^(٣) تِ مِنْ العَيْشِ مُصْرَاتِ^(٤) المَذَاقِ
 كَمْ صَفِيَيْنِ مُتَمَعَا بِاتِّفَاقِ^(٥) ثُمَّ صَارَا مِنْ بَعْدِهِ لِاقْتِرَاقِ
 قُلْتُ لِلْفِرْقَدَيْنِ وَاللَّيْلِ مُلْقٍ سُدَّ أَكْنَافِهِ عَلَى الآفَاقِ
 ابْقِيَا مَا بَقِيْتَمَا سَوْفَ يُرَى بَيْنَ شَخْصَيْكُمَا بِسَهْمِ الفِرَاقِ
 هَوْنِي ذَا جَدِيكَ وَأَقْنِي حَيَاءِ أَسْتِ تَبْقَيْنِ لِي وَلَسْتُ بِبَاقِ
 أَيُّنَا قَدَّمَتْ جِهَامُ المَنَايَا فَالَّذِي أَخْرَتْ سَرِيْعُ اللِّحَاقِ
^(٦) لا يَدُومُ البَقَاءُ لِلخَلْقِ كَ كَيْفَ دَوَامَ البَقَاءِ لِلخَلَاقِ^(٧)
 إِنْ قَضَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِ بَعْدَهَا قَدْ تَرَيْنَ كَأَنَّ التَّلَاقِ^(٨)

وقال آخر ، وهو نبطويه :

(١) ب : الفراق .

(٢) شرح الديوان ٦٦/٢ ، محاضرات الأدباء ٢٨/٢ .

(٣) مصبرات : حامضات .

(٤) ب : بتلاق .

(٥) سائط من ب .

(٦) انظر الأبيات في زهر الآداب ٤١/٣ ، والبيتين هوني وما بعده في معجم الشعراء ٣٥٢ .

شَيْثَانٍ لَوْ بَكَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَبْلُغَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقِّهِمَا فَقَدْتُ الشَّبَابَ وَفُرْقَةَ الْأَجَابِ (١)

وقال النزّال :

وَإِنْ رَجَأْتِي فِي الْإِيَابِ إِلَيْكُمْ وَإِنْ أَنَا أَظْهَرْتُ الْعَزَاءَ قَصِيرُ
وَإِنْ كُنْتُ تَبَعِينَ الْوَدَاعِ فَبَالِغِي فَدُونِكَ أَحْوَالُ أَرَى وَشُهُورُ

وقال آخر :

لَيْسَ الْفِرَاقُ وَإِنْ جَزَعْتَ بِضَائِرِ مَا لَمْ تُتَفَرَّقْ بَيْنَنَا الْأَخْلَاقُ
إِنْ لَمْ يَحُلْ حَدَثُ الْمَنِيَةِ بَيْنَنَا فَسَنَلْتَقِي . وَسَيُحْفَظُ الْمِيثَاقُ
وَاللَّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَ كُلِّ مُفَارِقٍ وَلِكُلِّ مُلْتَقِيٍّ مِنْهُ فِرَاقُ

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين :

مَدَّتْ إِلَى الْبَيْنِ أَطْرَافًا مُخَضَّبَةً لَمَّا تَوَلَّتْ وَذَاقَتْ حُرْقَةَ الْبَيْنِ
وَوَدَّعْتَنِي وَمَاهَمَّتْ وَلَا نَطَقَتْ وَإِنَّمَا وَدَّعَتْ وَحْيًا بِعَيْنَيْنِ
بَلَى لَقَدْ أَوْمَأَتْ نَحْوِي بِإِصْبَعِهَا إِيمَاءَةً خَتَلَتْ (٢) عَنْهَا الرَّقِيبَيْنِ

وقال آخر :

أَتَذَكُرُ إِذْ تُودِّعُنَا سُلَيْمِي بَعُودِ بَشَامَةِ سِقِي الْبَشَامِ (٣)

(١) ورد البيتان في محاضرات الأدباء ٢/١٤٧ منسوبين إلى محمود الوراق ، واسميهما صاحب المستطرف ١/١٩٨
٤٠/٢ إلى أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد ، ووردا في التمثيل والمحاضرة ٤٦٩ ، ووفيات الأعيان
٢٤٤/٦ غير منسوبين .

(٢) ب : خبلت ، وانظر الأبيات في المحاسن والمساوي ٢/٧٩ .

(٣) البيت لجرير ، ديوانه ٥١٢ وفيه وفي الأغاني ٢/٦٥ ، نهاية الأرب ٤/٢٧٦ ، أنشأه ، وفتح بشامة ،
وفي اللسان : أنذكر كما هنا .

(١) يريد: تشير إلينا بسواكها مودعة^(١) .

وقال أبو عوانة^(٢) : كنت أجالس أبا العتاهية فأراد الخروج إلى مكة

فودعني وقال :

إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعُ وَإِلَّا فَمَا أَشْغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنْامِ^(٣)

قالت أعرابية لابن لها ، وقد ودعته وهو يريد سفراً : امض مصاحباً مكلوئاً ،
لا أشمت الله بك عدوياً ، ولا أرى محييك فيك سوءاً .

ودع أعرابي رجلاً ، فقال كبت الله لك كل عدو إلا نفسك ، وجعل خير عملك ،
ما ولي أجلك .

بيت قديم :

وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَبَدَتْهَا سِوَى فُرْقَةٍ الْإِحْبَابِ هَيْئَةَ الْخَطْبِ^(٤)

قال محمد بن عبد السلام الحُشَني :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ وَ لَمْ تَكُ فُرْقَةٌ إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقٍ
كَأَنَّ لَمْ تُورِّقْ بِالْمِرَاقِينَ مُقْلَتِي وَلَمْ تَمْرِكْ الشُّوقِ مَاءَ مَاقٍ^(٥)
وَلَمْ أَزْرِ الْأَعْرَابِ فِي خَبْتِ أَرْضِهِمْ^(٦) بَدَاتِ اللَّوَى مِنْ رَامَةٍ وَبُرَاقٍ

(١) زيادة من ب .

(٢) في ١ : أبو عربة ، والصحيح ما أثبتناه ، هو أبو عوانة الوضاح بن خالد البشكري من حفاظ الحديث
الثقات ، مات بالبصرة سنة ١٧٦ هـ ، تاريخ بغداد ٤٦٠/١٣ ، تهذيب التهذيب ١١/١٢٦ .

(٣) لم يرد البيت في ديوان أبي العتاهية ، وقد نسب إلى زهير السامي في تاريخ بغداد ٣٨٤/٢ .

(٤) البيت لقيس بن ذريح الأبي ، اظهره في الحاشية لأبي تمام ٧٠/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣٠٠/٣ ولديه :
وكل ملحات .

(٥) ب ولم كف بالشوق ، ا : ولم تركف ، وتعر معناها تمسح .

(٦) م : عقر خبتهم ، ب : أرض خبتهم ، والحبت : المنع الفسيح من الأرض .

وَلَمْ أَصْطَبِحْ فِي الْبَيْدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّوَى بِكَاسٍ سَقَانِيهَا الْفِرَاقُ دِهَاقٍ^(١)
 وقال آخر :

خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِينُ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكِي لِيَا
 كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقٌ وَلَسْكَنٌ لَا إِخَالَ تَلَاقِيَا^(٢)

قالوا : كم بين لوعة الفراق ، وفرح التلاق .^(٣)

(١) انظر الأبيات للخصي أيضا في جذوة القنيس ٦٤ ، ونسبها في نفع الطيب ٢/٢٢١ إلى محمد بن عباس ،
 ورواية الشطرة الأخيرة فيها : وكأس سقاها في الأزهر ساق .

(٢) البيتان في حسنة أبي تمام ١٢٢/٢ .

(٣) ساقط من ١ .

باب الزيارة والعبادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار أخا له في الله ، أو عاده ، خاض الرحمة حتى يرجع وقال الله عز وجل له : طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وقال (١) حاكياً عن الله عز وجل : « وجبت محبتي للمتزاورين في والمتحابين في » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأبي هريرة : « يا أبا هريرة ! زُرْ غِيَابًا تَزِدُّ حُبًّا » . أخذه الشاعر فقال :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقَلِّيَ فَزُرْ مُتَوَاتِرًا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزِدَّادَ حُبًّا فَزُرْ غِيَابًا (٢)

أنشدني أبو عثمان سعيد بن سيد (٣) ، لعبد الملك بن جمهور الوزير :

وَفَدَّ قَالَ الرَّسُولُ وَكَانَ بَرًّا إِذَا زُرْتَ الْحَبِيبَ فُزْرُهُ غِيَابًا

وَأَقْلَبِ زَوْرَ مَنْ تَهَوَّاهُ تَزِدُّ إِذَا مَازَرْتَهُ مِقَّةً وَحُبًّا

واعلى بن أبي طالب الكاتب (٤) :

إِنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُجِبًّا وَإِلَى حِينٍ أَغِيبُ صَبًّا

فَهَجَرْتُ لَا لِمَلَالَةٍ حَدَّثْتُ وَلَا اسْتَحَدَّثْتُ ذَنْبًا

إِلَّا لِقَوْلِ نَبِيِّنَا زُورُوا عَلَيَّ الْأَيَّامِ غِيَابًا

وَلِقَوْلِهِ مَنْ زَارَ غِيَابًا (م) مِنْكُمْ يَزِدُّادُ حُبًّا

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ا ، وانظر البيت في معجم الأدباء ١٦/ ١٥ .

(٣) ب : سعد .

(٤) ساقط في ب .

قال خارجة بن زيد النحوي : دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له ، فوجدته جالساً بالأرض ، فألقى إليّ وسادة ، فقلت له : إني قد رضيت لنفسى ما رضيت لنفسك . فقال : إني لا^(١) أرضى لك في بيتي ما أرضى به لنفسى ، واجلس حيث تؤمر ، فاعل الرجل في بيته شيء يكره أن تستقبله .

قال بشار :

لَا تَجْمَعَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا
أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
وَصَلِّ الْخَلِيلَ إِذَا شَفَعْتَ بِهِ
وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبًّا
فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ
لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
لِيَكُنْ يَمْلِكُ^(٢) ثُمَّ تَدْعُو بِاسْمِهِ
فَيَقُولُ : هَا ، وَطَالَمَا لَبِي^(٣)

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِهْمًا
تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسَلَا
فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّعِيثَ يُسَامُ دَائِمًا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ^(٤)

قال قيس بن سعد بن عبادة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً ، فوقف يابئنا .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب ؛ لكى يملك .

(٣) لم أعتز على هذه الأبيات نيبا طبع من ديوانه ، ولا في المختار من شعره للخالدين ، ورواية م لهذا البيت :

لابل يملك عند رؤيته ويقول أف وطالما كبا

(٤) محاضرات الأدباء ، ١٢١/١ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ ، غير منسوين ، ونسباً لناصر بن أحمد الجوى ، في

معجم الأدباء ، ٢١١/١٩ . ولابن حموش النيسى المقرئ في وفيات الأعيان ٤/٣٦٤ .

قال ابن المعتز^(١) :

وَقَفَّةٌ فِي الطَّرِيقِ نِصْفُ الزِّيَارَةِ^(٢) .

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مُوَاقَفَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلَامًا خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ^(٣)

كان يقال : امش ميلا ومعد عيلا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال ، وزر في الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن قبلكم رجل يزور أخا له في الله بقرية أخرى ، فأرصد^(٤) الله على مدرجه^(٥) ملكا ، فلما انتهى إليه قال له : أين تريد ؟ قال : أريد قرية كذا . قال : وما حاجتك فيها ؟ قال : زيارة أخ لي في الله . قال : وهل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : فهل عليك من نعمة تربيها^(٦) ، أو يد تشكرها ؟ قال : لا ، إلا أنه أحبني في الله فأحبته فيه^(٧) . قال : فإني رسول الله إليك ، منجرك أنه يحبك كما أحببت فيه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، مما أذن لي فيها فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ، ولا تقولوا هجراً » .

(١) ب : ابن المعيرة .

(٢) صدره * قف لنا في الطريق ان لم نترنا * ديوانه ١٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ١٠١ .

(٣) البيان والتبيين ٢/٤٠٢ ، عيون الأخبار ٣/٢٤ ، وفيه : وحظك لقيه ، محاضرات الأدباء ١٥/١٥ .

(٤) ب : فأرسل .

(٥) المدرج : السلك والطريق .

(٦) ب : تربيها .

(٧) ب ، م : إلا أنه أخى في الله أحبه فيه .

كان سفيان بن عيينة يقول: لا تعمل الأقدام في الزيارة إلا إلى أقدارها ،

وينشد :

فَضَحَ الزِّيَارَةَ حَيْثُ لَا يُزْرَى بِهَا كَرَمُ الْمَزُورِ وَلَا يِعَابُ الزَّائِرِ^(١)

وقال العباس بن الأحنف :

مِيقَرَبُ الشَّوْقِ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مِنْ عَالِجِ الشَّوْقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا
أُزُورُكُمْ لَا أَكْفِيكُمْ بِحَفْوَتِكُمْ إِنْ الْمُصِيبَ إِذَا لَمْ يُسْتَزَرَ زَارَا^(٢)

وقال الأحوص :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا التَّوَى إِذَا لَمْ يُزْرَلَا بُدَّ أَنْ سَيُزُورُ
أُزُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَفْقِدُكُمْ لَمَّا أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبَيْتَانِ يُشِيرُ^(٣)

وقال آخر :

فَإِنِّي لَزَوَّارٌ لَمَنْ لَا يُزُورُنِي إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَدِّهِ بِمُرِيبٍ
وَمُسْتَقْرِبٌ دَارَ الْخَلِيبِ وَإِنْ نَأَتْ وَمَا دَارٌ مِنْ أَنْخَضَتْهُ بِقَرِيبٍ^(٤)

وقال آخر :

رَأَيْتُ تَبَاعَدَ الْإِخْوَانَ قُرْبًا إِذَا اشْتَمَمَتْ عَلَى الْوُدِّ الْقُلُوبُ
وَلَيْسَ يُوَاصِلُ الْإِلْمَامَ إِلَّا حَنِينٌ فِي مَوَدَّتِهِ مُرِيبٌ^(٥)

(١) عيون الأخبار ٣/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٧ .

(٢) ديوانه ١٢٥ ، مع اختلاف في ألفاظ الرواية . محاضرات الأدباء ١/٣٠٥ ، ١٥/٢ .

(٣) البيتان في الأغاني ١٢/١١٥ ، والأول في السكامل ١/٣٣٣ .

(٤) : إذا لم يكن لي في وجوه مرّيب ، والبيتان في محاضرات الأدباء ١٥/٢ . منسوبين إلى ابن حجاج .

(٥) في ' فلبس يهود به مرّيب .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

دَنْتُ بِأَنْاسٍ مِنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بِلَيْلِي عَنْ دُنُوٍّ^(١) مَرَارُهَا
وَإِنَّ مَقِيَّاتٍ^(٢) بِمُنْقَطَعِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارُهَا^(٣)

وأما قول قرم بن مالك :

عَلَامَ أَوَائِمِ الْبُخْلَاءِ فِيهَا فَأَقْمُدْ لَا أَزُورُ وَلَا أَزَارُ

قال بعضهم : إن معناه علام أستوحش من الناس ، وتأول من ذهب هذا المذهب في قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام ، أي لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا عمتهم الوحشة . وقال آخرون في قولهم : لولا الأوام هلك الأنام ، أي لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به ، لهلك الناس ، ولبعض أهل العصر :

أَزُورُ خَلِيلِي مَا بَدَأَ لِي هَشَّةٌ وَقَابَلَنِي مِنْهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبِشْرُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَشٌّ وَبَشٌّ تَرَكْتُهُ وَلَوْ كَانَ فِي الْأُمَّتِ الْوِلَايَةُ وَالْيُسْرُ
وَحَقُّ الَّذِي يَنْتَابُ دَارِي زَائِرًا طَعَامٌ وَبِرٌّ قَدْ تَقَدَّمَهُ بَشْرُ

(١) : عن تناء .

(٢) : وابن مقبياً حيث .

(٣) محاصرات الأديان . ٣١/٢ ، وفيات الأعيان ٢٥/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٢ ، التذييل والمختصر ٩١ ، رهر

الآداب ١٥٦/٤ وفيه : تانث تقوم عن .

باب العيادة أيضاً^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عائدُ المريضِ في نَحْرَفَةٍ^(٢) الجنة ،
وقال عليه السلام : « عائدُ المريضِ يخوض الرحمة ، فإذا قعد عنده غمر
قال مالك : أو نحو هذا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُسَدَّ
إِذَا لَقِيَهُ ، وَيَعُوذَهُ إِذَا مَرِضَ ، وَيُسَمِّتَهُ إِذَا عَطَسَ ، وَيُشَيِّعُ جِنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ ، وَ
لِطَعَامِهِ إِذَا دَعَا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الْعِيَادَةِ أَخْفَاهَا » .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن^(٣)
— يعنى ابن أَرْطَاة — عن المنهال عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس
« من دخل على مريضٍ لم تحضر وفاته ، فقال : أسأل الله العظيم ، رَبَّ
العظيم أن يشفيك ، سبع مرات ، شفى » .

قال الشاعر :

إِنْ كُنْتُ فِي تَرْكِ الْعِيَادَةِ تَارِكًا حَطَّيْ قَائِي فِي الدُّعَاءِ لِحَاثِهِ
وَلَوْ بَعْدًا تَرَكَ الْعِيَادَةَ مُشْفِقًا وَأَتَى عَلَى غَلِّ الضَّمِيرِ الْحَاسِدِ

(١) ساقط في ب .

(٢) الحرفة : البستان ، والسكة بين صفيين من نحل يخترف المخترف من أيهما شاء .

(٣) ب : ابن .

(٤) البيتان في محامرات الأدباء ١٥/٣ ، منسوين إلى الخوارزمي ، ووردا من غير نسبة في عيون الأخبار .

وقال آخر :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ تَعُودُكُمْ
وَتَذُنُّونَ فَنَاتِيكُمْ فَنَعْتَدِرُ^(١)

وقال عبد الله بن مصعب الزيري :

مَالِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدَّنِي عَائِدَةٌ
مِنْكُمْ وَيَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ^(٢)
فَسُمِّيَ عَائِدَ الْكَلْبِ .

ولجعفر بن حذار الكاتب :

إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ^(٣)
وَاقْعُدْ قَلِيلًا كَلْحِظِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ
لَا تُبْرِمْ مَنْ مَرِيضًا فِي عِيَادَتِهِ
يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ تَسَالُ بِحَرْفَيْنِ^(٤)

وللشافعي الفقيه رضى الله عنه ، وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض
إخوانه ، فامسوا جبينه ، وقالوا له : أنت بخير ونحو هذا ، فقال :

أَقُولُ لِعَائِدِيَّ وَشَجَعُونِي وَغَرَّمُ فُتُورُ حَمِي^(٥) جَبِينِي
تَعَزَّوْا بِالتَّصْبِرِ عَنَ أَخِيكُمْ فَضَجُّوا بِالْبُكَاءِ وَوَدَّعُونِي
فَلَمْ أَدْعِ الْأَيْنَ لِقَلِّ سَقَمِي وَلَكِنِّي ضَعُفْتُ عَنِ الْأَيْنِ

(١) البيت للمؤمل بن أميل ، انظر التمثيل والمحاضرة ٩٠ ، المستطرف ٢٢٦/١ ، ٢٣٢/٢ .

(٢) الكامل ٣٢٢/١ ، المستطرف ٣٣٢/٢ ، عيون الأخبار ٥٢/٣ .

(٣) ب : يوم يومين ، وفي محاضرات الأدباء والمستطرف : حق العيادة يوم بعد يومين .

(٤) انظر المحاضرات ٢٠٩/١ ، والمستطرف ٢٣٢/٢ ، العقد الفريد ٤٥٠/٢ ، وقد ورد فيه البيت الأول :

عيادة المرء يوم بين يومين وجلسة لك مثل اللحظ بالعين

وفيه : مساءلة مكان عيادته في البيت الثاني .

(٥) الحمى بالكسر : السخونة والمرض .

سَأَصِيرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَإِلَّا فَهَوَ آتٍ بَعْدَ حِينٍ
وإنَّ أَسْلَمَ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبٌ وَمَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُونِي^(١)

قال المدائني : سقط عبد الله بن شُبْرَمَةَ القاضي عن دابته ، فَوُتِدَتْ^(٢) رجله ،
فدخل عليه يحيى بن نوفل^(٣) الشاعر عائدآ له ومادحآ ، وكان جاره ، فأنشدته :

أَقُولُ غَدَاةً أَتَانَا الْخَبِيرُ وَدَسَّ أَحَادِيثَهُ هَيْئَمَهُ^(٤)
لَكَ الْوَيْلُ مِنْ مُخْبِرٍ مَا تَقُولُ؟ أَيْنَ لِي وَعَدَّ عَنِ الْجَهْمَةِ^(٥)
فَقَالَ خَرَجْتُ وَقَاضَى الْقَضَا ةٍ مُنْفَكَّةٍ رِجْلُهُ مُؤَلَمَةٌ
فَقُلْتُ وَصَافَتْ عَلِيَّ الْبِلَادُ وَخِفْتُ الْمَجَلَّةَ الْمُعْظَمَةَ
فَغَزَوَانُ حُرٍّ وَأُمُّ الْوَلِيدِ إِنَّ اللَّهَ عَافَى^(٦) أَبَا شُبْرَمَةَ
جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا وَمَا عَتَقْتُ عَبْدِي لَهُ أَوْ أَمَّهُ^(٧)

قال : وفي المجلس جازاً ليحيى بن نوفل ، يعرف ما^(٨) في منزله ، فلما خرج تبعه ،
فقال له : يا أبا مَعْمَرِ^(٩) ! رحمتك الله من غَزَوَانُ وَأُمُّ الْوَلِيدِ ؟ قال : سَتَّوْرَانُ فِي
البيت ، فاستر عليّ .

- (١) الأبيات الثلاثة الأولى ومعجم الأدباء ١/١٩٧ ، والرواية للبيت الأول فيه . أقول لصاحبي وسليان : الخ .
(٢) وتدت : انفكت ، أو أصابها وجع من غير كسر .
(٣) الحميري الباني ، كان شاعراً هجاء ، وكان مع ذلك ظريفاً ذا فكاهة ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء
٧١٧ - ٧٢١ ، رغبة الأمل ١/١٣٢ ، ٤/١٨٣ ، ٥/١٤٦ .
(٤) الهينمة : الصوت الحفي .
(٥) الجمجمة : الكلام الذي لا يبين .
(٦) ب : عفا .
(٧) الأبيات في عيون الأخبار ٣/٤٨ ، الشعر والشعراء ٧١٩ .
(٨) ١ : من .
(٩) ب ، ا ، م يا أبا العمر ، وهو خطأ ، انظر مراجع ترجمته السابقة .

بَابُ الْحِجَابِ

قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ وَلى من أمورِ النَّاسِ شيئاً فاحتجبَ عن حاجتِهِمْ ، احتجب اللهُ عنه يومَ القيامةِ وعن حاجته ، وخلَّتْه وفأقته » .

وقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ رفع حاجةَ ضعيفٍ إلى ذى سلطانٍ لا يستطيعُ رفعَهَا ، ثبت اللهُ قدميه على الصُّراطِ يومَ القيامةِ » .

حجب معاويةُ أبا الترداء يوماً ، وجبسه عند بابه ، فقيل له : يا أبا الترداء ! ويفعل هذا بك وأنت صاحبُ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ؟ فقال : من يأت أبوابَ السلطانِ يُقِمُّ ويَقْعُدُ .

قال عبدُ العزيز بن زُرَّارة الكلابي :

دخلتُ على معاويةَ^(١) بنِ صَخْرٍ عَلَى حِينِ يَنْتَسُ من الدُّخُولِ
وما نلتُ الدُّخُولَ عليه حتى حَلَمْتُ حَلَّةَ الرَّجُلِ الذَّلِيلِ
وأغضيتُ الجفونَ على قذآها ولم أنظرُ إلى قالٍ وقيلٍ
فأدركتُ الذى أملتُ منه بِمُكْتِ والنَّخْطَا زادُ العَجُولِ^(٢)

حُجِبَ أعرابيٌّ عند بابِ سلطانٍ فقال :

أُهِنَ لهم نَفْسِي لا كَرَمَها بهم وَلن يُكْرِمَ النَّفْسَ الذى لا يُهِنُها^(٣)

(١) ب : ابن منصور .

(٢) الأبيات في عيون الأخبار ١/٨٣ ، التنبيه للبكري ٦١ ، وفيهما : ... بن حرب وذلك لاذ ، وى البيت الأخير رواية التنبيه : والخطاء مع العجول .

(٣) في هامش البيان علق الأستاذ السندوي على البيت بأنه للحسن بن عبد الحميد ، وقد روى وهو يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان العباسي ، فقيل له : مثلك يرضى بهذا ؟ فقال البيت . انظر البيان ٣/١١٨ . وانظره في العقد ١/٨٢ ، عيون الأخبار ١/٩١ .

حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن
عبيد الله الصيقلاني ، قال : حدثنا علي بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدني بعض
أصحابنا :

في كلِّ يومٍ لي بِبَابِكَ وَقْفَةٌ أَطْوَى إِلَيْهَا سَائِرَ الْأَبْوَابِ
فَإِذَا جَلَسْتَ وَغَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّهُ ذَنْبٌ عَقُوبَتُهُ عَلَى الْبَوَابِ^(١)

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنه ، فأبطأ إذنه ، فقل حجبك .
أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب .

قال معاوية لخصين بن المنذر : يا أبا ساسان ! كأنك لا تحسن^(٢) أذنك ..
فأنشأ يقول :

كلُّ خفيفِ الرَّأْيِ يَمْشِي مُشَمَّرًا إِذَا فَتَحَ الْبَوَابُ بِابِكَ إِصْبَمًا
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ رِزَانَةً وَحِلْمًا إِلَى أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ أَجْمَعًا^(٣)

قال زياد لحاجبه : يا عجلان ! إنني وليتك ما وراء بابي ، وعزأتك عن أربعة :
طارق ليل فشر^(٤) ما جاء به ، وخبر رسول صاحب الثغر فإنه إن تأخر ساعة
أبطل عمل سنة ، وهذا المنادى للصلاة ، وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد عليه .
التسخين فسد .

(١) البيتان في عيون الأخبار ٩١/١ ، المستطرف ١١٥/١ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) البيان ٢١٧/٢ ، وفيه : وكل خفيف الساق يسمى ، الماكثون توقرا . وانظر عيون الأخبار ٨٨/٣ .

المستطرف ١٣/١ ، العقد ٧٩/١ ، وورد الشطر الأول فيه : رأيت أناسا يسرعون تبادرا .

(٤) ساقط من ب .

قال مروان لابنه عبد العزيز - حين ولّاه مصر - : يا بني ! مر حاجبتك
 يخبرك من حضر بابك كل يوم ، فتكون أنت تأذن وتحجب ، وآيس من دخل
 عليك بالحديث فينبسط إليك ، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك الأمر ، فإنك
 على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها .

كان يقال : لا تَقُم على باب حتى تدعى إليه .

أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذن له ، فقال له الحاجب : اكتب كتاباً
 وخففه أوصله لك . فقال : لا أزيد على أربعة أسطر ، فكتب في السطر الأول :
 الأمل والضرورة^(١) أقدماني عليك^(٢) ، وفي السطر الثاني :^(٣) ليس مع العدم صبر
 على الطلب . وفي السطر الثالث^(٤) : الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء ، وفي السطر
 الرابع : إما نعم مشورة ، وإما لا مؤسفة . فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف
 درهم^(٥) ، فانصرف بستة عشر ألف درهم .

قال أشجع بن عمر السلمي^(٥) ، في باب محمد بن منصور بن زياد :

على باب ابن منصورِ علامات من البندلِ
 جماعات وحسب الباء بفضلا كثرة الأهل^(٦)

(١) ب : القفرة .

(٢) ١ : على الملك .

(٣) ساقط من ب .

(٤) وقع تحت كل سطر ببذرة .

(٥) ب : السليمي .

(٦) عيون الأخبار ٩٠/١ ، الكامل ١٠١/١ وفيه : وحسب الباب نبلا ، محاضرات الأدباء ٢٥٦/١ .

وقال بشار بن برد :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُنْتَثِرُ الحَلْبُ (٢) وَتُعْشَى مَنَازِلُ الكُرْمَاءِ (١)

وقال حبيب :

إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجِّى حِينَ تُحْتَجَبُ (٢)

وقال آخر :

يَزِدْحِمُ النَّاسُ عَلَيَّ بِأَبِيهِ ^(١) وَالمَشْرَبُ ^(٢) العَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ (٤)

وقال عبيد الله بن عكراش :

وَإِنِّي لِأَرْثِي للكَرِيمِ إِذَا غَدَا ^(١) عَلَيَّ طَمِعَ عِنْدَ اللَّيْمِ يُطَالِبُهُ
وَأَرْثِي لَهُ مِنْ وَقْتِنَا عِنْدَ بَابِهِ ^(٢) كَمَرٌ نَيْبِي لِلطَّرْفِ وَالعَلَجُ رَاكِبُهُ (٥)

كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر :

"إِذَا كَانَ الجَوَادُ لَهُ حِجَابٌ ^(١) فَمَا فَضَّلَ الجَوَادِ عَلَيَّ البَخِيلِ

فَأجابه عبد الله بن طاهر (١) :

إِذَا كَانَ الجَوَادُ قَلِيلَ مَالٍ ^(١) وَلَمْ يُعْذِرْ تَعَلَّلَ بِالحِجَابِ (٧)

- (١) المختار من شعر بشار ٩٣ ، البيان ١٨٢/١ ، ١٨٨ ، عيون الأخبار ٩١/١ ، ٢٦/٣ ، نهاية الأرب ٣/٧٧ .
 (٢) صدره : ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا . انظر ديوانه ٤٢ .
 (٣) ب : والمرع وكذلك في عيون الأخبار ، وفي المحاضرات : والمنهل .
 (٤) البيت لبشار ، المختار من شعره ٩٥ ، الكامل ١٠١/١ ، محاضرات الأدباء ١٤١/١ ، معجم الأدباء ٢٢٦/٦ ، عيون الأخبار ٩٠/١ .
 (٥) البيان والتبيين ٣/٢٠١ ، عيون الأخبار ٨٩/١ ، والطرف : الجواد الكريم .
 (٦) زيادة من ب .
 (٧) البيت والذي سبقه في المحاسن والمساوي ١٢٦/١ ، المستطرف ١١٣/١ ، عيون الأخبار ٨٩/١ .
 محاضرات الأدباء ١٠٣/١ ، المقدم الفريد ٨٦/١ ، وفيه : الكريم مكان الجواد ، في البيتين .

وقال البحترى :

أَتَيْتَكَ لِلتَّسْلِيمِ لَا أَنِّي امْرُؤٌ طَلَبْتُ يَاثِيَانِيكَ أَسْبَابَ نَائِلِكَ
فَأَلْفَيْتَ بَوَابًا يَبَابِكَ مُغْرَمًا بهدمِ الَّذِي أَوْطَأْتَهُ مِنْ فُضَائِلِكَ
وَقَدْ قِيلَ قَدِمًا حَاجِبُ الرِّءْ عَامِلٌ عَلَى عَرِضِهِ فَاحْذَرُ جُنَايَةَ حَامِلِكَ
وَكُنْ حَالِمًا أَنْ لَسْتُ مِنْ بَعْدُرَاجِمًا إِلَيْكَ وَلَوْ كَانَ الْهُدَى مِنْ رَسَائِلِكَ^(١)

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز :

يَا عُمَرَ بْنَ مُمَرَّ بْنِ الْخَطَّابِ إِنْ وَقُوفَ الْحَرِّ عِنْدَ الْأَبْوَابِ
يُدْفَعُ الْبَوَابُ بَعْدَ الْبَوَابِ يَعْدِلُ عِنْدَ الْحَرِّ قَلْعَ الْأَيْتَابِ^(٢)
قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تحجب عني أحداً إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالى
لا يحجب إلا عن ثلاث : عي يكره أن يُطَّلَعَ عليه ، أو يخجل فيكره أن يدخل إليه
من يسأله ، أو ريبة .

وقد نظم هذا كاه محمود الوراق فقال :

إِذَا اعْتَصَمَ الْوَالِي بِإِغْلَاقِ بَابِهِ وَرَدَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ دُونَ حِجَابِهِ
ظَنَنْتُ بِهِ إِحْدَى ثَلَاثٍ وَرَبَّمَا نَزَعْتُ بظنِّ واقِعٍ بِصَوَابِهِ
فَقَلْتُ بِهِ مَسْئِةً^(٣) مِنْ الْعِيِّ قَاطِعٌ فَنِي إِذْنِهِ لِلنَّاسِ إِظْهَارُ مَا بِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُ عِيُّ اللِّسَانِ فَعَالِبٌ مِنَ الْبُخْلِ يَحْمِي^(٤) مَالَهُ عَنِ طَلَابِهِ

(١) لم أعثر عليها في الديوان ، ووردت في القعد ٨٧/١ بدون نسبة .

(٢) نسب البيهقي في المؤلف ١٦٩ إلى كثير بن كثير السهمي .

(٣) ١ : شئ .

(٤) ب : يحصى .

فإن لم يكن هذا ولاداً قَرِيبَةً يُصِرُّ عليها عند إغلاقِ بابِهِ^(١)
وله أيضاً :

لولا مُقَارَفَةُ الرِّيبِ ما كنتَ تَمُنُّ بِمَنْ يَحْتَجِبُ
أَوْ لَا فَعِيٌّ فِيكَ أَوْ بُخْلٌ عَلَى أَهْلِ الطَّلَبِ
فاكشِفْ لَنَا وَجْهَ العِنا بِ وَلَا تُبَالِ مَنْ عَتَبَ

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى في أقل نظم ، فقال :

وَطُولُ الحِجَابِ مُخْبِرٌ عن عِيٍّ صاحبه وَبُخْلِهِ
فإذا الفتى لم يَسْتَبِنِ هذا تَبَيَّنَ صَعْفَ عَقْلِهِ

وأرفع من^(٢) هذا قول زهير :

السُّتْرُ دون الفاحشاتِ وما يَلْقَاكَ دُونَ الخَيْرِ من سِتْرِ^(٣)

قصد إبراهيم بن المهدي يحيى بن خالد فحجبه ، فكتب إليه إبراهيم :

إني أتيتك للسلام ولم أَتُقَلِّ إِلَيْكَ لِحَاجَةِ رَجُلِي
فَصَحِبْتُ دُونَكَ مَرَّتَيْنِ وَقَدْ تَشَدَّدَ وَاحِدَةٌ عَلَى مِثْلِي

(١) عيون الأخبار ١/٨٤ ، المحاسن والمساوي ١/١٢٦ .

(٢) ب : ماق .

(٣) ١ : وماتلى دون خبر من ستر ، وقد أثبتنا رواية ب لوافقها مختلف الروايات ، وانظره في ديوانه
٩٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٤٧ ، زهر الآداب ٣/١٢٨ ، نهاية الأرب ٣/٥٩ ، الأمل ١/٩١ .

وقال آخر :

سأتركُ باباً أنت تملكُ إذنه
فلو كنت بوابَ الجنان تركتها
وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالكِ
وحوّلتُ رجلى مُسرِعاً نحو مالكِ^(١)

وقال محمود الوراق :

سأتركُ هذا البابِ مادامُ إذنه
وما خابَ من لم يأتَه مُتعمداً
كعهدي به حتى يخفَّ قليلاً
ولا فازَ من قد نال منه وُصُولاً
وما جعلتُ أرزاقنا بيد امرئ
تحمي بابَه من أن ينالَ دُخولاً^(٢)
إذا لم أجدُ يوماً إلى الإذنِ سلماً
وجدتُ إلى تركِ الحجى سبيلاً^(٣)

وقال آخر :

على أيِّ بابٍ أطلبُ الإذنَ بعدما
وفي معنى هذا قول الفرزدق :

وكان يجيرُ الناسَ من سيفِ مالكِ
فأصبحَ يبغي نفسه من يجيرُها^(٤)

(١) المعاسن والمساوي^١ ١٢٦/١ ، المستطرف ١٤/١ ، عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) اضطرب في نسبة هذه الأبيات إلى صاحبها اضطراباً كبيراً ، فقد نسبها المرزبانى في معجم الشعراء ٤٣١
أولاً إلى السديرى أبى نيفة واسمه محمد بن هشام بن أبى خبيصة ، ثم نسبها مرة ثانية في ص ٤٤٨ إلى محمد بن أبى
عمران ، وواقفه الراغب في المحاضرات ١٠٢/١ ، ونسب في المستطرف ١١٤/١ ، إلى أبى تمام ولا توجد في ديوانه ،
ونسب في وفيات الأعيان ٢٧٦/٢ إلى أبى العميش عبد الله بن خنيد ، وانظرها في المقدم ٨٦/١ ، ٨٩
بدون نسبة .

(٤) البيت للثوث اليامى عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بتويت انظر البيان ٤٠٠/٢ وانظره في معجم
الأدباء ٢٥٨/٣ ، عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٥) ديوانه ٧٣ ، البيان ٣٤٠/٢ .

وقال آخر :

ولست بمتَّخذٍ صاحبًا يقيمُ على تابهٍ حاجبًا
ويُلزِمُ إخوانه حَقَّةً وليس يرى حَقَّهُمُ واجبًا^(١)

وقال أبو تمام :

هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِيَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُهَذَّبُ الْخُدَّامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ^(٢)

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مسعدة :

مَالِكٌ قَدْ حُلَّتْ عَنْ وَفَائِكَ^(٣) وَاسِدٌ تَبَدَّلْتَ يَا عَمْرُو شِيْمَةً كَدِرَةٌ
'مَالِي فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ سِوَى تَسْهِيلُ إِذْنِي فَإِنِهَا عَسِيرَةٌ'^(٤)
إِنِّي إِذَا الْبَابُ تَاهَ صَاحِبُهُ^(٥) لَمْ يَلِكْ عِنْدِي لِتَرْكِهِ نَظْرَةٌ
لَسْتُمْ تَرْجَوْنَ لِلْحِسَابِ وَلَا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ مُنْفَطِرَةٌ
لَكِنِ لِدُنْيَا تَكُونُ بَهْجَتُهَا^(٦) سَرِيْمَةٌ الْإِنْقِضَاءِ مُنْشَمِرَةٌ
قَدْ كَانَ وَجْهِي لَدَيْكَ مَعْرِفَةٌ فَالْيَوْمَ أَضْحَى بَابًا^(٧) مِنَ النِّكَرَةِ^(٨)

(١) عيون الاخبار ٨٥/١ .

(٢) يروى البيت الأول : سهل الغناء إذا حلت بيابه طاق اليدين مؤدب الخدام ويروى : ذوو ، مكان أخو في البيت الثاني ، والبيتان ليسا لابي تمام بل وردا في حماسته فقط ، وقد نسبهما هو نفسه لمحمد بن بشر الخارجي في الحماسة ١/٢٤٠ ، ٣٤١ ، ووردا مرتين في معجم الشعراء ص ٢٤٥ ، ٤١٢ ، ونسبا في الأولى لأبي البلهائ عمير بن عامر مولى يزيد بن يزيد الشيباني ، وفي الثانية لمحمد بن بشر الخارجي ، وقد نسبا في البيان والتبيين ١/١٧٩ ، والعقد الفريد ٢/٣١٥ عيون الاخبار ١/٨٩ لى ابن هرمة ، وانظرهما في : محاضرات الأدباء ٢/٢ الحاسن والمساوي ١/١٢٤ من غير نسبة .

(٣) رواية الديوان للكلمات التي عليها نفس الرقم بالترتيب : لإخائك ... حاجبه ... كالظال ... حرفا .

(٤) ساقط من ب .

(٥) الديوان ٣٢٦ .

كتب أبو مسهر إلى أبي جعفر محمد بن عبدكأن ، وكان قد حُجِبَ على يابه :
 إني أتيتك للسلام أمس فلم تأذن عليك لي الأستار والحُجُبُ
 وقد علمت باني لم أردد ولا والله مارد إلا الحديث والأدب^(١)
 فأجابه محمد بن عبدكأن :

لو كنت كافت بالحسنى لقلت كما قال ابن أوس في أشعاره أدبٌ
 ليس الحجاب بمقصي عنك لي أملاً إن السماء تُرجى حين تُحجَبُ^(٢)
 وقال منصور الفقيه :

إن الحجاب عذابٌ وليس لي بالمذاب
 كلاً^(٣) فلا تعدلوني على اتصال اجتنابي

وله أيضاً :

إذا كان لا بد من حجةٍ ومن حاجبٍ فاجعلوه رفيقاً
 يخاطب من جاءه بالجميل فيأتي صديقاً ويمنني صديقاً

(١) في المقتد ١٨٠/١ ، للتسليم مكان السلام ، وفيه : ولا والله مارد إلا : الحديث والعلم والأدب .

(٢) ب : إذا .

بابُ المصافحةِ وتقبيلِ اليَدِ والقَمِ

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَصَافَحُوا يَذْهَبُ الْغِلُّ ^(١) » .
وقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ وَتَصَافَحَا تَحَاتَّتْ
ذُنُوبُهُمَا كَمَا يَتَحَاتَّتْ ^(٢) الشَّجَرُ » .

كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا صَافَحَ رَجُلًا لَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى
يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ .
قال أبو خلد : المصافحة تجلبُ المحبة .
كان يقال : تحيةُ المؤمنين المصافحةُ والسلام .

قال الشاعر :

قَدِ يَمَكُتُ النَّاسُ دَهْرًا لَيْسَ يَذْنِبُهُمْ وَدُؤْدُ فَيَزِرَعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ
لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَى قَرِيظَةَ ، وَأَرَادُوا النُّزُولَ عَلَى حَكْمِ
سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ بِالْمَدِينَةِ لَجَرَحٍ أَصَابَهُ بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ ، قَالَ لِلْأَنْصَارِ : « قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » .

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ
مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

ومذهبُ الحديثين أنه جائزُ للرجل أن يكرمَ القاصدَ إليه إذا كان كريمَ قومٍ ،
أو عالمهم ، أو من يستحقُّ البرَّ منهم بالقيامِ إليه أو يرضى بذلك منهم .

(١) الغل بالكسر : الحقد والضغن .

(٢) حته : فركه وقشره ، وتحات الشجر : سقط ورقه .

قال ابن المُسيَّب البغدادي ، جار^(١) ابن الرومي :

أقومُ وما بي أن أقومَ مَذَلَّةً عَلَيَّ وإني للكرامِ مُذَلَّلٌ
على أنها مِنِّي كَمِيرِكَ هُجْنَةٌ وَلَكِنَّا يَئِنِّي وَيَيْتَكَ تَجْمَلُ^(٢)

كان يقال : تقييل^(٣) اليد إحدى السجدين .

تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبّلها ، فقبضها ، فتناول رجله ، فقال :
مارضيت منك بتلك فكيف بهذه !!

دخل عَقَالُ بْنُ شَبَّةَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ فَقَبَضَهَا ،
وقال : مه . فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هَلُوعٌ ، ومن المعجم إلا خَضُوعٌ .

قال الحَسَنُ : مُقْبَلَةٌ يَدِ الْإِمَامِ الْمَدُلِ طَاعَةٌ .

كان يقال : قِبْلَةُ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ الْفَهْمُ ، وَقِبْلَةُ الْوَالِدِ وَلَدَهُ الرَّأْسُ ، وَقِبْلَةُ الْأُمِّ^م
الْوَالِدَ الْخَدُّ ، وَقِبْلَةُ الْأَخْتِ الْأَخُ الْعُنُقُ .

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : قِبْلَةُ الْوَالِدِ عِبَادَةٌ ، وَقِبْلَةُ الْوَالِدِ رَحْمَةٌ ،
وقِبْلَةُ الْمَرْأَةِ شَهْوَةٌ ، وَقِبْلَةُ الرَّجُلِ أَخَاهُ دِينٌ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العِينانُ تَزْيَانُ ، وَزَنَاؤُهُمَا النَّظْرُ ، وَالْقَمَمُ

(١) ب قال ، أ : خال .

(٢) معاضرات الأدباء ١٧/٢ ، ولم ينسبه ، وقد بحث في ديوان ابن الرومي لاحتمال كونها له ، فلم أعمر

عليهما فيه وقد سبقا في ص ٤٤ .

(٣) ساقط في ب .

بزني ، وزناؤه القبل^(١) ، واليد تزني ، وزناؤها اللبس ، ويصدق ذلك كله الفرج أو يكذبه .

قال الهيثم بن عدي ، قال لي صالح بن حبان : من أفقه الشعراء ؟ فقلت :
اختلف في ذلك . فقال : أفقه الشعراء وصاح اليمين^(٢) ، حيث يقول :

إذا قلت هاتي ناوليني تبسمت وقالت : معاذ الله من فعل ما حرم
فما نولت حتى تضرعت عندها وأعلمتها ما أخص الله في اللمم^(٣)

(١) ١ : القول .

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، شاعر رقيق الغزل ، قتله الوليد بن عبد الملك ، انفذه في زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، انظر الأغاني ٣٠/٦ — ٤٤ .

(٣) البيتان في معاضرات الأدهاء ٢١٠/١ ، وفيات الأعيان ٦٦/٦ .

بابُ الرَّسُولِ

ذكر ابن الأنباري ، عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، قال : الرَّسُولُ والرَّسِيلُ
والرَّسَالَةُ سواء .

وينشد هذا البيت على وجهين :

لقد كَذَبَ الوَاشُونَ مَا بَحَثُ عِنْدَهُمْ بِسْرٌ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ^(١)
'ويروى برسيل^(٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبردتم^(٣) إلى بريدآء ، أو بعثتم رسولا ،
فليكن حسن الوجه ، حسن الاسم ، وإذا سألتهم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه » .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرجل الصالح يجيء بالخبر الصالح ،
والرجل السوء يأتي بالخبر السوء » .

أنشد أبو حازم القاضي ببغداد :

وأنا عن النبي حديثاً ن^(٤) إليه كِلاهُمَا يُسْنَدَانُ^(٥)
واحد في الحاجات يأمرنا أن نَبْتَغِي مِنْ ذَوِي الْوُجُوهِ الْحِسَانَ
م في الفأل حبه حسن الاسم م وهذان فيك مجتَمعان
ومعاذ الإله أن يُلْفِيَا فِيهِ لك كما جاء عنه^(٥) لا يَصْدُقَانُ

(١) البيت لسكبر ديوانه ٩٤ ، الأمل ٦٣/٢ ، وفيهما : بيلي ... برسيل .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب : أبرتم .

(٤) ساقط من ب ، و ١ : كلاهما عن النبي يسندان ولا يستقيم منها الوزن .

(٥) في ١ : عدلا .

كان عبد الملك بن مروان إذا وَلَّى رجلاً البريدَ ، سأل عن صدقه وعفته وأمانته ، وقال : إن كذبه يشكك في صدقه ، وشره يحمّله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه .

قالوا : الرسول قطعة من المرسل .

قال عمرو بن العاص : ثلاثة دالة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدي ، والكتاب على الكاتب .

لما قال عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَاِنِّي ضَقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِيهَا (١) وَالكِتَابِ
 هِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
 أَبْرَزُوهَا يَمِثِلُ الْمَهَاةَ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
 ثُمَّ قَالُوا : تَحْبِهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ (٢)

قال له ابن أبي عتيق : والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري . فارتحل من المدينة حتى أتى مكة ، فصادف الثريا في الطواف . فقالت له : يا ابن أبي عتيق ! ما جاء بك ، وليس هذا أوان الحج ؟ فقال : أبيات لعمر . فقالت : أنشدني . فأنشدها الأبيات حتى أتى على آخرها . فقالت : أدى الله أماتك ، فعد أديت . قال : فضرب راحلته ورجع .

قال صالح بن عبد القدوس :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَارْسَلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

(١) ب : مجبها -

(٢) ديوانه ٤٦ -

وإن بابُ أمرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فشاوِرُ لِيبيَا ولا تَعَصِهِ (١)
 سمع الخليلُ بنُ أحمدَ رجلاً يُنشدُ بيتَ صالحٍ هذا :
 إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فأرْسِلْ حَكِيماً ولا تُوصِهِ
 فقال : هو الدرهم .
 [٢] وقال آخر :

وما أَرْسَلَ الأَفْوَامُ في حاجةٍ
 يَأْتِيكَ عَفْواً بِالَّذِي تَشْتَهِي
 وأبعضُ المتأخِرِينَ من أهلِ عصرنا :
 إذا ما كنتَ مَتَّخِذاً رَسولاً
 فَإِنَّ التُّجِجَ في الحاجاتِ يَأْتِي
 وقال الراجز :

ما مُرْسِلٌ أَنْجِحُ فِيمَا نَعْلَمُ
 مِنْ طَبَقِي يُهْدِي وَهَذَا الدَّرْهُمُ (٤)
 وقال منصور الفقيه :

أرسلتُ في حاجةٍ رَسولاً
 ولو سِوَاهُ بَعَثْتُ فِيهَا
 يُكْنَى أبا دِرْهِمٍ فَتَمَّتْ
 لَمْ تَحْظَ نَفْسِي بِمَا تَمَّتْ

(١) انظرهما في الموشح للرزبالي ١٦ ، وقد ورد البيت الأول في حاسة البحري ١٩٨ منسوبا إلى عبد الله بن معاوية الجعفي .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير في نسخة ب .

(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٤٠ . عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٤) البيت في عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

بَابُ الْمَهْدِيَّةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الهدية رزق من رزق الله، فمن أهدى إليه شيء فليقبله ولا يردّه، وليكافئه عليه» .

وقال صلى الله عليه وسلم: تهادوا فإن الهدية تذهب السخيمة^(١)، وتزيل وحر^(٢) الصدور، ولا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة^(٣)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقبل الهدية، ويثيب عليها أفضل منها.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لو أهدى إلى ذراع لقلت، ولو دُعيت لكرّاع لأجبت» .

قال رجل لأبي ذر: فلان يقرئك السلام. فقال: هدية حسنة، وحمل خفيف.

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة.

وقد حدثنا ابن صاعد، قال: حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب، حدثنا أبو عتاب الدلائل، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، حدثني الزهري، عن عبد الله بن وهب بن زمره عن أم سامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الهدية تذهب السخيمة». قيل: وما السخيمة؟ قال: «الإحثة تكون في الصدور» .

وعن الهيثم بن عدي، قال: كان يقال: ما ارتضى الغضبان، ولا استسطف السلطان، ولا سلبت الشحنة، ولا دفعت المغارم، ولا توثق المحذور، ولا استعمل المهجور، بمثل الهدية والبر.

(١) السخيمة: الحقد والعداوة .

(٢) الوحر: الحقد .

(٣) في الأصل: فرس وفرسن شاة: ظافها . النهاية ٤٢٩/٣ .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من أهديت إليه هدية فجلساؤه شركاؤه فيها » .

قال أبو إسحاق الصَّابِي :

رويت في السُّنَّةِ الْمَشْهُورَةِ الْبَرَكَةِ أَنَّ الْهَدِيَّةَ فِي الْجُلَّاسِ مُشْتَرَكَةٌ^(١) .
 كان يزيدُ بنُ قيسِ الأَرْحَبِيِّ ، واليًّا لعلِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فأهدى إلى الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وترك ابنَ الحَنْفِيَّةِ ، فضرب على رَحْمَةِ اللهِ عَلَى جَنْبِ ابْنِ الحَنْفِيَّةِ ، وقال :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو . بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَمْ تُصْبِحْ حِينَا^(٢)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للقرابات: « تزاوروا ولا تجاوروا ، وَتَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَثْبِتُ الْمَرْوَعَةَ ، وَتَسْتَلُّ السَّخِيمَةَ » .

أصبح عند علي بن أبي طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف ، فأنكر ذلك . فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : فنيروزوا لنا إذا كل يوم . قال أبو عمر : كان هذا منه رضى الله عنه — إن صح — قبل أن يدخل الكوفة ، وأن يكون خليفة ، لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز ولا مهرجان ، وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه في بيت المال — مال المسلمين .

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ ، وقد نسبة الثمالي فيها إلى الصاحب بن عباد .

(٢) البيت لعمر بن كلثوم من معلقه المشهورة ، انظره في جبهة أشعار العرب ١٥٨ ، التمثيل والمحاضرة

٥٤ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

قال يونسُ بن عبيد : أتيت ابن [١] سيرين يوماً ، ومعى خبيص (٢) ، فقلت : قولوا له : يونس بالباب . فقال — وأنا أسمع — : قولوا له : قد نام . فقلت : إن معى خبيصاً . قال : كما أنت حتى أخرج إليك .

قال الشاعر :

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَوَلَّدَ فِي قُلُوبِهِمُ الْوِصَالَا
وَتَزَرَّعَ فِي الضَّمِيرِ هَوَىٰ وَوُدًّا وَيَكْسُوهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالَا (٣)

قال أبو عوَّانة : قلت للأعمش : يا أبا محمد ! إن عندي بطة سمينة ، أفنكون عندي في الدار ؟ قال : وما تصنع بعنائي ؟ ! ابعث بها إلى الدار .

قال الشاعر :

إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ أَحْظَىٰ مِنَ الْإِبْنِ (٤) عِنْدَ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ

وقال آخر :

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبَدَىٰ مَوَدَّتَهُ يَوْمًا بِأَنْبَجَحَ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إِذَا تَلَّمَّ بِالْمُنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ صَوْلَةَ (٥) بَوَابٍ وَلَا غَلَقِ
لَا تَكْذِبَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ خُلِقُوا لِرَغْبَةِ يُكْرَمُونَ النَّاسَ أَوْ فَرَقِ

(١) إلى هنا ينتهي النقص من نسخة ب .

(٢) نوع من الأطحه يصنع من التمر والسمن .

(٣) نسب البيتان لابن قم الزبيدي الحسين بن علي المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، في معجم الأدباء ١٠/١٤٧ ، وقد

ورد في ديوان أبي العتاهية ٣٤٢ .

(٤) ب : الأمن .

(٥) ب : سطوة .

أَمَّا الْفَعَالُ فَعِنْدَ النَّجْمِ مَطْلَعُهُ وَالْقَوْلُ يُوجَدُ مَطْرُوحًا عَلَى الطَّرْقِ^(١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ حَبِيبُهُ أُتْرُجَّةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عَيْافَةٍ زَاجِرٍ
خَوْفَ التَّبَدُّلِ وَالتَّلَوُّنِ إِنَّهَا لَوْ تَانُ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ^(٢)

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل ، وكتب معها :

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لَتَلْبَسَهَا تَمْتَشِي بِهَا قَدَمٌ إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَحْسُنُ أَنْ أُشْرَكَهَا خَدَى جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدَى^(٣)

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلمًا ، وكتب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ الْأَلْهَةِ بِشَيْءٍ فَكُنْ لَهُ ذَا قَبُولٍ
لَا تَقْسُهُ إِلَى نَدَى كَفِّكَ الْعَمِّ رِ وَلَا تَيْلِكَ الْكَثِيرِ الْجَزِيلِ
وَاعْتَفِرْ قِلَّةَ الْهَدِيَّةِ مِنِّي إِنَّ جَهْدَ الْمُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلٍ^(٤)

أو لم إسحاق بن إبراهيم الموصلى وليمة ، فأهدى إليه إخوانه هدايا ، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشنان^(٥) مطيب ، وكتب إليه رقعة :

(١) أدبيات في محاضرات الأدباء ، ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٢٣/٣ .
(٢) البيتان لسكثوم بن عمرو العتاي ، انظر زهر الآداب ٨٧/٤ ، وفيه : أهدى له أحبابه ، وانظر المقدم الفريد ٣٠٢/٢ محاضرات الأدباء ٢٥٩/٢ .
(٣) البيتان في الديوان ٨٠ ، عيون الأخبار ٣٩/٣ ، البيان ١٢٢/٣ ، المقدم الفريد ٢٨٣/٦ وديراك النعل : سيوره التي يشدها .
(٤) لم أعتز على هذه الأبيات و الديوان ، وقد وردت منسوبة إليه أيضا في المقدم الفريد ٢٨٥/٦ ، عيون الأخبار ٣٩/٣ .
(٥) الأشنان بضم الهزة وكسرهما : نبات جلاء منق نغسل به الأيدي والأسنان .

فذاك أخوك عنده ، لولا أن البضاعة تقصر لجُزّتُ السابقين إلى برك ، وكرهتُ
أن تطوى صحيفة البرِّ ولاحظتُ لي فيها ، فوجهتُ إليك بالابتداء به ليمنه وبركته ،
والمختوم به لطيبه ونظافته ، جرابٌ ملح وجرابُ أشنان ، هدية من يحتشم^(١) إلى
من لا يحتشم ، وكتب أسفل الرقعة :

هَدِيَّتِي تَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي وَهَمَّتِي تَعْمَلُو عَلَي مَالِي
وَخَالِصُ الْوُدِّ وَمَحْضُ الْهَوَى أَحْسَنُ مَا يُهْدِيهِ أُمَّتَالِي^(٢)

بمث رجل إلى دعبل بأضحية ، فكتب إليه دعبل^(٣) :

بَعَثتُ إِلَيْنَا بِأُضْحِيَّةٍ وَكُنْتَ حَرِيْبًا بَأَنْ تَفْعَلَا
وَلَكِنَّمَا خَرَجْتَ غَثَّةً كَأَنَّكَ أَرْعَيْتَهَا حَرَمَلًا^(٤)
فَإِنْ قَبِلَ اللهُ قُرْبَانَهَا فَسُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَعْدَلَا

قال قتادة : يُعرف سَخْفُ الرجل في سَخْفِ هِدْيَتِهِ . قال ذلك في نعل
أهديت إليه .

ولى في هذا :

سَخَافَةُ الْمَرْءِ تُدْرَى فِي هَدِيَّتِهِ وَالنَّوْكَ وَاللُّؤْمُ فِيهَا^(٥) يَظْهَرَانِ مَعَا
إِنَّ اللَّائِمَ إِذَا أَهْدَى هَدِيَّتَهُ أَبْدَى نَدَاةً فِيهَا لِمَنْ سَمِعَا

(١) ب : من لا يحتشم .

(٢) ورد البيتان منسويين لأبي محمد بن مهدي العكبري في معجم الشعراء ٤٣٠ ، وانظر هذه القصة مع اختلاف
في بعض ألقابها في العقد الفريد ٢٨٤/٣ .

(٣) الأبيات له في عبون الأخبار ٤٣/٣ .

(٤) الحرمل : نبات مر صغير كالسوسم ، لانتأ كله لولا المعزى .

(٥) زيادة من أ .

وخلف الأحر:

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءَ الثَّرِيَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ بُخْلِ وَمَطْلٍ (١)
 مُهُمْ (٢) جَمَعُوا النَّعَالَ وَأَحْرَزُوهَا . وَسَدُّوا دُونَهَا (٣) أَبَا بِقْفَلٍ
 إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكِمَةً وَشَاةً وَعَشَرَ دَجَائِحٍ بَعَثُوا بِنَعْلِي
 وَمِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ وَعَشْرٌ مِنْ رَدِيءِ الْمُقْلِ خَشَلٍ (٤)
 فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لَتَحْمِلُونِي عَلَى نَعْلِ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي
 أَنَا سَ يَا نَفُونَ (٥) لَهُمْ رِوَاءٌ تَغِيمٌ (٦) سَمَاوُهُمْ مِنْ غَيْرِ وَبَلٍ
 إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرَعٌ مِنْ قَرِيشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالَ فَعَالَ عَكْلٍ (٧)

وقال آخر في جاره أنه أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً:

عَبَّاسُ مَا وَجَّهَكَ بِالْهَشِّ وَلَا أَبْرَثَكَ مِنَ الْغِشِّ
 لَمْ تُهْدِلِي نَعْلًا وَلَا مُقْلَةً كَأَنَّمَا جِئْتَ مِنَ الْحِشِّ (٨)

ولنصور الفقيه - يداعب صديقاً يكنى أبا نصر، ويسمى فتحاً، قدم من الحج -

شعرٌ حسنٌ النظم مليح المعنى، رأيت إيراداً لحسنه:

سَأَلْتُ الْحَجِيحَ وَقَدْ أَقْبَلُوا يَوْمُهُنَّ مِصْرَ مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ
 فَقُلْتُ لَهُمْ - بَعْدَ إِيْنَأْسِهِمْ - : أَفْتَحُ بِمَكَّةَ . أَمْ قَدْ قَدِمَ ؟

(١) : من مطلق وبخيل .

(٢) ب : تائهون .

(٣) المقل : ثمر شجر الدوم ، والحشل منه : رديئه أو يابسه .

(٤) وردت الأبيات الأربعة الأولى في البيان ١١٢/٣ ، محاضرات الأدباء ١٦٣/١ ، وانظرهما جميعاً .

في عيون الأخبار ٣٨/٣ ، الشعر والشعراء ٧٦٤ .

(٥) الحش : ثلاثة الحاء : المخرج الذي يقضون حوائجهم فيه .

فقالوا : ترحّل من قبلنا
فقلت : بجرمة من زرتهم ؟
فأقبلت في صرخة منهم
أعدُّ آلاءه والجفون
فصادفني صالح عبده (١)
وماذا دعاك إلى ما أرى
أبي (٢) نصر البحر من جوده
فقال : ألم يأت من جمعة
وأين القفاف الحسان القدود
(٥) وأين النعال وأين الفراء
وأين القديد قديد الأطباء
فقال : وحقك ما جاءنا
قدم صديقك واستهده
إلى البيت يشهدك أخباره
فقلت : ألا ليت أخباره

لعشر ليالٍ توات حرم
أحقًا تقولون ؟ قالوا : نعم
وقلبي بما به يضطرم
مسافيح بالدمع والدمع دم
فقال (٢) فديتك لم تلتدّم ؟
فقلت : الحذار على ذي الكرم
إذا المزن صنت بصوب اللّيم
فقلت : كذبت فأين الأدم ؟
وأقداح جيشان تلك السلم (٤)
وأين البرود وأين البرم (٥)
وأين الملوّز مثل العم (٦)
بشيء سوى نفسه فاعثم
حديث الوفود وفود الأمم
عجائب عزمهم والمعجم
وناقلها خلف قاف ولم

(١) ب : عنده .

(٢) ب : فقلت .

(٣) ساقط من ب

(٤) ب : وأقداح حسان تلك اللّيم ، وأقداح جيشان منتظمة دقيقة تصنع في بلدة جيشان باليمن .

(٥) زيادة في م .

(٦) ب : الملوّن مثل النعم .

وخلد بن خليفة الأقطع من بني قيس بن ثعلبة في جاره غاب ثم قدم، ولم يهد
له، وكانت بينهما مصافاة:

أتانا أخ من غيبة غاب أشهراً وكنت إذا ما غاب أنشد الركباً
فجاء بمعروفٍ كثيرٍ قدمه كما دس راعي الشوء في حوضه الوطبا (١)
فقلت له: هل جئتني بهديةً فقال: بنفسى. قلت: آثر بها الكلباً
هي النفس لا آسى عليها وإن تأت ولا أتمنى الدهر يوماً لها قرباً
إذا هي أوفت من ثمانين قامةً فلا سهل لقاها إلاه ولا الرحباً (٢)

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه في يوم نيروز وردة وسهما وديناراً
ودرهما، وكتب إليه:

لازلت كالوردِ نضيرِ الميسمِ ونافيداً مثل نفوذِ الأسممِ
في عزِ دينارٍ ونججِ درهم (٣)

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابي إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اصطرلاباً
على قدر الدرهم بحكم الصنعة وكتب إليه:

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا في مهرجانٍ عظيمٍ أنت تعليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى سمو قدرك عن شيء تساميه

(١) و: الرطبا، وهو تصحيف، والوطب: سقاء اللبن يصنع من جلد الجنح فا فوّه.

(٢) عيون الأخبار ٣/٣٦، محاضرات الأدباء ١/١٩٩ مع خلاف في ألفاظ الرواية.

(٣) محاضرات الأدباء ١/١٩٤.

[^(١)لم يَرْضَ بِالْأَرْضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ^(٢)

وأهدى شمس المعالي إلى عضد الدولة سبعة أقلام ، وكتب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ سَبْعَةَ أَقْلَامٍ لَهَا فِي الْبَهَاءِ حَظٌّ عَظِيمٌ

مرهفات كأنها ألسن الحيات قد جازَ حدَّها التَّقْوِيمُ

وتفاءلت أن ستَحْوِي الأقاليمَ بها كلُّ واحدٍ إقليم^(٣)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : كانت الهدية فيما مضى هدية ، أما اليوم

فهي رشوة .

وقال كعب الأحبار : قرأت في ما أنزل الله على بعض أنبيائه : الهدية تفقأ

عين الحكيم .

وقال الشاعر :

إِذَا أَتَتِ الْهَدِيَّةُ بَابَ قَوْمٍ تَطَايَرَتِ الْأَمَانَةُ مِنْ كُؤَامَا

(١) من هنا يبدأ سقط من نسخة ب .

(٢) يروى : واختلفوا بدل واحتشدوا ، ومبليه بدل تمليه ، وعلو مكان سمو ، انظرها في : المستطرف

٦٨/٢ ، معجم الأدباء ٣٤/٢ ، زهر الآداب ٦٣/٢ .

(٣) الأبيات لشمس المعالي واسمه قابوس بن وشمكير ، انظر ترجمته والأبيات في معجم الأدباء ٢٢٥/١٦ .

بَابُ الْجَارِ

قالت عائشة : يا رسول الله ! إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال : « إلى أقربهما إليك باباً » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمنُ جارٌ حتى يأمنَ جاره واثقهُ »
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثهُ » .

كان داودُ عليه السلام يقول : اللهم إني أعوذ بك من جار سوءٍ ، عينه ترعاني ، وفأبه لا ينساني .

مكتوب في التوراة : إنَّ أحسدَ الناسَ لعالمٍ وأنعاه عليه قرابته وجيرانه .

وقال عكرمة : أزهدُ الناسِ في عالمٍ جيرانهُ .

قال رجل لسعيد بن العاص : والله إني لأحبُّك . فقال له : ولم لا تحبني ولست بجار لي ولا ابن عم .

كان يقال : الحسدُ في الجيران ، والمداوةُ في الأقارب .

روى يحيى بن زكريا بن يحيى الباجي ، قال : حدثني محمد بن الفضل المكي ، قال : حدثني أبي عن إبراهيم عن عبد الله ، قال : مرَّ مالك بن أنسٍ بقينة تنفي شعر مسلم :

أنت أختي وأنت حرمة جاري وحقيق على حفظ الجوار
 إن للجار إن تغيب غيباً حافظاً للمغيب والأشرار
 ما أبالي أكان للباب ستر مسبل أم بقي بنير ستر

فقال مالك : علموا أهليكم هذا ونحوه .

وعن مالك ، أيضاً ، قال مالك بن أنس ، قال أبو حازم : كان أهل الجاهلية
 أحسن جواراً منكم ، فإن قلم : لا . فبيننا وبينكم قول شاعرهم :

نارى ونار الجار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
 ما ضر جاراً لى أجاوره ألا يكون ليته ستر
 أعمى إذا ما جارتي برزت حتى يوارى جارتي الخدر^(١)

قال أبو عمر : هذا الشاعر مسكين الدارمي^(٢) .

وقال آخر :

أقول لجارى إذ أتانى معاتباً مدلاً بحق أو مدلاً يباطل
 إذ لم يصل خيرى وأنت مجاورى إليك فما شرى إليك بواصل^(٣)

قال الأصمعي : ومن أحسن ما قيل فى حسن الجوار :

جاورت شيبان فاحلوتى جوارهم إن الكرام خيار الناس للجار

(١) الأبيات لمسكين الدارمي فى معجم الأدباء ١١/١٣٢ ، محاضرات الأدباء ٢/١٠٢ ، الشعر والشعراء ٥٣٠ ،
 لباب الآداب ٢٧٥ وفيها : ألا يكون لبايه .

(٢) يفهم من هذا أن مسكيناً كان من شعراء الجاهلية ، ولكن الواقع أنه شاعر إسلامى توفى سنة ٨٩ هـ
 وله أخبار من معاوية وكان مقرباً لى زياد بن أبيه ، انظر معجم الأدباء ٤/٢٠٤ ، الشعر والشعراء ٢١٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٣٦٥ من غير نسبة ، وفيه : لأن بدل إذا ، وبدل مكان مدلاً .

من كلام عليّ رحمه الله : الجارُّ قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، أخذهُ
الشاعر فقال :

يقولونُ قبلَ الدّارِ جارٌّ مجاورٌ وقبلَ الطّريقِ النّهيجِ أنسُ رفيقٍ^(١)

وقال آخر :

اطلبُ لنفسيك جيراناً تُجاوِرُهُم لا تصلحُ الدّارُ حتّى يصلحَ الجارُّ

وقال آخر :

«١» يلو موني أن بت بالرخص منزلي ولم يعرفوا جارا هناك ينقص^(٢)

«قلت لهم كفوا الملام فانها بجيرانها تملو الديار وترخص^(٣)»

قال الحسن البصري رحمه الله : إلى جنب كل مؤمن ، منافق يؤذيه .

وقال بشائر بن بشر المجاشعي :

وإني لعفتُ عن زيارة جارتي وإني لمشتوي^(٤) لدى اغتياها

إذا غاب عني بعلمها^(٥) لم أكن لها^(٥) زوّراً ولم تنأسن إليّ كلابها

ولم أكن^(٦) طلاباً أحاديث سيرها ولا عالماً^(٧) من أي جنس ثيابها^(٨)

(١) فصل المقال ٣١١ ، محاضرات الأدباء ١/٢٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيتان في فصل المقال ٣١٠ ، ٣١١ .

(٤) ١ : مسرور ، وهو تصحيف واضح .

(٥) ساقط من ب .

(٦) ب : أر .

(٧) ب : عاياً .

(٨) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٣/١٨٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك .

قال عليُّ للعباس رضى الله عنهما: ما بقى من كرم أخلاقك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، وترك أذى الجيران .

كان يقال : ليس من حسن الجوار ترك^(١) الأذى ، ولكنه الصبر على^(٢) الأذى ..

قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه :

يا سائلِي عن حُسَيْنِ^(٣) وقد مضى أَشْكَالُهُ

أقل ما فى حُسَيْنِ^(٣) كَفُّ الأذى واحْتِمَالُهُ

قال الحطيئة^(٤) :

لَعَمْرُكَ ما المِجاوِرُ فى كَلِيبِ بِمُقَصِّى فى الجوارِ ولا مُضَاعِ
مُ صَنَعُوا لِجارِهِمْ وليست يَدُ الأخرِقاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ
ويَحْرَمُ سِرَّ جارِيهِمْ عَلَهِمْ وَيَأْكُلُ جارُهُمْ أَنْفَ القِصاعِ^(٥)

وقال الحسن بن عرفطة :

ولم أرَ مِثْلَ الجَهِلِ يَدْعُو إلى الرَدَى ولا مِثْلَ جارِ السُّوءِ يُكرِهَ جَانِبَهُ

(١) ب : كف .

(٢) ب : احتمال .

(٣) ب : حسن .

(٤) ديوانه ٦٢ ، وقد ورد الشطر الأول فيه : وليس الجار جار بنى كليب ، وانظر الآيات فى الكامل ٦٩/٢ .

(٥) قال فى الكامل : أنف القصاع : يريد المتأنف الذى لم يؤكل قبل منه شيء ، يقال : رومنة أنف

إذا لم ترع ، وكأس أنف إذا لم يشرب منها شيء قبل .

وقال آخر:

لا يَأْمَنُ الْجَارُ شَرًّا فِي جِوَارِهِمْ
ولا محالة من شتم وألقاب^(١)

ومثل هذا قول الآخر:

أَجَلُ الْعَشِيرَةِ إِذَا حَضَرَتْ
ولا أتعلم ألقابها^(٢)

وقال حاتم الطائي، ويروى لغيره:

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

إِذَا مَا عَمِلْتَ الزَّادَ فَاتَّخِذِي لَهُ
أكيلا فأني لست أكله وخذني

بَعِيدًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي
أخاف مذمات الأحاديث من بعدني

وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ
خفيف المعنى بادي الخصاصة والجهل^(٣)

وقال غيره:

سُقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَقْوَامٍ نَزَلَتْ بِهِمْ
كأن دار اغترابي عندهم وطني

إِذَا تَأَمَّلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ خُلُقًا
علمت أنهم من حلية الزمن

وقال ابن حبناء:

إِذَا مَارَفِيقِي لَمْ يَكُنْ خَلْفَ نَاقَتِي
له مركب أفضل فلا سمحت رجلي

(١) ورد البيت في الحماسة لأبي تمام ١٩٩/٢ منسوباً إلى حرب بن عتاب وفيها الشطر الأول: لا يرتجى

الجار خيراً في بيوتهم.

(٢) ورد البيت في معجم الشعراء ٣٥٣ لكاناز بن صرم الحرمي، وفيه الشطر الأول: ولكن أطاوع

ساداتها.

(٣) يروي: صنعت مكان عملت، ويروي الشطر الأول من البيت الثالث: أخطارنا أو جاز بيت فإني،

وقد وردت الأبيات ماعدا الأخير في ديوان حاتم ٩، ونسبت له في عيون الأخبار ٢٦٣/٣، وفي حماسة أبي تمام

٢٩٢/١ لم تنسب، وعقب عليها التبريزي بأنها لحاتم يخاطب بها لمرأته، ووردت منسوبة لقيس بن عاصم المنقري في

الأغاني ١٣/١٥٠، الكامل ١/٣٤٥.

ولم يك من زادي له نصف مزودي فلا كنت ذازاد ولا كنت ذارحل
 شريكين فيما نحن فيه وقد أرى على له فضلاً بما نال من فضلي
 ويروى لحاتم الطائي .

تذاكر أهل البصرة من ذوى الآداب والأحساب فى أحسن ما قاله المولدون فى
 حسن الجوار من غير تعسف ولا تعجرف ، فأجمعوا على بيتى أبى الهندى^(١) وهما :

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان فى زمن تحلى
 فا زال بي إكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلى^(٢)

(١) أبو الهندى ورد اسمه فى الأغاني ١٧٧/٢١ ، وفى فوات الوفيات ٢٤٠/٢ ، غالب بن عبد القدوس .
 ابن شيب بن ربهى الرياحى اليربوعى ، وسماه فى الكامل عبد المؤمن بن عبد القدوس ، انظر رغبة الأمل
 ١٦٢/٦ ، وهو شاعر مطبوع أقام عمره فى سجستان وخراسان ، فلم يشتهر ذكره لبعده عن بلاد العرب ، مات سنة
 ١٨٠ هـ تقريباً .

(٢) ورد البيتان فى البيان ٢٢٢/٢ ، عيون الأخبار ١/٢٦١ ، منسويين إلى بكير بن الأحنس ، وورد فى
 الأمل ٤١/١ ، لباب الآداب ٣٦٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٣٩ ، الحماسة ١/١٣٥ ، ١٧٦ بغير نسبة ، ويروى :
 ولطائفهم بدل برهم .

بابُ الضَّيْفِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلةُ الضَّيْفِ حقٌّ واجبٌ » .
وفد أوضحنا في كتاب « التمهيد » معنى هذا الحديث وغيره في الضيافة، وذكرنا قول من أوجبها ومن ندب إليها ؛ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما زاد فهو صدقة ، ولا يحل أن يشوى غيره حتى يخرج » .

فيل للأوزاعي : رجل قدَّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون ، وعنده اللحم وللمسل والسمن ؛ فقال : هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

قال أبو ذؤيب :

لا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطَعَمْتُ نَارِلَهُمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزٌ^(١)

قال نافع : كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث ، ويقول بعد الثلاث : أمسكوا عنا صدقتكم ، ويقول لي : أنفق من عندك .

ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه : أي آيات العرب في الضيافة أحسن ؟ فاختلفوا وأكثروا ، فقال معاوية : قاتل الله أبا النجم حيث يقول :

لقد علمت عِرْسِي فَلانَةَ أَنِّي طَوِيلُ سَنًا نَارِي بَعِيدٌ مُخَوِّدُهَا

(١) نسب في البيان ٣٤/١ وفي ديوان المهذلين ١٥/٢ المتخيل المهذلي (مالك بن عويمر) وفيهما : قرف الحتي بدلا من خبز الشعير ، وقرف الحتي : سويق قدر الدوم .

إذا حلَّ ضيفي بالقلّة ولم أجد سوى منبتِ الأطنابِ شبَّ وقودها^(١)

وقالوا : أحسن شيء في الضيافة قول مسكين الدارمي :

طعامي طعامُ الضيفِ والرحلُ رحلهُ ولم يُلْهِنِي عنه غزالٌ مُقَنَّعٌ
أحدُّهُ إنَّ الحديثَ من القريِّ وتعلمُ نفسي أنه سوف يهْجَعُ^(٢)
^(٣) وقال العلوي صاحب الزنج :
يستأنسُ الضيفُ في آياتنا أبداً فليسَ يعلمُ خلقُ أينما الضيفُ

وخلد عَيْنين ، وإنما قيل له خالد عَيْنين^(٤) لأنه كان ينزل أرضا بالبحرين : يقال
لها عَيْنين :

أيهما الموقدان شُبَّاً سَنَاهَا إنَّ للضيفِ طَارِفي وتِلَادِي
وقال عوف بن الأحوص^(٥) .

ومستنجحٌ يَغْشَى الغدَاةَ ودُونَهُ من اللَّيْلِ بَابَا ظُلمةٍ وسُتُورُهَا
رفعتُ له ناري فامّا اهتدى لها زجرتُ كلابي أن يَهْرَ عَقُورُهَا
فلا تسأليني وأسألني عن خليقتي إذا رَدَّ عَافِي القَدْرِ من يَسْتَعِيرُهَا

(١) انظرهما في الحماسة ٤٦٠ ، معجم الشعراء ٣٠٧ .

(٢) ورد البيتان في ديوان عمرو بن الورد ٢٢ ، والشطر الأول هناك : فراشي فراش الضيف والبيت
بيته ، وورد في الحماسة لأبي تمام ٣١٤/٢ وردد في نسبهما بين مسكين الدارمي ، وعتبة بن جبير ، والرواية
هناك لحاى لحاف الضيف والبيت بيته ٠٠ الخ ، وانظرهما في عيون الأخبار ١٩٣/٢ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) انظر ترجمته والبيت التالي في الشعر والشعراء ٤٣٤ .

(٥) انظر ترجمته في معجم الشعراء ٢٧٥ وقد ورد اسم أبيه هناك الأحوم وهو خطأ ، انظر حماسة أبي
تمام ٣٠٩/٢ ، وانظر الأبيات كلها في المرجع الأول ، والبيتين الأولين في الثاني والرواية هناك : يعني المبيت مكان
يعنى الغداة ، وسجفا ظلمة بدل بابا ظلمة ، واهتدى بها بدل لها ، هذا وقد وردت الأبيات في الأغاني ٢٧٨/١٢
منسوبة إلى شبيب بن البرصاء .

تَرَىٰ أَنْ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا
لَدَى الْغَرِيثِ الْمَقْرُورِ أُمَّ يَزُورُهَا
وقال حسان بن ثابت :

مَيْفَشُونَ حَتَّىٰ مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)
وقال أبو الطمجان القيني :

وَقَدْ عَرَفْتُ كَلَابَهُمْ ثِيَابِي
كَأَنِّي مِنْهُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي^(٢)
وقال المرار الحلي^(٣) :

أَلْفَ النَّاسِ فَا يَهْجُمُهُمْ^(٤)
مِنْ عَسِيفِ^(٥) يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرَّ
وقال امرؤ القيس :

أَعْرَفُ الْحَقَّ وَلَا أَجْهَلُهُ
وَكَلَابِي أُنْسٌ غَيْرُ عَقْرٍ
مَا يَرَى كَلْبِي إِلَّا آيسًا
إِنْ رَأَى خَابِطَ لَيْلٍ لَمْ يَهْرِ^(٦)

وقال حاتم الطائي :

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ
وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْغَرِيبِ عَقُورُهَا
فَإِنْ كَلَابِي قَدْ أَقْرَّتْ وَعُوِّدَتْ
قَلِيلٌ عَلَى مَنْ يِعْتَرِيهَا هَرِيرُهَا^(٧)

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٢٤ .

(٣) زيادة من ب ، ولم أعثر له على ترجمة ، وقد جاء في سمط اللائكي ٢٣١ أن المرارين من الشعراء سبعة ثم أورد أسماءهم ، ولم يرد فيهم هذا .

(٤) ب : هجيم ، م : يهيج ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) العسيف : الأجير والعيد يستعان به .

(٦) ديوانه ٣٢ .

(٧) ديوانه ٢٧ ، وفيه : الصيف الضعيف بدل الغريب ، وقد أهرت مكان أقرت ، ويعتري بدل يعتريها .

وقال أبو يعقوب الحريري :

أضاحكٌ ضيفي قبل إزالِ رحلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيدٌ
وما الخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أَنْ يَكْتُمُ^(١) الْقَرَى

ولكنَّا وجهُ الكَرِيمِ خَصِيبٌ^(٢)

وللشماخ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٣) :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرُ الْفَتَى وَخَيْرُهُمْ لِيَطَارِقِ إِذَا أَتَى
وَرَبًّا نِضْوٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى
إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقَرَى^(٤)

وقال سهل الوراق :

وَضَيْفَكَ قَابِلُهُ بِبِرِّكَ^(٥) وَإِيكَانَ لَهُ مِنْكَ أَبْكَارُ الْحَدِيثِ وَعُونُهُ^(٥)
وقال آخر :

سَلَى الطَّارِقَ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي
أَبْسَطُ وَجْهِي؟ إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْدَلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي^(٦)

(١) ب : يكثرُوا .

(٢) البيتان في البيان ٢٨/١ مجموعة المعاني ٢٨ ، المختار من شعر بشار ١٩٣ ، عيون الأخبار ٣/٢٣٩ .
(٣) أول من ولد بالمسلمين بأرض الحبشة لما هاجر أبواه لآبائها، عاش في البصرة والكوفة والشام، وكان كرمياً
يسمى ببحر الجود ، توفي سنة ٨٠ هـ ، انظر الإصابة الترجمة ٤٥٨٢ ، فوات الوفيات ١/٢٠٩ (الأعلام ٤/٢٠٤) .
(٤) رواية البيان والتبيين ١/٢٦ : نعم الفتى ٠٠ ونعم مأوى طارق ، وبارضيف طرق ٠٠ الخ ، وفي حساسة أبي
تمام ٢/٢٢٨ : ورب ضيف مكان نضو ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : ثم الاحاف بعد ذلك في الدرر . أي في
السكف والجانب ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٣١٤ .

(٥) ب : ببشرك ، م : عوانه .

(٦) يروي الشطر الأول : سلى الجائع الفرغان يا أم منذر ، و يروي : قدرى بدل ناري ، وأي سفر مكان
أبسط ، والبيتان لعمرو بن الورد ، ديوانه ١٩ ، الحماسة ٢/٢٤٦ ، ونسب في البيان والتبيين ١/٢٦ إلى حاتم الطائي .

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في جوابه معاوية .

أما قول الشاعر :

بئسَ عمرُ اللهِ قَوْمًا طَرَفُوا فَقَرَّوْا أَضْيَافَهُمْ لَحْمًا وَحَرًّا
فإنه أراد لحمًا دبت عليه الوَحْرَةُ ، وهي دَوِيْبَةٌ كَالعَظَايَةِ خضراء إذا اجتمعت
تلتصق بالأرض : الجمع : وَحْرٌ ، ومنه قيل وَحْرُ الصِّدْرِ ، كما قيل للحقد ضَبٌّ ، ذهبوا
به إلى لزوقه بالصِّدْرِ التزاق الوَحْرَةُ بالأرض ، يقال : لحمٌ وَحِرٌ ، إذا دبَّت عليه
الوَحْرَةُ . ولبنٌ قَئِرٌ إذا وقعت فيه الفأرة .

وقال رجل من بني قَقَمَسٍ ، وهو الخارث بن يزيد ، يمتدح نفسه بخدمة الضيف :

لَعَمْرُؤِ أَبِيكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لِضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لِفَارَسٍ^(١)
وقال المُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ^(٢) :

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شَيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ العَبْدَا^(٣)

وما امتدح به ذم بضده ، قال الشاعر :

تَرَاهُمْ خَشِيَّةَ الأَضْيَافِ خُرْسًا مِيصَلُونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَدَانٍ^(٤)

(١) ورد البيت في حاشية أبي تمام ٢٩٦/١ منسوبا إلى المذلول بن كعب العبدي ، وكان قد تزوج امرأة من بني بهدلة فرأته يوما يطحن للأضياف فضربت صدرها وقالت : أهذا زوجي ، وقال في الهامش : قال المبرد لأنها لأعرابي سمدى ، وأول الأبيات التي منها هذا :

تقول وصكت نحرها يمينها أيعلى هذا بالرحى المتعاس

(٢) محمد بن ظفر بن عمير ، أو محمد بن عمير بن أبي شمر الكندي ، شاعر من حضرموت ، اشتهر في العصر الأموي ، وكان مقنعا طول حياته ، وزعموا أنه كان جبلا فكانت تصيبه العين ولهذا تقنع ، وشعره عذب رصين ، توفي حوالي سنة ٧٠ هـ ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء ٢٨٤ ، الوافي بالوفيات ١٧٩/٣ (الأعلام ٢١١/٧) .

(٣) يروي ثاويبا مكان نازلا ، وانظر البيت فيما سبق ، وفي عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، حاشية أبي تمام ٣٤/٢ الأمل ٢٨١/١ .

(٤) العقد الفريد ١٨٨/٦ بدون اسبة .

وقال حمادُ عَجْرَدُ :

وجدتُ أبا الصَّلْتِ ذَا خِبْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ المِعْدَةَ الفَامِئِدَةَ
تَخَوَّفُ تَحْمَةً أَضْيَافِهِ فَعَلَّمَهُمْ أَكْلَةَ وَاحِدَةً^(١)
وقال عمرو بن الأَهمم التَّمِيمِي المِنقَرِي من أَشْرَافِهِمْ ، وكان شاعراً محسناً ،
يقال : كان شعره حللاً منشرةً ، وله صحبة^(٢) :

ذريني فَإِنَّ الشُّحَّ يَا أُمَّ مالِكِ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
ذريني وَحَظِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الحَسَبِ العَالِي الرِّفِيعِ شَفِيقُ
وَمُسْتَنْبِحِ^(٣) بَعْدَ المِهدِوِءِ أَجِبْتُهُ وَقَدَحَانَ مِنْ سَارِي الشِّتَاءِ طَرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَبًا فَمِذَا مَبِيدُ صَالِحٍ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ وَلَمْ أَفْحِشْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ أَقُلْ : — لِأَحْرِمَةٍ — إِنَّ الفَنَاءَ^(٤) يَضِيقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقتْ بِلَادُ بَاهِلِيهَا وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ^(٥)
وقال آخر :

وَطَرِيدِ لَيْلِ سَاقَهُ سَعَبٌ وَهَنَا إِلَى وَقَادَهُ بَرْدُ

(١) يروي : حرث ، وحيش أبو الصلت ، انظر البيان والتبيين ٢/٢٧٣ ، الشعر والشعراء ٧٧٥ ، العدة ٣٤٤ الفريد ٦/١٨٨ .

(٢) انظر ترجمته في الإصابة الترجمة ٥٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢٤٠ .

(٣) ب : ومستفتح .

(٤) ب : إن الفتي .

(٥) انظر عيون الأخبار ١/٣٤٢ ، البيان ١/٢٧١ معجم الشعراء ٢١٢ ، وانظر الأولين في الشعر والشعراء ٦١٦ ، وفيه : يا أم هانم بدل مالك ، وانظر الأول والخامس في محاضرات الأدباء ١/٢٧٤ ، ٣١٠ والأخير في المستطرف ١/٤٠ وقد سبق في جملة أبيات منسوبة لبشار بن برد .

أَوْسَعَتْ جُهْدَ بِشَاشَةِ زُقْرَى وَعَلَى الْكَرِيمِ لَضِيفِهِ الْجَهْدُ
 ثُمَّ اغْتَدَى وَرْدَاؤَهُ نِعْمٌ أَسَدَيْتَهَا وَرِدَائِي الْحَمْدُ

وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِأَرْضِهِمْ رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانِ^(١)

(١) نسب البيت في لباب الآداب ٣٦٦ إلى كعب بن جعيل ، وانظره في الشعر والشعراء ٢٥٧ ، عيون الأخبار ١٥٢/١ ، المستطرف ٢٧٣/١ بدون نسبة .

بابُ المَعْرُوفِ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُفُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ » .

قال أبو جَرِيٍّ الهَجِيمِيُّ ^(١) : يارسولَ الله أَوْصِنِي . فقال : « لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنْ المَعْرُوفِ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقَى ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمُ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا طَلَبْتُمُ المَعْرُوفَ فَأَطِيبُوا عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟ » قالوا : بلى ، يارسولَ الله . قال : « المَعْرُوفُ وَالتَّعَانُ لِلضَّعِيفِ » .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تمسه النار . قالوا : وما هو ياروح الله ؟ قال : المعروف .

قال عبد الله بن عباس : ما رأيت رجلاً أوليته معروفًا إلا أضاع ما بيني وبينه ، ^(٢) ولا رأيت رجلاً فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه ^(٣) .

قال زيد بن علي بن حسين : ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه . ولا سئل

(١) : اللخمي ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو أبو جري جابر بن سليم الهجيمي من بني أنمار بن الهجيم ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٥٤/١٢ .
(٢) ساقط من ١ .

من رَغِبَ فِيهِ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَا كَلَّ مِنْ قَدَرٍ عَلَيْهِ يُؤْذَنُ لَهُ فِيهِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الرَّغْبَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِذْنُ ، تَمَّتِ السَّعَادَةُ لِلطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ مِنْهُ .

قال ابن عباس : المعروف أيمن زرع ، وأفضل كنز^(١) ، ولا يتم إلا بثلاث خصال : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره . فإذا عَجَّلَ فَقَدَ هَيِّئًا ، وَإِذَا صَغَّرَ فَقَدَ عَظْمًا ، وَإِذَا سَتَرَ فَقَدَ تَمَمًّا .

قال زهير :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرَضِهِ يَفِرُّهُ^(٢) وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ مِيشْتَمَ^(٣)

وقال آخر :

إِنَّ ابْتِدَاءَ الْعَرَفِ مَجْدٌ بَاسِقٌ وَالْمَجْدُ كَيْلُ الْمَجْدِ فِي اسْتِثْمَامِهِ
إِنَّ الْهَلَالَ يَرُوقُ أَبْصَارَ الْوَرَى حَسَنًا وَلَيْسَ كَحَسَنِهِ لِتَمَامِهِ^(٤)

أنشد الزبير بن بكار :

أَبْلُ مَنْ شِئَتْ تَقْلِيهِ عَنِ قَلِيلٍ لِفِعْلِهِ
ضَاعَ مَعْرُوفٌ وَاضِحٌ الْمُرْفِ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ^(٥)

قال القاسم بن معن ، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة : ما السخاء ؟ قال :
التأني للمعروف . قال : فما البخل ؟ قال : الاستمضاء على الملهوف .

(١) : أمتن وزرع ، و أكبر كنز .

(٢) ب : يقبه ، وهما بمعنى ، وما أثبتناه هو الرواية المشهورة .

(٣) شرح الديوان ٣٠ .

(٤) البيتان لأبي تمام انظر شرح ديوانه للتبريزي ٢/٢٦٧ .

(٥) البيتان لأبي العتاهية ديوانه ١١٧ ، فصل المقال ٣١٠ .

قال ابن عباس : لا يُزَهَّدُكَ في المعروف كُفْرٌ من كُفْرٍ ، فإنه يشرك عليه من لم يصنعه .

كان يقال : في كل شيء سرفٌ إلا في المعروف .

قال حبيب :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ (١)

كان يقال : لا يُزَهَّدُكَ في المعروف دمامةٌ من يسديه إليك ، ولا ينبو بصرك عنه ، فإن حاجتك في شكره ووفائه لا منظره ، وإن لم يكن أهله فكن أنت أهله .

قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ ، أَمَّا مَذَاقُهُ فَحَلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ (٢)

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّىٰ يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ
فَإِذَا أَصَبْتَ صَنِيعَةً فَاعْمِدْ بِهَا لِلَّهِ أَوْ لِذَوِي الْقَرَابَةِ أَوْ دَعِ (٣)

فقال عبد الله بن جعفر : هذان البيتان يبخلان الناس ، لا . ولكن أمطر المعروف إمطاراً ، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً ، وإن أصاب اللثام كنت له أهلاً .

(١) ديوانه ٢٤٠ ، محاصرات الأدباء ٢٧٢/١ ، نهاية الأرب ٩١/٣ ، التمثيل والحاضرة ٩٥ .
(٢) محاصرات الأدباء ٤١/١ غير منسوب ، ونسبه في معجم الأدباء ٣٠٦/١٨ ، إلى أبي العيلاء ، ونسب في البيان والتميين ٢٢٩/٢ ، إلى مالك بن حمار الشمصي الفزاري ، وفي حاسة أبي تمام ٣٥/٢ إلى رجل من بني فزارة .
(٣) البيتان لهديل الأشجعي (هديل بن عبدالله بن سالم) انظر معجم الشعراء ٤٨٢ .

كان يقال : من أسلف المعروف كان ربحه الحمد .

قال عمرو بن العاص : في كل شيء سرفٌ إلا في ابتناء المكارم أو اصطناع معروف ، أو إظهار مروءة .

وكان يقال : كما يُتَوَخَّى للوديمة أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغي أن يُتَوَخَّى بالمعروف أهل الوفاء والشكر .

كان يقال : إعطاء الفاجر يقويّه على فجوره ، ومسألة اللئيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل ، والصنّاعة عند الكفور إضاعة النعمة ، فإذا هممت بشيء من هذا ، فارتدّ الموضع قبل الإقدام على الفعل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ ، كَمَا أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي نَجِيبٍ » .

مكتوب في التوراة : افعل إلى امرئ سوء خيراً يجرّك شرّاً

كان يقال : صاحب المعروف لا يقع ، فإذا وقع أصاب متكثراً .

قال الشاعر :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ مَنِيَّةٌ لَهَا مَنَجِدٌ^(١) حَزَنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ
يَوْدُ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ مُنِيْلَةٌ^(٢) إِذَا مَا انْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ^(٣)

كان الحجاج بن يوسف يقول : خير المعروف ما أنعشت به الكرام .

(١) ب : مصعد .

(٢) ب : يناله .

(٣) البيهقي لأبي يعقوب الحريري ، انظر البيان ٣٩٣/٢ ، التمثيل والمخاضة ٨٤ ، زهر الآداب ٣ ٢/٤ معجم الأدباء ١٦/٣٦٤ ، نهاية الأرب ٨٤/٣ ، الشعر والشعراء ٨٣٣ .

كان يقال : من لم يُرَبِّ معروفه فكأنه لم يصطنعه .

وكان يقال : أحي معروفك بإماتته .

كتب أرسطو طاليس إلى الإسكندر : املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالحببة ، وطلبك ذلك منها بالإحسان أديم بقاء لإحسانك منه باعتسافك^(١) ، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالمعروف ، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ؛ فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل .

كان يقال : اتق أن يُسدَّ غنك طريق المعروف بالكفر أو بالمن ، فإن المن يفسد الصنيعة والكفر يحوها ، والشكر يجلب النعمة^(٢) .

قال الشاعر :

أفسدت بالمن^(٣) ما أوليت من حسن ليس الكريم بما أسدى بمنان^(٤)

وقال الحسن بن هاني :

فأمض لا تمنن على يدا منك المعروف من كدره^(٥)

قال معاوية ليزيد : يا بني ! اتخذ المعروف منالا عند ذوى الأحساب تستمل به مودتهم ، وتعظم في أعينهم ، وتكف به عاديهم ، وإياك والمنع ، فإنه ضد المعروف .
كان يقال : حصاد من يزرع المعروف في الدنيا ، اغتباط في الآخرة .

(١) : باعتسافك .

(٢) ب : والكفر يلب النعمة .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ١/١٧٧ ، معاصر الأديب ، ١/٢٩٠ .

(٥) ديوانه ٢٥ ، الكامل ، ١/٢٤٣ .

ذم أعرابي رجلاً ، فقال : كان سمين المال ، مهزول المعروف .
قال الزهيري : من زرع معروفاً حصداً خيراً ، ومن زرع شراً حصداً ندامة .
قال الشاعر :

مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصُدُ مَا يُسَرُّ بِهِ وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنَكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ

وقال الراجز :

مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصُدُ حَصَادَهُ مَوْفِراً يَوْمًا إِذَا مَا أَرَادَهُ

قال بشر بن أبي خازم :

وَأَيْدِي النَّدَى فِي الصَّالِحِينَ فَضُولٌ^(١)

وقال الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٢)

وقال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه :

يَدُ الْمَعْرُوفِ غَنَمٌ حَيْثُ كَانَتْ تَحْمَلُهَا شُكُورٌ أَوْ كُفُورٌ
فِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جَزَائِرُ وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ

قال الأصمعي . سمعت أعرابياً يقول : أسرع الذنوب عفوياً كفر المعروف .

ولابن دريد وقيل إنه أنشدها :

(١) عجز بيت ، وصدره : يكن لك في قومي يد يشكرونها . الديوان ١٠٧ ، وليس في كاتبة اللام
على في نهاية الصاد لإد أن الرواية هناك : فروض مكان فضول .
(٢) ديوانه ٥٤

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اسْطَعَمْتَ مِنْ مَعْرُوفِيَا فَتَزَوَّدِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَيِّ بَلَدَةٍ تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدٍ (١)

قال بزرجهر : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واحتسب فيه الأجر ،
وارتمن فيه الشكر ، واسترق فيه الحر .

جمع كسرى مَرَاذِبَتَهُ وعيون أصحابه ، فقال لهم : على أي شيء أنتم أشد ندامة ؟
قالوا : على وضع المعروف في غير أهله ، وطلب الشكر ممن لا يشكره .

قال الشاعر :

وَزَهَّدَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ مَنَعْتُهُ إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قَلَّةِ الشُّكْرِ (٢)

وقال آخر :

وَمَنْ كَفُورٍ لِمَا أَوْلَيْتَهُ زَمِيرٍ (٣)
فَابْسُطْ يَدَ الْجُودِ تَحْمِلَ بَعْضَ نَائِلِيَا
وَأَيُّ النَّاسِ وَالْمَعْرُوفُ كَالْفَرَرِ

وقال آخر :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُبْلِقِي الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمَّ حَامِرٍ (٤)

قال المهلب : عجبت لمن يشتري المالك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعرفه .

وقال : ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام ، فأكرم حرّاً تملكه .

(١) البيتان من غير نسبة في عيون الأخبار ١/١٨١ ، العقد الفريد ٣/٤٦٩ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ٣/١٦٢ ، الأمل ٤/١٢٣ ، العقد الفريد ٦/١٩٩ .

(٣) الرمز : قليل المروءة والوفاء .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٨٣ ، المستطرف ١/٢٤٩ ، مجموعة المعاني ٥٧ ، وأم عامر ، كنية الضبع .

قال المتنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَا (١)

قال عبد مناف : دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان .

قال الشاعر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الْجَبِيهَ لِي فِي عُقُوبَتِهِ صَلَاحُهُ

وقال محمود الوراق :

فَكَرَّرْتُ فِي الْمَالِ وَفِي جَمْعِهِ
وَمَا أَنْفَقْتُ فِي أَوْجُهِهِ أَلِ
هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأَجْزَى بِهِ
وَمِنْ فَسَادِ الْعُرْفِ إِحْصَاؤُهُ
فَكَرَّرْتُ إِذَا أُولِيَتْ عُرْفًا وَإِنْ
فَكَرَّرْتُ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانِ
يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إِنْسَانٍ
وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ إِبَانٍ
أُولَيْتَهُ فَاسْتُرَ بِدَسِيكِي

بابُ الشُّكْرِ^(١)

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أُوْلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا الثَّنَاءَ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جِزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ » .

سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تنشد لليهودى :

ارْفَعِ ضَعِيفَكَ لَا يَجُزُّ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَاءَ
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنَ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا قَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال : « قاتله الله ! ما أحسن ما قال ! ، من لم يجد إلا الدعاء والثناء فقد كافأ » .
وفي رواية أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنشدى شعر ابن الفريض اليهودى^(٢) حيث قال : إن الكريم فأنشدته :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَادَ وَصَّالَنَا لَمْ يُبَافِ حَبْلِي وَاهِيَا رَثَّ الْقَوَى

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ب .

(٢) سيذكر المصنف بعد إيراد الآيات أن اسمه الفريض لا ابن الفريض كما ورد في الحديث ، والواقع أن الاختلاف سير في اسم هذا اليهودى الشاعر ، واشتهر أن اسمه السمويل بن الفريض بن عادياء مكننا ورد في سقط اللآلى = ٥٩٥ ، والتبريزى ٥٥/١ ، وطبقات الشعراء ٢٣٥ ، ومن ترجميه من يسميه السمويل بن عادياء ، وهو في الخبر ٣٤٩ : السمويل بن حبا بن عادياء النسالى ، وكما اختلف في اسمه اختلف في وجوده أصلا ، انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لخواجج ٢٦٩/٣ ، ولعل هذا هو السبب في اضطراب نسبة هذه الآيات إليه أو لغيره ، وانظرها مع النص الذى ساقه المصنف في الأظنى ١١٧/٣ ، ١١٨ ، حماسة البحترى ٣٩٨ ، والأولى في فصل اللقال ١٧٤ ، والثانى متبها في عيون الأخبار ١٦٢/٣ .

أُرْعَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ غَيْبَهُ جَهْدِي قِيَاتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا أُنِي
أَجْزِيهِ أَوْ أَثْنِي عَلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ أَمْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة :
أنه للفريض اليهودي ، وهو الفريض بن السموع بن عادياء اليهودي ، من ولد
الكاهن هرون بن عامر بن ساعر ؛ وأما أهل الأخبار ، فاختلفوا في قائله ، فقيل :
هو لورقة بن نوفل ، وقيل : هو لزهير بن جناب الكلابي ، وقيل : لعامر بن المجنون^(١)
وقيل : ليزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من قال : إنه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن
نوفل البيتان الأولان ، والصحيح فيها وفي الآيات غيرها أنهما للفريض اليهودي ،
والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنَزِلَةً أَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
إِذَا مَنَحْتُكَهَا مِنِّي مُهَيَّدَةً شُكْرًا عَلَى صُنْعِ مَا أَوْلَيْتَ مِن حَسَنِ^(٢)

وقال آخر في يحيى بن خالد البرمكي :

طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا فَعَلْتَ بِي فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
لَقَدْ كُنْتَ تَعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدِيهَةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْرَهْتَ مِن ذَاكَ حَاقِرٌ

(١) كذا بالأسول ولعل محته : مجنون بن عامر .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١٠/٨٧ ، وقد نسبنا فيه إلى الحسين بن علي المغربي ، وورد الشعر
الأول فيه : إذا منحتك ما مني مهذباً شكراً . وسبب في نهاية الأرب ٢/٢٤٩ إلى أبي عيينة المهلبى ، ورد فيه
البيت الثاني :

أعطيتها لك من قى مهذبة حذوا على مثل ما أوليت من حسن

فَارْجِعْ مَقْنُوطًا وَتَرْجِعْ بِأَتِي لَهَا أَوْلَىٰ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَآخِرُ^(١)
 وَمَا أَنشده الرياشي :

شُكْرِي، لِفِعْلِكَ فَانظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ تَعْرِفُ بِفَضْلِكَ مَا عِنْدِي مِنَ الشُّكْرِ
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله
 إلا كتب الله له شكرها ، وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر ،
 وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتة حتى يُغفر له » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل » .
 وقال : « أشكرُ الناس لله عز وجل أشكرهم لعباده ، ومن لم يشكر القليل لم
 يشكر الكثير » .

وفي التفسير : « اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا »^(٢) ، قالوا : الطاعات كلها شكر ،
 وأفضل الشكر الحمد .

وفي قوله في نوح عليه السلام : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا »^(٣) ، وقالوا : كان
 لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ثوبًا ، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله ، فأثني
 عليه الله بذلك .

مكتوب في التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ، فإنه
 لا زوال للنعم إذا شكرت ، ولا مقام لها إذا كُفرت ، والشكر زيادة في النعم ،
 وأمان من الغير .

(١) نسب البيت الأول إلى طريق بن إسماعيل الثقفى ، ونسب الثاني إلى أبي يعقوب الحريرى و عيون الأخبار
 ١٦٠/٣ . ونسبت كلها إلى طريق في نهاية الأرب ٢٤٩/٣ ، البيان ٤٠٣/٢ .

(٢) سورة سبأ آية ١٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣ .

قال أبو نخيلة :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى وَمَا كُفُلٌ مِنَ أَوْلِيَّتِهِ نِعْمَةٌ يَقْضَى

وَأَخْيَّتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كُنْتُ خَامِلًا وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ (١)

قال حذيفة بن اليمان : مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عِظَمًا .

قال عروة بن الزبير : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ سُوءَ مَا يُبْلَى لَمْ يَعْرِفْ خَيْرَ مَا يُوَلَّى .

قال جعفر بن محمد : مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ وَشَكَرَهَا بِلسَانِهِ

فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يَزْدَادَ .

(٢) قال ابن عباس : لو قال لى فرعون خيراً لرددت عليه مثله (٢)

قيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولنى خيراً أفأشكره ؟ قال : نعم .

قال أوس بن حجر ، وقيل : إنه لأبى يعقوب الخريمى :

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي رَبَّنَا وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أَوَدَّ وَأُحْمَدَا (٣)

ولأبى المعافى (٤) (يعقوب بن) إسماعيل بن رافع ، مولى مزينة فى بكار بن

عبد الله الزبيرى :

إِنِّي أَنِّي عَمَّا أَوْلَيْتَنِي لَمْ يُضِغْ حُسْنَ بَلَاءٍ مِنْ شَكَرٍ

إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُكُمْ أَبَدًا مَا صَاحَ دِيكَ فِي السَّحَرِ

(١) انظر البيت فى عيون الأخبار ١/١٦٥ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، وأبو نخيلة هو حرن بن زائدة بن لقيط السعدى ، انظر معجم الشعراء بالرقم السابق ، زهر الآداب ٤/٦٧ ، الأمال ١/٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ورد البيت فى الأغاني ٧/١٠ ، وعيون الأخبار ٣/١٦٥ هكذا :

سأجزيك أو يجزيك عنى مشوب وقصدك أن يثنى عليك ونعمدى

(٤) ورد الاسم فى الأصل : أبو المعافى ، والتصحيح من معجم الشعراء - ٥٠٤ .

(٥) ساقط من ب .

وقال آخر :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَعْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدُّ
لِعِزَّةٍ مُلْكٍ أَوْ عُلوِّ مَكَانٍ
لَمَّا نَدَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ
فَقَالَ : اشْكُرُونِي أَيُّهَا الشَّقْلَانِ (١)

وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَأَخْتُ مَنِيَّتِي
فَقِيَ غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ
أَيَادِي لَمْ تُثْمَنَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
وَلَا مَظْهَرُ الشُّكْرِ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ (٢)

وقال آخر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا
فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ (٣)

وقال آخر :

لَنْ طِيبَتْ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنِّي
فَلَسْتُ إِلَى جَدِّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً
لَأَطِيبُ نَفْسًا مِنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
عَلَى شِدَّةِ الإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي (٤)

قال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعمة شكر .

(١) البيتان لسكثوم بن عمرو العنابي كما في رهر الآداب ٢/٣٣ ، وانظرهما في المقدم الفريد ٢/١٣٧ ، معجم الأدباء ١٧/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٢ .

(٢) البيتان في أمالي القالي ١/٤٠ ، عيون الأخبار ٣/١٦١ من غير نسبة ، وقد نسبا في معجم الشعراء ١٢٠٤١٢ إلى محمد بن سعد الكاتب التميمي ، وفي سبط اللآلئ ١٦٦ نسبا إلى أبي الأسود ، وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، وبينما هو يحدثه إذ ظهر كم قبضه من تحت جيبه وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بعشرة آلاف درهم ومائة نوب ، وفي الحماسة ٢/٢٥٣ ورد البيتان بلا نسبة وعقب التبريزي عليهما بأنهما لعمرو بن كميل ، وقد نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قبس . جعل يسمى له ويتشفع حتى ولي البصرة .

(٣) أورد المصنف هذا البيت سمرداً ، وهو تابع للبيتين قبله ، انظر المراجع السابقة ، وبالإضافة إلى ما سبق فيها فقد ورد البيتان في معجم الأدباء ١٣/١١٢ منسوباً إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، ووردت الأبيات الثلاثة لإبراهيم أيضاً في وفيات الأعيان ٣/١٤٧ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦٦ .

قال جعفر بن محمد : من لم يشك الجفوة لم يشكر النعمة .

قال الشاعر :

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْرِفْ^(١) لِيَدِي الْفَضْلَ فَضْلُهُ وَلَمْ أَلْمِ الْخِيبَ اللَّئِيمَ الْمَذْمُومًا
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْقَمَاءَ^(٢)

وقال آخر :

وَالْكَفْرُ مَخْبِئَةٌ لِنَفْسِ الْمُنِيمِ^(٣)

وقال آخر :

وَمَا تَخَنَى الصَّنِيعَةَ حَيْثُ كَانَتْ وَلَا الشُّكْرَ الصَّحِيحَ مِنْ السَّقِيمِ

وقال العتابي :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يُرَى إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّظِيرُ
لَمَثَلْتَهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرٌ شَاكِرٌ^(٤)

وقال آخر :

وإِنَّكَ إِنْ ذَوَّقْتَنِي ثَمَرَ الْغِنَى حَدَّثْتَ الَّذِي تَجْنِيهِ^(٥) مِنْ ثَمَرِ الشُّكْرِ

(١) ب : تعرف .

(٢) نسب البستان في الأمالي ١٥٩/٢ إلى أبي العالية الرباحي ، وورد البيت الأول منه : إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ... ولم أذمم الجبس ... الخ ، وورد في معجم الشعراء ٤٩٧ منسوبا إلى أبي عمران الضرير ، وفي محاضرات الأدباء ١٨٤/١ نسبا إلى أبي العياد ، وورد فيها الشطر الأول : إذا أنا بالمعروف لم أئن صادقا ، واطرهما في زهر الآداب ٨٦/١ ، معجم الأدباء ٢٨٨/١٨ .

(٣) صدره : * نبئت عمراً غير شاكر سمعتي * وهو لعنرة العبسي ، ديوانه ٢٨ .

(٤) عيون الأخبار ١٦١/٣ .

(٥) ب : أجنبك .

وَإِنْ يَفْنَمَا أَعْطَيْتَنِي الْيَوْمَ أَوْغَدَا فَإِنَّ الَّذِي أُعْطَيْتَ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
وقال آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُغْنِضِهِ قَدَرٌ فَالرُّزْقُ بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ مَصْرُوفٌ^(١)

قال سليمان التيمي : إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته ، وكلفهم من
الشكر بقدر طاقتهم .

قالوا : كلَّ شكو وإن قلَّ ، ثم لكل نوال وإن جل .

كانت هند بنت المهلب تقول : إذا رأيتم النعمة مستبذرة فبادروها بالشكر
قبل حلول الزوال .

وقال أبو نواس :

أَنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا
لَا تُخْدِنَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا^(٢)

وقال البحري :

مَنْ لَا يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةٍ حَيْثُ^(٣) فَمَتَى يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ رَبِّهِ^(٤)

(١) عيون الأخبار ٣/١٦٥ ، نهاية الأرب ٣/٢٤٥ ، وانظر جذوة المقتبس ١٢٩ ، وقد نسبهما . فيه
لاين عائشة .

(٢) ديوانه ٧٠ ، زهر الآداب / ٩٣ ، محاضرات الأدباء ١/١٧٨ ، معجم الأدباء ١٧ / ١٧٤ ، الكشعر
والشعراء ٨٠ .

(٣) ١ : خله .

(٤) ديوانه ٦٧/٤ .

أنشد المبرد لمحمود الوراق :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
إِذَا سَرَّ بِالسَّرَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبُرِّ وَالْبَحْرُ^(١)

قال أبو العباس المبرد : هذا معنى لطيف ، يقول : إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه ، فيجب أن يحمد على التوفيق ، ثم يجب في الحمد الثاني ما يجب في الحمد الأول أبدأ إلى حيث لا نهاية ، ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرُدِّدْ عَلَيَّ كُلَّ نِعْمَةٍ قَدْ آتَاكَهَا شُكْرًا فَلَسْتَ بِشَاكِرٍ^(٢)
ومن أبيات يزيد بن محمد المهلبى في هذا المعنى :

فَكَيْفَ بِشُكْرِ ذِي نِعَمٍ إِذَا مَا شَكَرْتُ لَهُ فَشُكْرِي مِنْهُ نِعْمَةٌ
قال رجل من قريش لأشعب الطمع : يا أشعب ! أحسنتُ إليك فلم تشكر !
فقال : إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر .

قالوا : لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

قال الشاعر :

إِذَا الشَّافِعُ اسْتَنْقَصَى لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ وَإِنْ لَمْ تَنْلُ بُحْحًا فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ^(٣)

(١) المستطرف ١/٢٧٨ ، زهر الآداب ١/٨٩ .

(٢) ديوانه ٣٤ .

(٣) معاصرات الأدباء ١/٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/١٣٥ .

وقال آخر :

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ لَا يَرَى مُشْتَارُهُ
يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ (٢)

وقال آخر :

دَنَوْتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا
وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ
لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ
جَهَدَ النَّفُوسِ وَشَدُّوا دُونَهُ الْأُزْرَا
وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَى وَمَنْ صَبْرًا
لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرًا (٣)

قال جعفر بن محمد : ما من شيء أسرَّ إلى من يداً تبِعها أخرى ، لأنَّ مع الأواخر
يُقَطَعُ لسانُ شكر الأوائِل .

(١) ساقط من ب .

(٢) البيت لأبي تمام ، انظر شرح ديوانه ٤١/٢ ، زهر الآداب ١١٣/٤ .

(٣) الأبيات في الأمل ١١٣/١ ، وفيه : دبيت بدل دنوت ، وألقوا بدل شدوا ، وكابدوا بدل ساوروا ،
وانظر البيتين الأولين في فصل المقال ٢٠٧ ، الحاسنة لأبي تمام ٢١٥/٢ ، ٢١٦ ، وقد نسبهما هناك إلى رجل
من بني أسد ولم يعينه .

بَابُ فِي طَلَبِ الْحَاجَاتِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشْفَعُوا تُؤَجَّرُوا ، وَيَقْضَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَمِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتَابِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، هُمْ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا الخيرَ عندَ حسانِ الوجوهِ »

قال الشاعر :

أَنْتَ وَصَفُ النَّبِيِّ إِذْ قَالَ يَوْمًا اطلبوا الخيرَ من حسانِ الوجوهِ
وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم : انى أتيتك في حاجة رفعتها الى الله قبلك ،
فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك .

قال يونسُ رحمه الله :

أَنْزَلْتُ بِالْحُرِّ إِبْرَاهِيمَ مَسْأَلَةً أَنْزَلْتَهَا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ بِاللَّهِ
فَإِنْ قَضَى حَاجَتِي فَاللَّهُ يَسِّرَهَا هُوَ الْمُقَدِّرُهَا وَالْأَمْرُ النَّاهِي
إِذَا أَبَى اللَّهُ شَيْئًا ضَاقَ مِنْهُبُهُ عَلَى الْكَبِيرِ^(١) الْعَرِيضِ الْقَدْرِ وَالْجَاهِ

(١) ب : عن الكبير .

وقال أبو العتاهية :

خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْبَجُهَا وَأَضْيَقُ الْأَمْرِ أَذْنَاهُ إِلَى الْفَرَجِ (١)

كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي الى محمد بن عبد الله بن طاهر :
لَنَا حَاجَةٌ وَالْمُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ خَفِيفٌ مُعَنَّاهَا مُضَاعَفَةٌ الْأَجْرُ
فَبِنِ تَقْضِيهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّنَا وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فِي أَوْسَعِ الْمُذْرِ
عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنُ مُعْطٍ وَمَانِعٌ وَلِلرِّزْقِ أَسْبَابٌ إِلَى قَدَرٍ تَجْرِي
فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر :

فَسَلِّهَا تَجِدُنِي مُوجِبًا لِقَضَائِهَا سَرِيعًا إِلَيْهَا لَا يُخَالِطُنِي فِكْرُ
شُكْرٍ بِإِفْضَالِي عَلَيْكَ بِمِثْلِهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهَا حَوَاتُهُ يَدِي شُكْرُ
فَهَذَا قَلِيلٌ لِلَّذِي قَدْ رَأَيْتَهُ لِحَقِّكَ لَا مَنْ لَدَى (٢) وَلَا فَخْرُ

قال معاوية يوماً لعمر بن العاص : لي إليك حاجة . قال : ولي إليك حاجة
يا أمير المؤمنين . قال : تهب لي الوهط (٣) . قال : هو لك يا أمير المؤمنين . قال
معاوية : اذكر حاجتك . قال : ترده علي .

قال جعفر بن محمد : حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما ، إن أعطاه شكر من لم يعطه ،
وإن منعه ذم من لم يمنعه .

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير
حينها ، ولا تطلبوا ما لا تستحقون منها ، فإن من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان .

(١) الديوان ٦١ .

(٢) ١ : علي .

(٣) قرية بالطائف ، زرعها عمرو كروماً ، وكانت له قيمة جلية ، انظر معجم ياقوت ١١١/٢ .

كان يقال : اذا طلب طافل الى كريم حاجة اتقضت ، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن ، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع .

كان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسئل^(١) ما لا يستطيع .

قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصبيح :

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِيقْ سَاءَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ^(٢)

قال رجل الأحنف : أتيتك في حاجة لا ترزؤك ولا تنكؤك . قال : إذا لا تقضى ، أمثلي يؤتى فيما لا يرزأ ولا ينكأ .

قال رجل للعباس بن محمد ، أو لعبد الله بن عباس : أتيتك في حاجة صغيرة ، قال : فاطلب لها رجلاً صغيراً .

قيل لآخر : أتيتك في حاجة . قال : اذكُرْها ، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات ولبيرها .

كان يقال : لا تستعن على حاجة بمن هي طعمته ، ولا تستمن بكذاب ، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب ، ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة .

قال ابن المقفع : الحاجة يعترى صاحبها الخليفة من مكانين : الاستقبال بها قبل وقتها ، والثاني حتى تفوت ، وأنشد :

وَقَدْ يَفُوتُ أَنْاسًا بَعْضُ مَا طَلَبُوا عِنْدَ التَّائِي فَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجَلُوا^(٣)

(١) ب : محمل .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٦١ ، معجم الأدباء ٢/١٨٧ ، العقد الفريد ٣/٢١٢ .

(٣) البيت للقطامي ، ديوانه ١٣٦٤ ، العقد الفريد ١/٧٥١ ، نهاية الأرب ٣/٣٩٥ ، المستطرف ١/٣٩٠ .

قال أبو فزارة الغاضريّ: أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة ، فكل أحد في الله عوض من كل أحد ، وليس لأحد من الله عوض بأحد .

سأل رجل مطرف بن عبد الله بن الشخير حاجة ، فقال : من كانت له إلى حاجة فليكتبها في رقعة ، فإني أرغب بوجوهكم عن مكرره السؤال .

كان يقال : لا تصرف حوائجك إلى من معيشته في رعوس المكاييل والموازين .

قال المرزومي^(١) ، وروى لأبي الأسود الدؤلي :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً فَأَلْحَ فِي رِفْقٍ وَأَنْتَ مُدِيمٌ^(٢)

وقال آخر :

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً . وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ
يَا خَادِعَ الْبُخْلَاءِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ^(٣)

وقال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان :

أَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيَمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الْمَرْءَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ^(٤)

(١) ب : المرجى .

(٢) البيتان في ديوان أبي الأسود ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٣ من غير نسبة .

(٣) عيون الأخبار ١٣٥/٣ .

(٤) ديوانه ٦ ، وفيه أذكر ، وخليل مكان كريم ، وانظر الأبيات في حاسة أبي تمام ٢/٣٤٦ ، لباب

الأدب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٣٨ .

وقال جرير يخاطب عمر بن عبدالعزيز :

أَذْكُرُ الضَّرَّ وَالْبَلْوَى الَّتِي نَزَلَتْ أُمُّ أَكْتَفَى بِاللَّيْلِ مُبَلِّغَتَ مِنْ خَبْرِي ^(١)
وقال آخر :

كَفَاكَ مُذْكَرًا وَجَهِي بِأَمْرِي وَحَسْبِي أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي ^(٢)
وقال آخر :

أَرْوَحُ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَعْتَدِي وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا
كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءٌ وَبِالْيَأْسِ الْمُصْرَحِ نَاهِيَا ^(٣)
وقال آخر :

تَخَلَّ لِحَاجَتِي وَاشْدُدْ قَوَاهَا فَقَدْ أَمَسْتُ بِمَنْزِلَةِ الضِّيَاعِ
إِذَا أَرْضَعْتَهَا بِلَبَانِ أُخْرَى أَضْرَبَهَا مُشَارِكَةَ الرِّضَاعِ ^(٤)
وقال آخر :

وَلَا تَسْتَمِينَنَّ فِي حَاجَتِي بَعْنٌ يَبْتَغِي حَاجَةَ مِثْلَهَا
فَيَنْسَى الَّذِي كُنْتَ كَلَّفْتَهُ وَيَبْدَأُ بِحَاجَتِهِ قَبْلَهَا
وقال آخر :

^(٥) وَإِذَا يُصِيبُكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ حَدَّثُ حَدَاكَ إِلَى أُخِيكَ الْأَوْثَقِ ^(٥)

-
- (١) ديوانه ٩٦ ، وفيه : الجهد بدل الضر ، وانظره في المحاسن والساوى ١٠٤/١ ، عيون الأخبار ١٥٠/٣ ، المستطرف ١٢٨/١ .
(٢) عيون الأخبار ١٤٩/٣ ، المقدم القريد ٢٩٠/١ وفيه : كفالك مخبرا وجهي بشأني ... وحسبك .
(٣) انظر البيهقي في عيون الأخبار ١٥٠/٣ ، المقدم القريد ٢٩٠/١ .
(٤) البيان لطريح بن إسماعيل النقي كما في أمالي القالي ٧١/٢ ، وانظرهما في المستطرف ١٣٨/١ .
(٥) ساقط من ب ، وهو مقطوع ، ديوانه ٧٢ وانظره في عيون الأخبار ٢/٣ ، معجم الأدباء ٦٢/٢ .

وقال أبو العتاهية :

اقض الحوائجَ ما استطعتَ تَ وَكُنْ لَهُمَّ أَخِيكَ فَارِجٌ
فَلَخَّ يَزُ أَيَّامَ الْفَتَى يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ^(١)

وقال الحارثي :

وَمَا رَوْضَةٌ عُلُوبِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ^(٢) مِنْ مَنَمَةٍ زَهْرَاءِ ذَاتِ ثَرَى جَعْدٍ
سَقَاهَا النَّدى فِي غَفَلَةِ الذَّهْرِ نَوْءَهَا فَنَوَارُهَا يَهْتَزُّ كَالْكَوْكَبِ السَّعْدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضْمَنَ حَاجَةً لِحُرٍّ فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ وَبِالرَّفْدِ^(٣)

قال عمر بن أبي ربيعة :

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقَالَتْ بَيْنَ أُذُنِي وَعَاتِقِي مَا تَرِيدُ^(٤)

كان يقال : من بكر يوم السبت في حاجة ، كان حقاً على الله قضاؤها .

قال بشار بن برد :

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ السَّحُورِ إِنَّ مُجَلَّ^(٥) النَّجَاحِ فِي التَّبْكِيرِ

قالوا : من صبر على حاجة ظفر بها ، ومن أدهن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

(١) ديوان أبي العتاهية ٦٢ ، ولسا في وفات الأعيان ٣٠٥/٢ إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر المراسي .

(٢) ب : أردية دلوية .

(٣) نسبت الأبيات في العقد الفريد ٥/٢١٩ إلى ابن أبي الحارثي ، وفيه البيت الثاني :

سقاها الندى في عقب جنح من الدجى فنوارها يهتز بالكوكب السعد

وفيه أيضاً : مع الوعد مكان بالرغد .

(٤) ديوانه ٥٢ .

(٥) م : حد ، ولا يوجد البيت فيما طبع من ديوانه .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإِذْلَاجِ فِي السَّفَرِ وَفِي الرِّوَاكِحِ إِلَى الحَاجَاتِ وَالبُكْرِ
لَا تَضَجَّرَنَّ وَلَا يُعْجِزُكَ مَطْلَبُهَا فَالْتَجِجْ يَتَلَفُ بَيْنَ العِجْرِ وَالتَّصْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الأَمْرِ
وَقَالَ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُطَالِبُهُ (١)

وقال محمد بن بشير :

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُحُ مِنْهَا كَأَنَّ مَا ارْتَجَا
لَا تَبْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْضَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا (٢)

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلا حاجة فلم يقضها له ، وسألها غيره فقضاها إليه ، فكتب هذه الأبيات :

ذُئِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكَتْ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الحَمْدِ رَأْيٌ مُقْصَرٌّ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ فِي الخَيْرِ بِأَعْيَا
إِذَا هِيَ حَشْتُهُ عَلَى الخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِسُوءٍ أَطَاعَهَا (٣)

(١) ب : بمحاولة .

(٢) انظر الثالث والرابع في عيون الأخبار ١٢٠/٣ ، المستطرف ٦٩/٢ .

(٣) نسبت الأبيات لمحمد بن يسير الرياشي في البيان ٤٠٠/٢ ، التمر والتسمراء ٨٥٥ ، ونسبت في المستطرف ٧٨/٤ إلى محمد بن بشير الحارثي وكذلك في حساسة أبي تمام ٢٨/٢ ، ٢٩ ، ووردت في عيون الأخبار ١٢٠/٣ ، المعقد الفريد ٨١/١ من غير نسبة .

(٤) وردت الأبيات منسوبة إلى عبد الرحمن كما هنا في عيون الأخبار ١٧٢/٣ ، الأمل ٢٢٢/٢ ، ووردت

منسوبة لابنه سعيد في البيان ١٨٤/٣ ، زهر الآداب ٩٩/٤ ، محاضرات الأدباء ٢٨٦/١ .

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل . قال مؤرق المجلي : سألت
 وبي حاجة عشرين سنة ، فما اتقضت لي ولا يتست منها .

قال أبو العتاهية :

فِي النَّاسِ مَنْ تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ أَحَدًا يَأْنَا عَلَيْهِ وَرُبَّمَا صَعِبَتْ
 مَا كَلُّ ذِي حَاجَةٍ بِمُذْرِكِيهَا كَمْ مِنْ يَدٍ لَا تَنَالُ مَا طَلَبَتْ
 مَنْ لَمْ يَسَعَهُ الْكَفَافُ مُعْتَدِلًا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ^(١)

وقال القطامي :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْأَسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ^(٢)

كان بنو يربوع يوصون أولادهم ، فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم
 بالثقل فذلك أنجح لكم .

قال أبو نواس :

وَكِنْ يُدْرِكُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُسْبِحُونَ عَلَى رِجْلِ^(٣)

وقال أشجع السامي :

لَيْسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا مَنْ لَهُ وَجْهٌ وَقَاحٌ

(١) الديوان ٣٨ .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، شرح الحماسة للتبريزي ١/٣٢٨ ، عيون الأخبار ٣/١٢١ ، المستطرف ١/٣٩ ، ٢/٧٢ ،

الشعر والشعراء ٧٠٤ .

(٣) لم أعر عليه في ديوانه ، وقد نسب إليه أيضا في عيون الأخبار ٣/١٢٠ ورواية الشعر الأول : وما
 طالب الحاجات ممن يرومها ، ونسب في حماسة البحتري ١٨٧ إلى أبي عطاء السدي ، والرواية فيه : من حيث تبتغي .

وَإِيْتِكَارٌ وَدَوَامٌ وَغُدُوٌّ وَرَوَاحٌ
 إِنَّ تَكُنْ أَبْطَأَتِ الْحَا جَةٌ عَنِّي وَالسَّرَاحُ
 فَعَلَى الْجُهْدِ فِيهَا وَعَلَى اللَّهِ النَّجَاحُ^(١)

^(٢) وقال آخر :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ قَاطِمَةٌ لِأَخِي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلِبِهِ
 فَإِذَا مَا هَيْبَتَ ذَا أَمَلٍ مَاتَ مَا أَمَلْتِ مِنْ سَبَبِهِ^(٣)

وقال آخر :

طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرٌ لَا تَرْضَ مَعْجَزَةٌ وَأَنْتَ قَدِيرٌ^(٤)
 وقال دعبل بن علي الخزاعي :

جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِمُجْرَمَةٍ الْأَدَبِ
 فَافْضِ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ^(٥)

وقال آخر :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ تَمْلُولٌ^(٥)

(١) الشعر والشعراء ٨٥٨ ، المستطرف ٢/٢٧٢ .

(٢) يروى مقطعة مكان قاطمة ، وانظرهما في عيون الأخبار ٣/١٣٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ١ ، وهذا البيت ملفق من بيتين مع اختلاف في بعض الألفاظ ومما :

لا ترض منزلة الدليل ولا تقم في دار معجزة وأنت خير
 وإذا هممت فأهص همك إنما طلب الحوائج كله تغرير

انظر عيون الأخبار ٣/١٢٢ وسوت يرد البيت الأخير فيما يلي .

(٤) العقد الفريد ١/٢٨٠ ، عيون الأخبار ٣/١٣٣ .

(٥) المستطرف ٢/٦٦ .

وقال آخر :

وَإِذَا هَمَمْتَ فَأَمْضِ هَمَّكَ إِنَّمَا طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرٌ^(١)
 اختلف أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع في حاجة زماناً فلم يقضها له ،
 فكتب إليه :

أَكَلْتُ طُولَ الزَّمَانِ أَنْتَ إِذَا مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ غَدَا
 لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدًا^(٢)

وقال آخر وأظنه محمود الوراق :

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَتَرَى وَمَا شِيعِي مُوَافِقَةُ الثَّقَاتِ^(٣)
 فَكُنْتُ لَهُ عَيْبَتٌ^(٤) عَلَى ظُلْمًا فِرَارًا مِنْ مَوْوَنَاتِ الْعِدَاتِ
 فَمَسَدٌ لِمَوَدَّتِي وَعَلَى نَذْرٍ سُؤَالُكَ حَاجَةً حَتَّى^(٥) الْعَمَاتِ

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف :

لَيْنٌ عُدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ سَأَصْرِفُ نَفْسِي حِينَ تُبَغَى الْمَكَارِمُ
 مَتَى يَنْجِحُ النَّادِي إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ^(٦)

وقال الصلتان العبدى :

نَرُوحٌ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقِضِي

(١) انظر التعليق رقم ٣ في الصفحة السابقة .

(٢) الديوان ٣٣٣ . (٣) في عيون الأخبار : ومن شيعي مراقبة الثقات .

(٤) ب : عبت .

(٥) وردت الأبيات في عيون الأخبار ١٤٨/٣ غير منسوبة لقائل .

(٦) الديوان ٣٣٣ .

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(١)
وقال أبو العتاهية :

مَتَى تَنْقِضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلًا إِلَى حَاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى^(٢)
وقال آخر :

إِنَّمَا تَنْجِجُ الْمَقَالََةَ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوَى فِي الْفُؤَادِ^(٣)
سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع ، فعوتب في ذلك ، فقال : لأن يحمر وجهي
مرة خير من أن يصفر وجهي مرارا .
قال منصور الفقيه :

مَنْ قَالَ لَا فِي حَاجَةٍ مَطْلُوبَةٍ قَمَا ظَلَمَ
وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ يَقُولُ لَا بَعْدَ نَعْمَ^(٤)
وقال آخر :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعْمَ فَأَتِمَّهُ وَإِلَّا فُتِلْ لَا . تَسْتَرِحْ وَتُتْرِحْ بِهَا
وقال أبو العتاهية :

لَا يَزَالُ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ

(١) البيتان في نهاية الأرب ١٩١/٨ ، عيون الأخبار ١٣٢/٣ ، معجم الشعراء ٢٣٠ .
(٢) زيادة في ب ، والبيت في ديوانه ٥٢ ، العقد الفريد ١٣٨/٣ ، وفيه : من ليس صابرا ... على .
(٣) البيت لأبي فراس الحمداني ، انظر اليتيمة ١٧٤/٩ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ .
(٥) انظر اليتيم في حماسة البحتري ٢٢٠ ، لهرم بن غنم السلولي ، والرواية هناك : واسترح وأرح بها
بها لكيلا ، وانظرهما في المستطرف : ٢٣٤/١ .

رَبِّ أَمْرٍ قَدْ تَضَايَقَتْ بِهِ مُمٌّ يَا تِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْفَرَجِ (١)

وقال آخر :

لَنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِي لَكِ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي
لَقَدْ أَحْلَمْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (٢)

وقال آخر :

قَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَا لَكَ كِرَائِمٍ مِنْ رَبِّ بَهَنَ ضَنِينُ (٣)

وقال أشجع السامي :

قَدْ خَرَجَتْ حَاجَاتُ أَهْلِ الْحِجَابِ
وَلَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ
يُرِيدُنِي أَنِّي أَرَى حَاجَتِي
أَقُولُ إِذَا أَقْلَقَنِي عَاذِلٌ
قَدْ يُدْرِكُ الْأَمْرَ أَنَاةُ الْفَتَى
بُنْجَمٍ يَا وَامْتَنَعَ الْمَنْهَجُ
مِنِّي إِلَى حَاجَتِهِ أَحْوَجُ
تَدْخُلُ فِي الْحَاجِ وَلَا تَخْرُجُ
بِكُلِّ مَا أَكْرَهُهُ مُلْهِجُ
وَيَسْبِقُ فِي الْحَاجَةِ مَنْ يُدْلِجُ (٤)

(١) ديوانه ٦٢ .

(٢) البيتان لإسماعيل الفراءطيسي في الفضل بن الربيع ، انظر محاضرات الأدباء ٢٨٦/١ ، عيون الأخبار ١٤٣/١ ، الأغاني ٨٨/٢٠ .

(٣) محاضرات الأدباء ٢٢٥/١ ، ٢٨٤/٢ ، معجم الأدباء ٢٢٩/١٢ ، العقد الفريد ٤٦٩/٣ وفيه :

يا أم عامر .

(٤) ب : ويسبق الحاجات الخ .

باب السلطان والسياسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلكُم رابعٌ وكُلكُم مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ ، فالإمامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَابعٌ عَلَيْهِمُ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، والمرأةُ رَابعَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ » .

وقال عليه السلام : « الإمامُ العَدْلُ لَا تَكَادُ تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُتَقَسِّطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ — وَكِلَانَا يَدَيْهِ يَمِينٍ — لَا يَفْزَعُونَ إِذَا فَرِحَ النَّاسُ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أَمِيرٍ لَمْ يُحِطْ رَعِيَّتَهُ بِالنَّصِيحَةِ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لَا يُصْلِحُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ مُخَفٍ ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لَنْ يَقِيمَ (١) أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا أَمْرٌ وَحَصِيفُ الْعَقْدَةِ ، بَعِيدُ الْغُورِ ، لَا يَطَّلَعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى غُورِهِ ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَأْمٍ .

وعن عمر رضى الله عنه ، قال أيضاً : لَا يَقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِ كُلَّهُ ، يَخَافُ اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَلَا يَخَافُ النَّاسَ فِي اللَّهِ .

لعلى بن أبى طالب فى أول كتاب كتبه : أمّا بعد ، فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتري ، وبسطوا الجور حتى اقتدي (٢) .

(١) ب : لم يقيم .

(٢) ١ : ابتدئ .

قال مجاعة بن مرارة الحنفي لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما : إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : المُلْك والدين أخوان ، لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس^(١) ، والمُلْك حارس ، فما لم يكن له أس فهدم ، وما لم يكن له حارس فضاع .

قال عبد الله بن المبارك :

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبِلَ اللَّهُ فَاعْتَصِمُوا مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
 كَمْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضَلَةً فِي دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدُنْيَانَا
 لَوْ لَا الْخِلَافَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أضعفنا نهبًا لأقوانا^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤم أحد على سلطانه ، ولا يجلس على تكربة إلا بإذنه » .

كان يقال : شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء ، وشر العلماء أقربهم من الأمراء .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من الملوك من إذا ملك زهد الله فيما في يديه ، ورغبه فيما في يد غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخط على الكثير .

(١) ب : رأس .

(٢) ب : نحتا لأقوانا .

وتى على بن أبي طالب عم المختار بن أبي عبيد عكبرا^(١)، وقال له بين يدي أهلها: استوف منهم خراجهم، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة. ثم قال له: رح إلى. قال: فرحتُ إليه، فقال لى: قد قلتُ لك بين أيديهم ما قلت، وهم قومٌ خُدَعٌ، وأنا الآن أمرك بما إن قبلتهُ وإلا أخذك الله به دونى، وإن بلغنى خلافُ ما أمرتُك به عزيتُك، لا تتبعمنَّ لهم رزقاً يأكلونه، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا تضربن رجلاً منهم سوطاً فى طلب درهم، ولا تُقمه^(٢) فى السجن فى طلب درهم، فإننا لم نُؤمر بذلك، ولا تستعرو لهم دابة^(٣) يعملون عليها، فإننا أمرنا أن نأخذ منهم العفو.

قال عمرو بن العاص لابنه: يا بنى!! احفظ عني ما أوصيك به، إمام عدل خير من مطر وابل، وأسدٌ حطُوم خير من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم.

رسالة أردشير بن بابك الى الملوك بعده

من أردشير ملك الملوك، الى الملوك الكائنين بعده: الخراج عمود المملكة بكنفه تعيش الرعية، وتحفظُ الأطراف والبيضة، فاختراروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة، من ذوى العقول والحنكة، وكفؤهم بسنى^(٤) الأرزاق يحسموا أنفسهم عن الارتفاق، فما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الجور.

(١) بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٤ / ١٤٢ .

(٢) ب : ولا تريد .

(٣) ب : ولا تتبعمن لهم حاة ... الخ .

(٤) ا : يسير .

ومن كلام الفرس في هذا الباب : لا مُلْكُ إِلَّا بِرِجَالٍ ، ولا رِجَالٌ إِلَّا بِمَالٍ ،
ولا مالٌ إِلَّا بِعِمَارَةٍ ، ولا عِمَارَةٌ إِلَّا بِعَدَلٍ .

ومن قولهم أيضاً : مَثَلُ الْمَلِكِ الَّذِي يَأْخُذُ أَمْوَالَ رَعِيَّتِهِ وَيُخْفِ بِهَمِّهِ ،
مَثَلٌ مِنْ يَأْخُذُ الطَّيْنَ مِنْ أَصُولِ حَيْطَانِهِ ، فَيَطِيئُ بِهِ سَطْوَحَهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَقَعَ
عَلَيْهِ الْبُيُوتُ .

ومن كلامهم أيضاً ، وينسب إلى أرسطاطاليس : الْعَالَمُ بَسْتَانٌ سِيَاجُهُ الدَّوْلَةُ ،
الدَّوْلَةُ سُلْطَانٌ تَحِيَا بِهِ السُّنَّةُ ، السُّنَّةُ (١) سِيَاسَةٌ يَسُوسُهَا الْمَلِكُ ، الْمَلِكُ رَاعٍ
يَعِضُّهُ الْجَيْشُ ، الْجَيْشُ أَعْوَانٌ يَكْنِفُهُمُ الْمَالُ ، الْمَالُ رِزْقٌ تَجْمَعُهُ الرِّعْيَةُ ، الرِّعْيَةُ
عَبِيدٌ يَتَعَبَّدُ لِلْعَدْلِ ، الْعَدْلُ مَأْلُوفٌ وَهُوَ صِلَاحُ الْعَالَمِ .

قال عبد الملك بن عمير : كان مكتوباً في مجلس زياد الذي يجلس فيه للناس
بالكوفة ، في أربع زوايا بquam جليل : الوالى شديدٌ في غير عُتْفٍ ، كَيْنٌ في غير
ضَعْفٍ ، العَطِيَّةُ لأَرْبَابِهَا (٢) والأَرْزَاقُ لأَوْقَاتِهَا ، البَعُوثُ لا تُجَمَّرُ (٣) ، المحسنُ
يجازى بإحسانه ، والمسئءُ يؤخذ على يديه . فكان كلما رفع رأسه قرأه .

قال قتيبة بن مسلم : مَلَاكُ الْأَمْرِ فِي السُّلْطَانِ : الشَّدَّةُ عَلَى الْمَذْنِبِ ، وَاللِّينُ
لِلْمُحْسِنِ ، وَصَدَقَ الْقَوْلُ .

قال أشجع بن عمرو السلمي :

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِدَّةٌ تَغْشَى الْبَرِيءَ بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمُجْرِمِ (٤)

(١) ساقط من أ .

(٢) أ : لأحيائها .

(٣) ب : البعوث لا يحمد ، تحريف ، ونجبر البعث : حبسه في أرض العدو .

(٤) البيت في الأمال ١٢/١ ، زهر الآداب ، ١٤٢/٤ ، وفيه نغصى مكان تغشى .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ما السياسة ؟ فقال :
هيبة الخاصة^(١) مع شدة عفتها^(٢) ، واقتياد قلوب العامة بالإيناص^(٣) منها .

قال مسلمة بن عبد الملك : ما حمدتُ نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها
على مكروه ابتدأته بحزم .

قال معاوية لابنه يزيد : أعطِ من أتاك صادقاً بما تكره ، كما تعطى من أتاك بما
تحب ، واعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على الفنى فسد ملكه .

قيل لأنوشروان : إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له . فقال : اصطنعنا
له نسبة .

قال أبو جعفر المنصور : الذى على للرعية أن أحفظ سُبُلَهُمْ ، فينصرفون آمنين
فى سبيلهم ، ولا يُصدّون عن حجهم ، وقضاء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم ،
وأحصننا من عدوم ، وأن أختار قضائهم ، وأعزم بالحق^(٤) كيلا يصل ظلم
بعضهم الى بعض ، وأن أرفع أقدار فقهاءهم وعلمائهم ، وأكف جهالهم عن حكائهم .
كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج : صف لى الفتنة حتى كأنى أراها رأى
العين . فكتب اليه : لو كنت شاعراً لوصفتها لك^(٥) فى شعري ، ولكنى
أصفها لك ببلغ^(٥) رأى وعلمى ، الفتنة تُلجّحُ بالنجوى ، وتنتج^(٦) بالشكوى ، فلما

(١) ب : الرعية .

(٢) ب : محبتها .

(٣) ب : بالانصراف .

(٤) ساقط من ا .

(٥) ا : ببلغ .

(٦) ب : وفتج .

قرأ كتابه ، قال : إن ذلك لكما وصفت ، نخذ من قبلك بالجماعة ، وأعطهم عطايا الفرقة ، واستعن عليهم بالفاقة ، فإنها نعم العون على الطاعة ، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله .

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس ، لحكيم من حكام مملكته : أى الملوك أحزم ؟ قال : من غلب جده هزله ، وقهر لبه هواه ، وأعرب عن ضميره فعله ، ولم يختدعه رضاه عن خطئه ، ولا غضبه عن كيده .

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر ، قال له معاوية^(١) : إني أريد أن أوصيك . قال : أجل . فأوص . قال : انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها ، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ، واللثيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع .

قال بعض الحكماء : الرعية للملك كالروح للجسد ، فإذا ذهب الروح فنى الجسد . وروى الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال عمر بن الخطاب : دلوني عن رجل أستعمله ، فقد أعياني أمر المسلمين . قالوا له : عبدالرحمن بن عوف ، قال لهم : ضعيف . قالوا له : فلان . قال : لا حاجة لي به . قالوا : فمن تريد ؟ قال : رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم ، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم . قالوا : ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي . قال : صدقتم .

قال أبو عمر : والربيع بن زياد هذا ، كان فاضلا جليلا في قومه ، ولأه معاوية خراسان ، فاستكتب الحسن بن أبي الحسن فكان كاتبه ، فلما بلغه قتل معاوية

(١) ب : قال لمعاوية يا أمير المؤمنين .

حُجْر بن عدى^(١) ، قال : اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل ،
فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات .

كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم : قلوب الرعية خزان ملوكها ،
فاودعوها فليعلموا أنه فيها .

قال الإسكندر لأرسطاطاليس : أوصني . قال : فانظر من كان له عبيد فأحسن
سياستهم فواله الجند ، ومن كانت له ضيعة فأحسن تديرها فواله الخراج .

وقال بعض الحكماء : لا تصغر أمر من جاء بحاربك ، فإنك إن ظفرت
لم تحمد ، وإن عجزت لم تعذر .

قيل لكسرى ذى الأكتاف^(٢) ، وكان ضابطاً لمملكته : بم ضبطت
ملكك ؟ قال : بثمان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ،
ووليت للغنى لا للهوى ، وعاقبت للأدب لا للفضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة
من غير ضغينة ، وملاؤها محبة من غير جرأة ، وأعطيتها القوت ، ومنعتها الفضول .

قال عبد الملك بن عمير : سمعت زياداً وهو يخطب ، فقال بعد حمد الله والثناء
عليه : إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسطان الله الذى ملكنا ،
وندود عنكم نبيء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسننا^(٣) ، ولكم العدل
فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ، وتحض وُدنا بمناصتكم ، ومهما قصرت فيه

(١) انظر خبر حجر وأصحابه فى تاريخ : الطبرى ١٤١/٦ ، الكامل لابن الأثير ١٨٧/٣ ، سير أعلام
النبلاء ٣٠٥/٣ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ب . أحينا .

من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث : لست محتجياً عن ذى حاجة ولو أتانى طارقاً
 بليل ، ولا مُجَمِّراً لكم جيشاً^(١) ، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبانه ، فادعوا
 الله لأمتكم بالصلاح ، فإنهم ساستكم المذبذبون^(٢) ، وكهفكم الذى إليه تأوون ،
 فإن تصلحوا يصلحوا ، ولا تشعروا قلوبكم بغضتهم فبشتد غيظكم ، ويطول
 حزنكم ، ولا تدرکوا حاجتكم ، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شراً لكم ،
 نسأل الله أن يعين كلاً على كل .

كان يقال : ينبغى للملك أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة عند الغضب ،
 وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه ، والعمل بالأناة فيما يحدث له ، فإن له في تأخير
 العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان : المسارعة إلى الطاعة ، وفي
 الأناة : انفساح الرأى وإيضاح الصواب .

كان يقال : من سعى بدليل في التدبير لم يقعد به إلا سابق قضاء لا يملك .
 ذكر المبرد ، قال : كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قدرتهم
 لمشورته فقصروا في الرأى . دعا الذين قد وگلمهم في أرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون :
 يخطئ أهل مشورتك فتعاقبنا نحن . فيقول : نعم . إنهم لم يخطئوا إلا بتعلق قلوبهم
 بأرزاقهم ، فإذا اهتموا لحاجاتهم أخطأوا .

قال بعض الحكماء لبعض الملوك : أوصيك بأربع خصال تُرضى بهن ربك ،
 وتصلحُ معهن رعيتك : لا يفرنك ارتقاء السهل^(٣) إذا كان المنحدر وعرأ ، ولا تعدن

(١) تمهيد الجيش : جبهه فى أرض العدو .

(٢) ب : الؤذبون .

(٣) ب : السير .

وعداً ليس في يديك وفاؤه ، واعلم أن الأمور بفتات^(١) فبادر ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتق العذاب .

قال زياد : كمال الرأي شدة في غير إفراط ، ولين في غير إهمال .

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب ، فقال : إني أجد في الإنجيل : لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلمس الخُلم ، ولا ينبغي له أن يكون جأراً ومن عنده يُلمس العدل .

سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام ، أن يعرفهم الزمان الذي يرضى فيه الله عن الناس ، فقال : إذا استعمل منهم الهين البر الخير^(٢) .

وفي خبر آخر : علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم ، وأن ينزل الغيث في أوانه ، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم ، وينزل عليهم الغيث في غير أوانه .

قال معاوية لابن الكواء^(٣) : صف لي الزمان ، فقال : أنت الزمان إن تصلح يصلح ، وإن تفسد يفسد .

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ : الْأَمْرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ » .

قال الأحنف بن قيس : كل ملك غلور ، وكل دابة شرود ، وكل امرأة خثون !

(١) ب : فتات .

(٢) ب : الان الحى .

(٣) ب : ابن الكر ، والصحيح ما ذكرناه ، فهو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) الشكري ، كان من النسابة العلاء بالأخبار والآثار ، خرج على علي بعد التحكيم ، ثم كان من رؤس المولوح الشراء الذين حاربهم المهلب . اطلع تهذيب التهذيب ٧٢/٤ ، شذور الذهب ٩٧/٦ .

قال الأعور السلمي : يا معشر بني سليم ، أنذركم السلطان فإنه أصبح صعباً حنوطاً^(١) ينضب كما ينضب الصبي ، ويفترس كما يفترس الأسد .

قال عبد الملك بن مروان : لقد كنت أمشي في الزرع فأتني الجندب أن أقتله ، وإن الحجاج اليوم ليكتب إليّ بقتل فتّام^(٢) من الناس فما أحفل بذلك .
قال بعض الولاة لأعرابي : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً^(٣) . فقال : وأنت فاعمل به ، فما تَوَعَّدك الله به أشدُّ مما توعدني به .

قيل لملكٍ زال عنه ملكه : لِمَ زال عنك ملكك؟ قال : لمدافعتي عمل اليوم إلى غد .

قال ابن شبرمة : من أكل من حلوائهم انحطّ في أهوائهم .
قال كسرى لوزيره : إياك أن تدخل عليّ كثيراً فأملكك ، فتثقل عليّ حوائجك ، ولا تُطل الغيبة عني فأنساك .

قال بعض الحكماء : من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .
قال ابن المعتز : أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقاً .

قال الشاعر :

إِنَّ الْمُلُوكَ بِبَلَاءِ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظِلٌّ

(١) الحنوط : الميال إلى الشر .

(٢) فتّام : قيام ، وهو تحريف ، وفتّام ككتاب : الجماعة من الناس .

(٣) ساقط من أ -

وَمَا تُرِيدُ بِقَوْمٍ إِذْ هُمْ سَخَطُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُوا
وَإِنْ مَدَحْتَهُمْ ظَنُّوكَ تَخَذَعُوا لَهُمْ وَاسْتَهْتَمَلُوكَ كَمَا يُسْتَهْتَمَلُ الْكَلْبُ
فاستنن بالله عن أبوابهم أبداً إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ^(١)

قالوا: السلطان كالنار، من تباعد منها لم ينل من دفتها^(٢) شيئاً، ومن تقرب منها أحرقتة.

ذكر أعرابي الملوک فقال: الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه
شاهده يظهر حبك، وغائبه يبتنى غيرك.

قال المأهون: لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان.

قال أبو قرْدُودَةَ:

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ: لَا تَأْمَنْنِ الْأَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ إِسَاحَتِهِمْ يَطْرُقُ بِثَوْبِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَةٌ^(٣)
وقال آخر:

إِذَا صَحِكَ الْأَمِيرُ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ بَانَ ضَمِيرَهُ لَكَ مُسْتَقِيمٌ
وَلَا تَحْفَلِ بِضِحِّكَ مِنْ كَفِي^(٤) فَكُلُّ النَّاسِ ضِحُّكُمْ سَقِيمٌ

(١) انظر الأبيات في العقد الفريد ٣/٢٠٠، محاضرات الأدباء ١/٩٢.

(٢) ب: حرها.

(٣) كان ابن عمارة الطائي خطيب مذبح كلها، فبلغ النعمان حسن حديثه حمله على منادته، وكان النعمان شديد العريضة قتالاً للدماء، فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادته، فلم يستمع إليه، فلما قتل رثاه، انظر البيان ١/٢٢٨، ٣٤٩، وانظر محاضرات الأدباء ١/٩٢.

(٤) الكفي: النظر والمثيل.

قال العباس بن محمد المنصور : يا أمير المؤمنين ! إنما هو سيفك ودرعك ،
فادرعْ بدرعك من شركك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قالوا : لا تنتر بالأهير إذا غشك الوزير .

(١) ومنهم من قال : لا تثق بالأهير إذا خانك الوزير (١) .

جاس معاوية يأخذ البيعة إلى الناس بالبراءة من عليّ . فقال رجل : يا أمير
المؤمنين ! إنا نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى المغيرة بن
شعبة ، فقال : رجل فاستوص به خيراً .

كان يقال : إذا نزلت من الوالى بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الخنا والملق ،
ولا تكثرن له الدعاء فى كل كلمة ، فإن ذلك يشبه الوحشة ، وعظمه ووقره
فى الناس .

قال الشعبيّ : أخطأت عند عبد الملك بن مروان فى أربع : حدثنى بحديث يوماً
فقلت : أعده عليّ فقال : أما علمت أن أمير المؤمنين لا يُستعاد . وقلت له حين
أذن لى عليه : أنا الشعبيّ . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنيت عنده رجلاً ،
فقال : أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين . وحدثنى بحديث فسألته أن
يكتبه (٢) . فقال : إنا نُكْتَبُ ولا نُكْتَبُ (٣) .

وهذا الخبر عندى غير صحيح ، لان المحفوظ عن الشعبيّ أنه قال : ما استعدتُ
حديثاً قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبيّ .

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : يكتبه .

(٣) ب : لا نكتب .

قال الشعبي : قال لى عبد الملك : جنبني ثلاثاً وأورد عليّ ما شئت : لا تطرني في وجهي ، فأنا أعلم بنفسى ، وإياك أن تغتاب عندي أحداً ، واحذر أن أجِدَ عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً . وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضى الله عنهما . قال عبد الله بن عباس ، قال لى أبى : إني أرى أمير المؤمنين — يعنى عمر بن الخطاب — يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عنى ثلاثاً : لا يجدنّ عليك كذباً ، ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سرّاً . فقيل له : يا ابن عباس^(١) كل واحدة خير من ألف ، فقال : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

قال عمر بن الخطاب أهنئ إذ ولاه الحمى^(٢) : يا هنى ! اضم جناحك ، واتق دعوة المظلوم .

قال الفرزدق :

قُلْ لِنَصِيرِ وَالْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ السُّلْطَانِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرًا
فَإِذَا زَالَتِ الْوِلَايَةُ عَنْهُ وَاسْتَوَى بِالرِّجَالِ كَانَ بَصِيرًا^(٣)

قال المهلب لابنه : يا بنى : اخفض جناحك واشتد^(٤) في سلطانك ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن .

(١) ب : يا عباس .

(٢) هنى : مولى كان لعمر رضى الله عنه ولاه حمى النقيع التي حماها عمر لإبل الصدق وخيل الجهاد

انظر تهذيب التهذيب ١١/٧٣ ، وانظر معجم البلدان قسم ٢/٣٠٨ .

(٣) ديوانه ٩٢ ، نهاية الأرب ٣/٧٢ وفيها : قل لنضر ، التثليل والمحاضرة ٧٠ ، .

(٤) ب : واشدد .

كان يقال : ثلاثة من عازم رجعت عزته ذلاً ، السلطانُ وَالوالدُ وَالعالمُ .
 كان يقال : أربعة تشتد معاشرتهم : المتواني ، والفرس الجوح ، والسلطان
 الشديد الملكة ، والعالم .

بصق عبد الملك يوماً فقصر بُصاقه ، فوق فوق البساط ، فقام رجل من
 المجلس يمسحه بثوبه . فقال عبد الملك : أربعة لا يُستحيا من خدمتهم : السلطان ،
 والوالد ، والضيف ، والدابة . وأمر للرجل بصلة .

كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عامل له : إن مدينتنا قد احتاجت
 إلى مرمة . فكتب إليه عمر : حصن مدينتك بالعدل ، ونق طريقها من الظلم .
 قال معاوية بن أبي سفيان : من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين
 الأمانة والعدل (١) .

قال محمد بن كعب القُرظي : قال لى عمر بن عبد العزيز : صف لى العدل
 يا ابن كعب . قلت : بئح بئح ، سألت عن أمر عظيم . كن لصغير الناس أباً ،
 ولكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم
 على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لفضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين .

كان يقال : ليس شئ أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته .
 قال زياد لابنه عبيد الله : يا بنى ! إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ،
 واصفح صفحاً جميلاً ، ولا تُرَيّن متهاكاً عليه ، ولا منقبضاً عنه .

قال مالك : قيل لأبي الدرداء : يَرُدُّكَ معاوية ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اللهم غُفراً . من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد .
قال معاوية : لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي .

قال معاوية يوماً ، وقد ذكر من كان قبله : أما أبو بكر فهرب عن الدنيا ، وهربت عنه . وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابته منه^(١) ، وأما أنا فقد داستني الدنيا ودستها .

قال أبو عمر رضى الله عنه : سكت عن عليّ ، وأنا أقول : وأما عليّ فأصابته الدنيا منه ولم يصب منها .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إني لأستعمل الرجل ، وأدع خيراً منه ، وذلك أنى أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً ، وأشدّ جرأة ، وأصبر على الجوع والعطش . وقد روى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

كان يقال : يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه .

قال المهلب : خير الولاية من كان في رعيته كأنه غائب عنها ، وهو شاهد فيها ، وكان المحسن في أيامه آمناً والمسئء خائفاً .

(١) ١ : أصابته .

وقال بعض الحكماء: الناس يحبون سلطانهم على الدين ، والتواضع ولين الجانب ،
وينقادون لشدة الطيش .

قال أبو العتاهية :

رَضِيتُ بِبَعْضِ الدُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَلَيْسَ لِمِثْلِي بِالْمُلُوكِ يَدَانِ
وَكُنْتُ امْرَأًا أَخْشَى الْعِتَابَ وَأَتَيْتِي مَعْتَبَةً مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي
وَلَوْ أَنَّ نَبِيَّ عَانَدْتُ^(١) صَاحِبَ قُدْرَةٍ لَعَرَّضْتُ نَفْسِي صَوْلَةَ الْحَدَثَانِ
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي

وقال الحسن بن سهل :

فَرَضْتُ عَلَى زَكَاةٍ مَا مَلَكَتْ يَدِي وَزَكَاةٍ جَاهِي أَنْ أُعِينَ^(٢) وَأَشْفَعَا
فَإِذَا مَلَكَتْ فَجُدُّ وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاجْهَدْ بِجَهْدِكَ^(٤) كُلَّهُ أَنْ تَنْفَعَا^(٥)

وقال آخر:

لَيْسَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ تَهَيَّأُ صَنَائِعُ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا أَمَكَنْتَ فَبَادِرْ إِلَيْهَا حَذْرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ^(٦)

(١) ا ، م : ولو قد كنت ، ب : ولو أني عانيت ، والمثبت من الديوان .

(٢) ديوانه ٣٢٤ .

(٣) ا : أعيش .

(٤) ب : بمحكك .

(٥) البيتان في محاضرات الأدباء ٢٧٢/١ .

(٦) المستطرف ٦٢/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٤٣٣ ، وفيها : وهلة ، بدل : ساعة ، المحاسن والنسوى ١/١٩٥ .

كان زياد إذا أتى بصاحب زلة ، أخر عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة
الزيادة في العقوبة .

صعد عبد الملك المنبر ، فقال في خطبته : يا معشر رعيتنا ! سأتمونا سيرة أبي بكر
وعمر ، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية^(١) أبي بكر وعمر ، ولكن
نسأل الله أن يعين كلاً على كل .

تعرض رجل للحسن بن سهل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذي أحسنت إلى عام
كذا ، فقال الحسن : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

وهذا عندي مأخوذ من قول معاوية : أحب الناس إلى ، من له عندي يد ، ثم
أحبهم إلى بعده من لي عنده يد .

قال الشعبي : دخلت يوماً على ابن هُبيرة وبين يديه رجل يريد قتله . فقلت : أصلح
الله الأمير ، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت ، ولأن تندم على العفو خير
من أن تندم على العقوبة . قال : صدقت يا شعبي . وأمر بالرجل إلى السجن .

قال المأمون : تَحْتَمِلُ الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال : القدح في الملك ،
وإفشاء الأسرار ، والتعرض للحرم .

روى ابن دريد ، عن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ، عن أبي^(٢) عمرو بن العلاء ،
أنه دخل على سليمان بن علي ، فسأله عن شيء فصرفه عنه^(٣) ، فغضب سليمان بن علي
فخرج أبو عمرو وهو يقول :

(١) الكلمة ساقطة من أ .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) أ : فصرفه فصدده .

أَنْفَتْ مِنْ الْعَارِ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَإِنْ أَكْرَمُونِي وَإِنْ قَرَّبُوا
 إِذَا مَا صَدَقْتَهُمْ خَفَّتْهُمْ وَيَرْضُونَ مِنِّي بَأَنْ يُكْذِبُوا^(١)
 قيل للعتابي: لم لا تخدم الأمير^(٢)؟ أو لا تكتب للأمير^(٢)؟ فقال: لأنني رأيت
 يعطى رجلاً ألف مثقال بلا خصلة، ويرمى آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنوب،
 فلا أدري أي الرجلين أكون عنده، مع أن الذي أعطى في ذلك، أكثر من الذي
 أخذ - يريد مهجته - وركوب الغرر^(٣) فيها معه، والعتابي هو القائل:

تَلُومٌ عَلَى تَرْكِ الْغِنَى بِأَهْلِيَّةٍ زَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كَيْلَ طَرْفٍ وَتَأَلَدِ
 رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانَ يَرُفْنَ فِي الْكُسَى مُقَلَّدَةً أَحْيَادُهَا بِالْقَلَائِدِ
 يَسْرُكُ أَنِّي نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ مِنْ الْمَلِكِ أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ
 وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَنِي مُغْصَهُمَا^(٤) بِالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَارِدِ
 ذَرِينِي تَجَنَّبِي مَيْتِي مُطْمَئِنَّةٌ وَلَمْ أَتَجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ
 وَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْعَالِي مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتِ فِي مَبْطُونِ الْأَسَاوِدِ^(٥)
 وقال الغزالي:

وَإِنْ أُعْطِيتَ سُلْطَانًا فَحَازِرْ صَوْلَةَ الزَّمَنِ

(١) انظر البيهقي والقصة في وفيات الأعيان ١٢٨/٣ .

(٢) ب: الأمين .

(٣) ب: العنبر .

(٤) ب: أعصه مفتصما .

(٥) بروي: لوى الدهر، مكان: زوى، وفي العقد: أعصني معضمها، ورواية الشطر الثاني للبيت الثالث فيه: (وما نال يحيى في الحياة ابن خالد)، وفي التمثيل والمحاضرة يروي شطر البيت الأخير: (فإن عظيما الأمور مشوبة)، وانظر: محاضرات الأدباء ٩٢/١، ١٦٣، نهاية الأرب ٨٣/٣، العقد الفريد ٢٠٨/٣، التمثيل والمحاضرة ٨٣، رهر الآداب ٣٩/٣ .

أَخُو السُّلْطَانِ مَوْصُوفٌ بِحَسَنِ الرَّأْيِ وَالْفِطَنِ
فَسَاعَةَ مَا يُزَاوِلُهُ (١) رَمَاهُ النَّاسُ بِاللَّعْنِ
وَيُصْبِحُ رَأْيُهُ الْمَحْمُودُ دُمُ (٢) مَنْسُوبًا إِلَى الْأَفَنِ
وَتَبْصُرُ فِي مَطِيئَتِهِ سُقُوطَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
وَتَسْتَرْخِي مَفَاصِلَهُ وَتَكْسِي كَسْوَةَ الْحَزَنِ
كَأَنَّ بَشَاشَةَ السُّلْطَانِ نَحِيحَ تَرْوُلٍ لَمْ تَكُنْ

وقال إدریس بن مُتیم الإشبیلی

قَالُوا تَقَرَّبْ مِنَ السُّلْطَانِ قُلْتُ لَهُمْ : يُعِينُنِي اللَّهُ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ
إِنْ قُلْتَ دُنْيَا فَلَا دُنْيَا لِمُتَّحِنٍ أَوْ قُلْتَ دِينَ فَلَا دِينَ لِمُفْتُونٍ
قيل لأعرابي : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان ، ولم يعرفه
السلطان ، وكان في كفاف وغنى .

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم ، وترك معاشرتهم .

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي : حدثونا أن الحسن البصري نظر إلى قوم صحبوا
السلطان واتسعت دنياهم ، فقال : ما تنظرون إليهم ، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة
لقد عجل لهم قليل من كثير (٣) ذخر لهم (٤) ، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلاً
من كثير صرف عنهم فأتاهم ، فارجحوا ولا تنبطوا (٥) .

(١) : ما يرى وله .

(٢) : المحسود .

(٣) : ساقط من ب .

(٤) : ب : ولا تنبطوا .

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه :

مَا يَشْتَهِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ غَيْرُ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مَجْنُونٍ
لَا تَكْذِبَنَّ عَنْهُمْ فَمَا صَحْبُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ
دُنْيَاهُمْ بِالْخِزْيِ مَوْصُولَةٌ وَلَا تَسَلْ عَنْ دِينِ مَفْتُونٍ
خَيْرُهُمْ فَأَعْلَمُهُ لَا يُرْتَجَى وَشَرُّهُمْ لَيْسَ بِعَامُونَ
لَا رَأَى لِي فِي نَيْلِ دُنْيَاهُمْ حَسْبِي بَانَ يَسْلَمَ لِي دِينِي

شكت الرعية بعض العمال ، فارتضى العامل بسهل بن عاصم ، فسأله الأمير ، فقال :
ما في عاملك ما يشتكى إلا أن الله أمر بأمرين ، امثل فينا أحدهما ^(١) وترك الآخر ،
قال الله عز وجل ^(١) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٢) ، فعدل فينا ولم يحسن
إلينا ، وفي العدل بنير إحسان عطف ^(٣) الرعية ، فقال له الأمير : صدقت ، قد
وليتك مكانه .

ومن كلام ابن المعتز في هذا الباب : لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة ،
وجسم متعب ، ودين متلهم .

من شارك السلطان في عز الدنيا ، شاركه في ذل الآخرة .

فساد الرعية بلا ملك ، كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك الملك إيناساً فزده إجلالاً .

(١) ساقط من ب .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ .

(٣) ١ : غضب .

لا تلبس بالسلطان في وقت التباس الأمور عليه واضطرابها ، فإن البحر لا يكاد
يسلم راكبه في حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه .

ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم .

الْمَلِكُ حَقُّ الْمَلِكِ ، من نشر أنواع الفضل ، وبسط أنواع العدل ، وجانب
المطامع الرديئة ، والمطامع الدنيئة .

قال مُطَرِّف : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم ،
وسوء منقلبهم .

سئل رجل من بنى أمية عاقل ، فقيل له : أخبرنا عن أول شيء ، كان بدء زوال
ملككم ، فقال : سألت فاسم ، وإذا سمعت فافهم . تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده
يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها ، وأبرموا^(١) أمورا أسروها^(٢)
عنا ، فظلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وجذب معاشنا نفلت بيوت أموالنا ، وقل
جندنا فزالت هيبتنا^(٣) ، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم^(٤) علينا ، وكان أكثر الأسباب
في ذلك استتار الأخبار عنا .

أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير^(٥) الكاتب لنفسه :

إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ صَلَاحَ قَوْمٍ أَتَاخَ لَهُمْ أَكْبَارَ مُصْلِحِينَ

(١) ب : وأرموا .

(٢) ا : أبرموا .

(٣) ب : فزادت هيبتهم .

(٤) فظاهروهم .

(٥) ب : بصير .

(١) ذَوِي رَأْيٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ
 فَلَمْ يَسْتَأْذِنُوا بِكثِيرِ جَمْعٍ
 وَيَسَّرَهُمْ لِفِعْلِ الْخَيْرِ فِيمَا
 (٢) وَإِنْ يَشَأْ إِلَاهُ فَسَادَ قَوْمٌ
 ذَوِي كِبَرٍ وَمَجْهَلَةٍ وَجَبْنِ
 فَظَلُّوا يَشْرَهُونَ وَيَجْمَعُونَ
 وَجَارُوا حَيْثُمَا أَمَرُوا بِعَدْلِ
 وَإِعْدَادٍ لِمَا قَدْ يَحْذَرُونَ (١)
 وَكَانُوا لِلْمَصَالِحِ مُؤَثِّرِينَ
 إِلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ
 أَتَّاحَ لَهُمْ أَكْبَارَ مُعْتَدِينَا (٢)
 وَإِهْمَالٍ لِمَا يَتَوَقَّعُونَ
 وَلَيَسُّوا فِي الْعَوَاقِبِ يَفْكَرُونَ
 كَانَ قَدْ قِيلَ كُونُوا جَائِرِينَ

وقال الأفوه الأودي :

لَا يَصْلِحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ
 إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ
 تَلَقَى الْأُمُورَ بِأَهْلِ الرَّأْيِ قَدْ صَلَحَتْ
 وَلَا سَرَاةَ إِذَا جَهَّأَهُمْ سَادُوا
 نَمَّا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ وَازْدَادُوا
 وَإِنْ تَوَلَّتْ (٣) فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ (٤)

(٥) وقال محمد بن نصر :

لَا تَحْقِرَنَّ أَمْرًا إِنْ كَانَ ذَا ضَمَّةٍ
 فَرَبَّ قَوْمٍ حَقَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَرَهُمْ
 فَكَمْ وَضِيعٌ مِنَ الْأَقْوَامِ قَدْ رَأَسَا
 أَهْلًا لخدمتنا صاروا لنا رؤوساً (٥)

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط أيضاً من ب .

(٣) ١ : بدأت .

(٤) نهاية الأرب ٦٢/٣ ، التمثيل والمحاصرة ٥١ ، مجموعة المعاني ١٦ ، المقدم العربي ١٠/١ .

(٥) ساقط من ب .

من الأمثالِ في السلطانِ وصُحْبته

إذا رغبَ الملكُ عن العدلِ رغبَتِ الرعية عن الطاعة .
لا صلاحَ للخاصَّة مع فساد العامة ، ولا نظامَ للدَّهْماء مع دولة النوغاء .
الحكيم^(١) ميزانُ الله في الأرض .
كلُّ الناسِ أحقَّاء بالسجود لله عزَّ وجلَّ ، وأحقَّهم بالسجود لله والتواضع له
من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه^(٢) .
كفارةُ عملِ السلطانِ الإحسانُ إلى الإخوان .
لا رحيمَ بين الملوك وبين أحد .
للملوكِ بدوات^(٣) .
المُلك عقيم .
المُلكُ يَبْقَى على الكُفْرِ ، ولا يَبْقَى على الظلم .
سُكْرُ السلطانِ أشدُّ من سُكْرِ الشراب^(٤) .
السلطانُ كالنار : إن باعدتها بطل نفعها ، وإن قاربتها عظم ضررها .
جَازِرٌ ، مكأٌ أو بحرأ .
صاحبُ السلطانِ كراكب الأسد ، يهابهُ الناسُ وهو لمركبه أهيب .

(١) ب : الحلم .

(٢) وردت هذه العبارة مصطربة جدا في ب .

(٣) البدوات : الآراء التي تسنح فجأة ، ويقال : فلان ذو بدوات وأبو البدوات إذا كانت تظهر له آراء

فيختار أحزمها .

(٤) ١ : الشباب .

أجراً الناس على الأسد أكثرهم له رؤية .
السلطان كالسوق ما نفق فيها جلب إليها .
إن كان البحر كثير^(١) الماء فإنه بعيد المهوى .
السلطان إذا قال لعماله : هاتوا ، فقد قال : خذوا .
الناس على دين الملك .
عفو الملوك أبقى للملوك .
من خدم السلطان خدمته الإخوان .
ثلاثة لا أمان لهم : السلطان والبحر والزمان .
من تحصى مرقة السلطان أحرقت شفتاه ولو بعد حين .
مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلاً ثم وقعوا منه ، فكان أبعدهم في المرتقى
أقربهم من التلف .

(١) باب الكتّاب والكتابة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » (٢)

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « من أشرط الساعة أن يرفع العلم ، ويقبض المال ، ويكثر التجار ، ويظهر القلم » (٣) . يعنى الكتابة .

قال الحسن البصرى : لقد أتى علينا زمان وإنما يقال : تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ، ما يكون فى الحي إلا التاجر الواحد والكتّاب الواحد ، قال الحسن : لقد كان الرجل يأتى الحي العظيم فلا يجد به كاتباً .

وفى الحديث المرفوع : « فُشُوُ القلم ، وفشو التجار من أشرط الساعة » (٣) . يعنى بقوله فشو القلم : ظهور الكتابة وكثرة الكتّاب .

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من النسخة ب .

(٢) روى هذا الحديث الشيخان وأصحاب السنن ، ونصه عند البخارى ومسلم : « لنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا أو هكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » . انظر فتح البارى ٥/ ٢٨ ، ١٩ ، صحيح مسلم ٢/ ١٦١ . قال ابن حجر : وقد قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية ، والمراد من الأمية أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ، قال تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم نادرة آنذاك ، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضا إلا اليسير ، لذلك علق الرسول حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب حركة النجوم والكواكب . انظر فتح البارى ٥/ ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تعليقتنا السابق على هذين الحديثين فـ ص ١٣٢ .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتربوا الكتب وسجوها^(١) من أسفلها فإنه أنجح للحاجة » .

وفي خبر آخر عنه عليه السلام : « إذا كتب أحدكم في حاجة فليترب كتابه ، فالبركة في التراب^(٢) » .

وروى عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف - عليه السلام : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣) . قال : كاتب حاسب .

كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم : أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلي ، وعثمان ، وحنظلة الأسدي ، ومعاوية ، وعبد الله بن الأرقم ، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليحيب عنه من كتب إليه بها ، فتعلمها في ثمانية عشر يوماً .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكتابه عبيد الله بن أبي رافع : إذا كتبت فالن دواتك ، وأطل من قلمك ، وفرج بين السطور ، وقارب بين الحروف .

(١) سجوها أى أغلقوها .

(٢) لم أعتد على هذا الحديث والذي سبقه بنصهما ، وقد أخرج ابن ماجه في كتاب الأدب من سننه بسنده عن أبي الزبير ما لفظه : « تربوا صحفكم فإنه أنجح لها ، لأن التراب مبارك » ، وفي سننه أبو أحمد الدمشقي وروايته منكرة ، فالحديث ضعيف كما أنكره الإمام أحمد والإمام يحيى بن معين ، انظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي صفحة ٤٣ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٥ .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إذا كتبتم فأرِقُوا الأَقلامَ ،
وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني ، وقاربوا بين الحروف ، تكتفوا
من القراطيس بالقليل .

كانت العرب تسمى كل صانع قيناً إلا الكاتب .
قالوا : القلم أحد اللسانين .

قالوا : النخط الحسن يزيد الحق وضوحاً .

قال المأمون : النخط لسان اليد ، وهو أفضل أجزاء اليد .

قال بعض الملوك : للكاتب الناصح ثلاث خصال : رفع الحجاب عنه ، واتهام
الوشاة عليه ، ودفع غائلة العدو عنه .

قال ابن القريّة : خط القلم يُقرأ بكل مكان ، وفي كل زمان ، ويترجم بكل لسان ،
ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان .

قال أبو ساسان حَضِينُ بنُ المنذر : ما رأيت باريّاً لا يقيم النخط إلا رأيته
لا يقيم الشعر .

قيل لنصر بن سيار^(١) : فلان لا يخط . قال : تلك الزمانة الخفية .

قال بعض البلغاء : صورة النخط في الإبصار سواد ، وفي الأبصار بياض ، وهذا
عندي مأخوذ من قول ابن المعتز : القلم يخدم الإرادة ، ولا يعمل الاستزادة ، على أرض
بياضها مظلم ، وسوادها مضىء .

أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب^(١) عليهم ، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن :

أَطَالَ اللهُ عُمَرَكَ فِي صَلَاحٍ وَعِزٍّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَفْوِكَ نَسْتَجِيرُ فَإِنْ تُجِرْنَا فَأَنْتَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ
وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا لَلْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ^(٢)

وذكر هذا الخبر الحارث^(٣) بن أبي أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء ، في أخبار^(٤) المنصور : أن أحزاباً من الكتاب ترددوا في ديوان داره ، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم ، فقال واحد منهم ، وهو يضرب : أطال الله عمرك ، وذكر الأبيات الثلاثة ، فغفا عنهم وأمر بتخليتهم .

قال ابن القاسم : سئل مالك عن النصراني أُمَيْسْتَكْتَبِ؟ قال : لا أرى ذلك ، وذلك أن الكاتب يستشار ، فيستشار هذا في أمور المسلمين^(٥) ، ما يعجبني أن يستكتب .

قال بعض الحكماء لبنيه : يا بني تزيوا^(٥) بزى الكتاب ، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة .

(١) في الأصول : عتب .

(٢) انظر الأبيات والقصة في الوزراء والكتاب ١٣٦ ، وانظر المستطرف ١/٢٢٩ .

(٣) ساقط من الأصول ، وقد أكلناه من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهياري ص ١٣٦ .

(٤) لى هنا ينتهى السقط الذى بدأ بأول الكتاب والكتابة ، وهو الساقط من نسخة ب .

(٥) ١ : تزيوا .

قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب ، وعنده أبو موسى ، فقال له :
يا أبا موسى ! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح . فقال : إنه لا يدخل
المسجد . قال : ولم ، أجنب هو ؟ قال : لا . ولكنه نصراني ، فصاح عليه صيحة
واتهره ، وقال : عزمت عليك إلا عزلته ، ثم قال : لا تقربوهم بعد أن أبدعهم الله ،
ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله ، ولا تشاوروهم بعد أن جهلهم الله ، قال أبو موسى :
فمزلته وطردته .

قال أبو عمر رحمه الله : كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر ، من دفع القرآن
وكذب النبي عليه السلام .

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء ، فأذن له^(١) ، فلما دخل^(٢) عليه
رأى^(٣) بين يديه رجلا يهودياً كاتباً ، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه
فيه ويتولاه من خدمته ، فلما رآه الفقيه قال — وقد كان المأمون أوماً إليه
بالجلوس — : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس ،
قال : نعم . فأنشده :

إِنَّ الَّذِي شُرِّفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ^(٢)

وأشار إلى اليهودي ، فحجل المأمون ووجم ، ثم أمر حاجبه بإخراج
اليهودي مسحوباً على وجهه ، وأنفذ عهداً باطراحه وإبعاده ، وألاً يستعان
بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله .

(١) ١ : لهم ... دخلوا ... رأوا .

(٢) المسطر ١١٢/١ .

[^(١)] اسم الكتاب بالفارسية ديوان ، أى شياطين ، لحدقهم بالأمور
ولطفهم ، فسعى الديوان باسمهم .

قال الزبير بن أبى بكر : كتب إلى المغيرة بن محمد يستبطنى كتبي ، فكتبت

إليه :

مَا غَيَّرَ النَّأْيُ وَدَا كُنْتَ تَعْمِدُهُ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الذِّكْرِ نِسْيَانًا
وَلَا حَمِدْتُ إِخَاءَ مِنْ أَخِي ثِقَّةً إِلَّا جَعَلْتِكَ فَوْقَ الْحَمْدِ عُنْوَانًا

(١) يبدأ من هنا سقط كبير من نسخة أ .

بابُ الظلم والجور

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ (٢)

وفي صحف إبراهيم عليه السلام : اتق دعوة المظلوم ، فإنى لأردّها ، ولو كانت من كافر ، أقول : وعزتى وجلالى لأنصرتك ولو بعد حين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ظلم مسلماً أو ضره أو عزّه أو ناكه » (٣) .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « ما تُبَالَى حَسَنَتْ جوراً أو دخلت فيه ، وفتحت عدلاً ، أو خرجت منه » . وقد روى هذا من كلام على رضى الله عنه ، فالله أعلم .

لمرة بن سحكان فى الحارث بن عبد الله بن أبى ريعة المخزومى (٤) :

أَحَارِ تَبَيَّنَ فِي الْأُمُورِ فَاتِّهِ إِذَا الْأَمِيرُ عَدَا فِي الْحُكْمِ أَوْ فَسَدَا
فَأَنْتَ مَحْمُولٌ عَلَيْكَ وَظَائِعِينَ فَمَا تُصِيبُهُ الْيَوْمَ تُدْرِكُ بِهِ غَدَا

(١) سورة طه ، آية ١١١ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١٩ .

(٣) عزه : غلبه فى المخاطبة ، وناكره : تجاهله أو عاداه .

(٤) مرة بن سحكان الربيعى السمدى ، سيد بى ربيع ، كان شاعراً مقلداً مجيداً ، ترجمته فى الشعر والشعراء ٦٦٧ مجمع الشعراء ٣٨٣ ، أما الحارث فهو وال من التابعين ، ولى البصرة سنة واحدة أيام ابن الزبير ، وسمى بالقباع وهو الواسع الرأس الفصير القاع لسله مكياً بهذه الصفة والواحه الناس باستعماله ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٤٤/٢ ، الأعلام ١٥٨/٢ .

وقال آخر :

نَخَافُ عَلَى حَاكِمٍ عَادِلٍ وَنَرْجُو، فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلِمُ
إِذَا جَارَحَكُمْ أَمْرِيءٌ مُلْحِدٍ عَلَى مُسْلِمٍ هَلَكَ الْمُسْلِمُ

الظلم في وضع كلام العرب : وضع الشيء في غير موضعه ، وأخذ المرء ما ليس له ، ومن ذلك قولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه في غير موضعه .

فكل مسيء ظالم ، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة : هذا أظلم من حية ، وأظلم من ذئب ، قال عمرو بن بحر : لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وهى تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخشاش والهوام فيهرب أهلها عنه ، ويخلونه لها خوفاً منها .

قال مضر بن لقيط الفقمسى :

إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَيْ حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخْرَ يَبْسُ
لِعَمْرِكَ لَوْ أُنِّي أُخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ
فَمَا لَكُمْ طُلْسًا إِلَيَّ كَأَنَّكُمْ ذَنَابُ الْغَضَا وَالذَّبُّ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ^(١)

ويقولون أيضاً : هو أظلم من ذئب ، وأظلم من ورنل^(٢) ، كما يقولون : أظلم

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١٧٤/١ ، البيان والتبيين ١٨٣/٢ ، الحيوان ٧١/٥ ، والبيان الثانى والثالث في حماسة البحرى ٣٨٠ ، منسويين إلى عامر بن لقيط الفقمسى ، وذئاب الغضا : أجت الذئاب ، والأطلس : الذئب وهو بالليل شديد الضراوة .

(٢) دابة كالضب ، أو العظيم من أشكال الوزغ ، طويل الذئب صغير الرأس .

من حية ، وذلك أن الورل يقوى عَلَى الحَيَاتِ كُلِّهَا ، وَيَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيْعًا ، وَكُلُّ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا ذُو جُحْرٍ مِنَ الْحِيَةِ تَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ مِنَ الْوَرْلِ ، وَالْوَرْلُ أَلْطَفُ بَدَنًا مِنَ الضَّبِّ ، وَلَكِنَّهُ أَشَدُّ مِنَ الضَّبِّ وَأَجْوَدُ سِلَاحًا ، وَلَهُ شَحْمَةٌ ، وَالْأَعْرَابُ يَسْتَطِيبُونَ لَحْمَ ذَنْبِهِ ، وَالْوَرْلُ دَابَّةٌ خَفِيفَةُ الرَّأْسِ وَالْحَرَكَاتِ ذَاهِبًا وَجَائِيًا ، وَيَمِينًا وَشِمَالًا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ الْعِظَاءِ أَكْثَرَ تَلَفَاتًا مِنْهُ ، وَبُرَاشِنٌ ^(١) الْوَرْلُ أَقْوَى مِنْ بُرَاشِنِ الضَّبِّ ، حَكِيَ ذَلِكَ كَلِمَةً عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ^(٢) .

قال : ومن أمثال العرب : من استرعى الذئب ظلم ، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب :

كَأَنِّي حِينَ أَحْبَبْتُ جَعْفَرًا مِدْحِي أَسْقِيَهُمْ طَرِقَ ^(٣) مَاءٍ غَيْرَ مَشْرُوبِ
 وَلَوْ أُخَاصِمُ أَفْعَى نَابِهَا لَثِقَ ^(٤) أَوْ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ ^(٥)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِبْنَا وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقِي أَوْ بِعُرْقُوبِ
 وَلَوْ أُخَاصِمُ ذَيْبًا فِي أَكْيَلَتِهِ لَجَاءَنِي كَلْمُهُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّيْبِ ^(٦)

قال بعض الحكماء : أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها : سرعة ظلم من لا ناصر له إلا الله ، ومجاورة النعم بالتقصير ، واستطالة النفي على الفقير .

روى عن مجاهد أنه قال : المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة ^(٧) .

(١) البراشن : الذي يمد نظره ويحده .

(٢) انظر الحيوان ٤/٣١٠ .

(٣) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبولت فيه .

(٤) ناب لثق : رطب من امتلأه بالسم .

(٥) الأساود : جمع أسود وهي الحية العظيمة ، صم الأهاضيب : الجبال الصلبة .

(٦) وردت الآيات في البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، الحيوان ٤/٣١٦ ، منسوبة لحرير بن نثبة العدوي الفزاري .

(٧) لك هنا ينتهي النقص من النسخة ا .

إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية حرب الفجار ، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين .

فأما حرب الفجار فكانت بين بني عامر بن صعصعة وبين قريش ، وذلك أن بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش ^(١) وكنانة ، بجزيرة البرّاض بن قيس في قتله عروة الرجال ، وكان البراض خليعاً فاتكاً ، فأقامهم إلى حربهم ، فألزمهم ^(٢) ذنب غيرهم ظالمين لهم ، فذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم ، ونصروا بحضور النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذي قار برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كانت وقعة ذي قار قبل وقعة بدر بأشهر ، والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك ، قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم » .

قال هشام : حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : ذكرت وقعة ذي قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ » .

خرج الأضبط بن قريع السعدي من بني سعد ، فجاور ناساً ، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ، ورجع إلى قومه ، وقال : بكل واد بني سعد . فأرسلها مثلاً .

• (١) ساقط من ب

• (٢) ١ : فلزموهم .

وقال الأشعرُ الرَّقْبَانُ الأَسَدِي^(١) في قصيدة له :

وَأَنْتَ مَلِيحٌ كَلَحَمِ الحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مَرٌّ
وَحَسَبُكَ فِي النَّاسِ أَنْ يَعْمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ

ومن أمثالهم : من لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب ، وكان الشعبي إذا تشبَّه بذلك يقول .
ومن ذا الذي يرضى أن تأكله الذئاب .

ولعبيد بن أيوب^(٢) وكان قد تاب فظلم ، فهم بجراجمة الضلال ، فقال :
^(٣) ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي فتبتُ فأزعموا أن يظلموني^(٣)
فلست بصابرٍ إلا قليلاً فان لم يرعوا راجعت ديني
قال زهير :

... ومن لا يظلم الناس يُظلم^(٤)

أخذه ابن دُرَيْدٍ فقال :

من ظلم النَّاسَ تَحَاهَوْا ظَلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُ جَائِبَاهُ وَاحْتَمَى

(١) اسمه عمرو بن حارثة بن ناشب ، وسمى الرقبان لأنه ورث مالا عن رقبة (كلاثة) لا عن آياته ، انظر القاموس مادة رقب ، وقد وردت له ترجمة قصيرة في المؤلف ٤٧ ، ومعجم الشعراء ٢١٠ ، وورد البيت الأول فقط ضمن أبيات فيها رواية مختلفة ، فرواية المؤلف للشطرة الأولى : مسيخ مليح كلحم الحوار ، ورواية معجم الشعراء : وَأَنْتَ مَلِيحٌ كَلَحَمِ الحَوَارِ ، وورد البيت الثاني في معجم الشعراء ٢٢١ ضمن الأبيات نفسها منسوبا إلى عمرو بن ثعلبة الشيباني ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٥١/١ ، والأول في عيون الأخبار ٣/٢٦٩ .
والمسيخ من اللحم : الذي لا دسم فيه . والمليح الذي لا طعم له .

(٢) المنبري : من شعراء العصر الأموي ، وكان لصاً حاذقاً أهدر السلطان دمه ، انظر الشعر والشعراء ٣٠٥ ، سمط الآلء ٣٨٤ (الأعلام ٤/٣٤٠) .

(٣) ساقط من ب .

(٤) جزء بيت ، تكلمته : ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ... انظر شرح ديوانه ٣٠ .

وقال المتنبي :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِمِئَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ^(١)

وله أيضاً :

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ رَوَى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ^(٢)

وهذه الأخلاق أخلاق الفساق ، ومن لم يتأدب بأدب القرآن ، ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرافة ، وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق :

إِنِّي وَهَبْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي
وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا فَأَبَانَ مِنْهُ بِجَهْلِهِ حِلْمِي
رَجَعْتَ إِسَاءَتُهُ عَلَيَّ لَهُ حُسْنًا فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدِي وَغَدَا بِكَسْبِ الدَّمِّ وَالْإِثْمِ
فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمَسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ^(٣)

وله أيضاً :

اصْبِرْ عَلَى الظُّلْمِ وَلَا تَنْتَصِرْ فَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى الظَّالِمِ

(١) ديوانه ٤٩٠ .

(٢) ديوانه ٣١٨ .

(٣) يروى : لما أبان بجهله ، ورجعت إساءته عليه وإحسانى فداد ، ويروى العم مكان الجرم ، والظلم مكان الإثم ، ويروى : حتى رثيت مكان بكيت ، انظر الأبيات في الكامل ١/٢٣٤ ، العقد الفريد ٢/٢٨٥ .

وَكُلُّ إِلَى اللَّهِ ظُلُومًا فَمَا رَبِّي عَنِ الظَّالِمِ بِالنَّائِمِ^(١)

وقال آخر :

نَامَتِ مُجْفُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَتَمَّ^(٢)

وقال آخر :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيِّئِلِي بِظَالِمِ^(٣)

وقال آخر :

فَإِنْ قَلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا^(٤)

وقال آخر :

تَأَنَّ وَلَا تَعَجَلْ وَكُنْ مُتَرَفِّقًا وَكُنْ رَاحِمًا بِالنَّاسِ تَبَلَى بِرَاحِمِ

كان يقال : إذا دعيتك الضرورة إلى ظلم من هو دُونك فاذكر قدرة الله تعالى على عقوبتك ، فأنتقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

قال الشاعر :

وَلَسْتَ تَعْدِي الْأَمِيرَ إِذَا ظَلَمْنَا فَمَنْ يُعْدِي إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ

إِذَا كَانَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ خَصْمًا فَلَا تُكْثِرُ فَقَدْ غَابَ الْأَمِيرُ^(٥)

(١) مجموعة المغان ٧٥ .

(٢) مجموعة المغان ٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٥٣ .

(٤) البيت للشبلي المارثي ، انظر المؤلف والمختلف ١٤٠ ، حساسة أبي تمام ١١/١ ، عيون الأخبار ١/٧٧ .

(٥) عيون الأخبار ١/٧٨ ، وقد ورد فيها البيتان متفرقين وليس كما هنا .

وقال آخر:

وَالْخَصْمُ لَا يُرْتَجَى النَّجَاحُ لَهُ يَوْمًا إِذَا كَانَ خَصْمَهُ الْقَاضِي (١)

وقال آخر:

مَنْ يَكُنِ الْقَاضِي أَبَاهُ فَلَيْبِتُ فِي رَاحَةٍ مِنْ خَصْمِهِ لَا يَلْتَفِتُ

قال كعب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما : ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء ، فقال عمر : إلا من حاسب نفسه ، قال كعب : والذي نفسى بيده إنها كذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف . يعنى فى التوراة .

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً ، فقال : ما شاء الله ا كان الوليد بن عتبة بالشام ، والحجاج بالعراق ، وقرّة بن شريك بمصر ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ومحمد بن يوسف باليمن ، امتلأت الأرض ظلماً وجوراً .

ولعون بن عبّيد الله بن عتبة بن مسعود :

وَأَوَّلُ مَا نَفَارِقُ غَيْرَ شَكِّ نَفَارِقُ مَا يَقُولُ الْمَارِقُونَ

وقالوا : مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلَالٌ وَقَدْ حَرَمَتْ دِمَاءَ الْمُؤْمِنِينَ

وقالوا : مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ جَوْرِ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَ (٢)

وقال أبو العتاهية :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوْثٌ وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلْمُ

(١) محاضرات الأدباء ١/٩٨ ، التنزيل والمحاضرة ١٩٣ ، عيون الأخبار ١/٧٨ .

(٢) انظر الآيات فى البيان والنبى ١/٣١٥ .

إلى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمَضِي وعندِ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
 ستعلمُ في الحسابِ إِذَا التَّقِينَا غداً عندَ الإلهِ مِنَ الْمَلُومِ^(١)

وكتب بها مع يحيى بن خالد بن برمك .

قال الشاعر :

إِذَا جَارَ الْأَمِيرُ وَكَاتَبَاهُ وقاضى الأرض دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ
 قَوَيْلٌ مُثْمٌ وَيْلٌ مُثْمٌ وَيْلٌ لقاضى الأَرْضِ مِنَ قَاضِي السَّمَاءِ^(٢)

(١) ديوانه ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير من النسخة ب .

(٣) المستطرف ١ / ١١٩ .

بَابُ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ وَكَظْمِ النِّيْظِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمَ ، إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ
عباده الرحماء » .

وقال عليه السلام : « مَا نَزَعَتِ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .
وقال : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاعْفِرُوا يَنْفِرِ اللَّهُ لَكُمْ » .
وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ
فِي السَّمَاءِ » .

وفي الأثر المرفوع أنه : « يُنَادِي الْمُنَادِي فِي بَعْضِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ : لِيُقَمَّ مَنْ
لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَا يُحْمَدُ لَهُ ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مِنْ عَفَا » .

وفي الحديث أيضاً : « إِنْ اللَّهُ عَفْوٌ غُفِرَ يُجِبُّ الْعَفْوَ عَنْ عِبَادِهِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ زَلَّاتِهِمْ » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل العفو عند القدرة ، وأفضل القصد
عند الجدة .

قال سعيد بن المسيب : لأن يخطيء الإمام في العفو خير من أن يخطيء في
العقوبة .

قال جعفر بن محمد : لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة .

طلب عبدُ الملك بن مروان رجلاً فأعجزه ثم ظفر به ، فقال رجاء بن حيوة :
يا أمير المؤمنين ! قد صنع الله ما أحببتَ من ظفرك به ، فاصنع ما أحبَّ الله من
عفوك عنه .

قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام ، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبد الله
ابن علي : الانتقام عدلٌ ، والتجاوز فضلٌ ، ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى
لنفسه بأوكس النصيبين ، ولا يبلغ أرفع الدرجتين .

كان يقال : أولى الناس بالمعفو أقدروهم على العقوبة ، وأتقصُّ الناس عقلاً من
ظلم من هو دونه .

قال المهلب بن أبي صفرة : خيرٌ مناقب الملوكِ العفوُ .

قال المأمونُ : وددتُ أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو ، فسلمتُ لي
صدورهم .

قال معاويةُ رحمه الله : ما وجدتُ شيئاً ألدَّ عندي من غيظٍ أتجرعه ، ولم يعرف
قيمة الأبهة^(١) من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ .

اعتذر رجل إلى الهادي فقال : يا أمير المؤمنين ! إقرارى بما ذكرت يوجب
عليَّ ذنباً لم أجنه ، وردِّي عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك ،
ولكني أقول :

(١) ١ : الأبهة ، وفي ب : الأئمة .

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَزْهَدَنَّ عِنْدَ الْمَغَافَةِ فِي الْأَجْرِ^(١)
فَمَفَا عَنهُ .

قال منصورُ الفقيه :

وقال نَبِينَا فِيمَا رَوَاهُ عَنِ الرَّحْمَنِ فِي عِلْمِ النُّيُوبِ
مُحَالٌّ أَنْ يَنْتَالَ الْعُقُوبَ مَنْ لَا يَمُنُّ بِهِ عَلَى أَهْلِ الذُّنُوبِ^(٢)

وقال آخر :

فَبَيْتِي مُسَيِّئًا كَالَّذِي قُدَّتْ ظَالِمًا فَمَفُوءٌ جَمِيلٌ كِي يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ أَهْلًا لِسُوءِ مَا آتَيْتُ بِهِ جَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ^(٣)
سُئِلَ ثَعْلَبٌ عَنْ مَعْنَى : فَبَيْتِي مُسَيِّئًا . قَالَ : مَعْنَاهُ أَعَدَدَنِي مُسَيِّئًا .

قال محمد بن علي بن حسين : من كظم غيظا يقدر على إرضائه حشا الله قلبه إيماناً
وروى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما ينسب إلى عمرو بن العاص :

وَبَعْضُ انْتِقَامِ الْمَرْءِ يُزِرُّ بِعَقْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَقَعِ إِلَّا بِأَهْلِ الْجَرَائِمِ
وَذَكَرُ ذُنُوبِ الْوَعْدِ تَرْفَعُ ذِكْرَهُ فَدَعَهُ صَرِيحَ النَّوْمِ تَحْتَ الْقَوَادِمِ

(١) البيت في الوزراء والكتاب للجيشياري ١٦٩ ، والعقد ١٩ / ١٩ ، المستطرف ١ / ٢٢٣ .

(٢) المستطرف ١ / ٢١٤ .

(٣) البيتان للصول ، انظر معجم الأدباء ١ / ١٨٦ ، ووردا في العقد ٢ / ١٤٣ غير نسبة .

وفي معنى هذا البيت الأخير ، تول ذى الرمة :

قيل لي : قد هَجَاكَ مَوَلَى زِيَادٍ فَأَجِبْهُ ، فَقُلْتُ : لَيْسَ بِكَفْوَى^(١)
 لَسْتُ أَهْجُوهُ إِنَّهُ خَامِلٌ الذَّكْرُ رِ لَعَلَّ الخَسِيسَ يَمْلُو بِهَجْوَى
 هُوَ كَالْكَلْبِ يَنْبُجُ اللَّيْثَ رُعْبًا فَذَرُوهُ يَهْرَ بَعْدَى^(٢) وَيَعْوَى
 هُوَ مِنْ سَطَوْتِي وَبَأْسِ هِجَايَ فِي أَمَانٍ مَا بَيْنَ حِلْمِي وَعَفْوِي^(٣)

كتب علي بن الجهم إلى الحسن بن وهب :

إِنْ تَعَفُّ عَنْ عَبْدِكَ الْأَمِيِّ فِي فَضْلِكَ مَا أَوْى لِلصَّفْحِ وَالْمِنِّ
 أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَايَا فَجُدْ بِنَّمَا تَسْحِقُّ مِنْ حَسَنِ^(٤)

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها :

أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسَدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وله أيضاً :

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقْبِكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى^(٥)

وقال آخر :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْعَفْوِ عَفْوُ مُعْجَلٍ وَشَرُّ^(٦) الْعِقَابِ مَا يُجَازُ بِهِ الْقَدْرُ^(٧)

(١) إلى ما ينتهي السقط من نسخة ب .

(٢) ب : بعد .

(٣) لم أعثر على الأبيات في ديوانه .

(٤) إعتاب الكتاب ١٦٤ ، عيون الأخبار ٩٩/٣ .

(٥) البيت في عيون الأخبار ١٠١/١ ، ونسبه في نزهة الطيب ١٢٦/٢ إلى الحاجب أبي جعفر المصنف .

(٦) ب : وخير .

(٧) أ : ما يجار به العذر ، وفي عيون الأخبار ١٠١/١ : ما يجار به .

وقال أعرابي :

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَقْوَامُ وَاجْتَهَدُوا
أَيْمَلِفُونَ عَلَى عَمِيَاءٍ وَيُحْمَمُ^(١)
أَيْمَانَهُمْ أَنِّي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
جَهْلًا بِعَفْوِ عَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ^(٢)

وقال آخر :

يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجَلِي
قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَعْمَالًا مُقَارِبَةً^(٣)
كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّارِ مَجْنُونِ
أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينَ^(٤)

(١) ب : ويأهم .

(٢) البيتان في البيان ٣٧٩/٣ بدون نسبة .

(٣) ١ : مقارفة .

(٤) البيتان لعبيد بن أيوب العبدي ، انظر البيان والتبيين ٣٧٩/٣ .

باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة^(١) ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! دلّني على عملٍ إذا صمته دخلت الجنة ، وأقلل لعلّي أحفظه . قال : « لا تغضب » .
وروى عنه عليه السلام ، أنه قال : « إذا غضبتَ قائمًا فاقمُد ، وإذا غضبتَ قاعدًا فقم ، أو قال : فاضطجع » .

أوحى الله إلى موسى : اذكرني عند غضبك ، أذكرك عند غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظلمتَ فارضَ بنصرتي لك ، فإنها خيرٌ من نصرتك لنفسك^(٢) .
قال عيسى عليه السلام : يباعدك من غضب الله ألا تغضب .

أشد تغلب :

مَتَى تَرِدِ الشِّفَاءَ بِكُلِّ غَيْظٍ تَكُنْ بِمَا يَغِيظُكَ فِي أَرْضِيَادٍ^(٣)
قال سليمان بن داود عليهما السلام : أُعْطِينَا مَا أُعْطِيَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يَعْطَوْا ، وَعُتِّمْنَا مَا عُلِمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُعَلَّمُوا ، فَلَمْ نَرِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغَنَى وَالْفَقْرِ ، وَخَشْيَةِ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنما يُعْرَفُ الْحَلْمُ سَاعَةَ الْغَضَبِ .

(١) الصرعة : من يصرع الناس ولا يصرعونه .

(٢) ١ : وإذا طلبتَ فارض بنصرتي لك ، فإنه خيرٌ من نصرتك لنفسك .

(٣) محاضرات الأدباء ١/١١٠ .

وعنه أيضاً : عدوُّ العقلِ الغضب .

كان يقال : أول الغضب جنون ، وآخره ندم ، ولا يقوم عزٌّ (١) الغضب
بذلُّ الاعتذار .

وروى : كل العطب في الغضب (٢) .

قيل للشعبي : لأي شيء يكون السريع الغضب سريع الفئحة ، ويكون بطيء
الغضب بطيء الفئحة ؟ قال : لأن الغضب كالنار ، فأسرعها وقوداً وأسرعها خموداً .
وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن ، حكاية عن كسرى ، ذكره ابن عائشة
القرشي التيمي (٣) عنه . قال : قيل لعبد الله بن حسن : ما بال الرجل الحديد أسرع
رجعةً من البطيء ؟ فقال : سئل كسرى عن ذلك ، فقال : مثلهما مثل النار في الخطب ،
أسرعها وقوداً وأسرعها خموداً .

أراد المنصورُ خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن
حسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر ، وإن
أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قَدَّر فقَفَّر ، وقد جعلك الله من قبيل (٤) الذين يعفون
ويصفحون ، فطفيء غضبه وسكت .

شهد سَوَّارُ القاضى مجلس أبي جعفر المنصور يوماً فرآه قد غضب على أهل
البصرة ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تغضب لله بما (٥) يُنْضِبُ الله .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب ، ا : وربما كان العطب و الغضب .

(٣) ب : التيمي .

(٤) ب : اسل .

(٥) ب : ما .

العرب تمدح بترك الغضب .
كان يقال : من أغضبت^(١) أنكرته .

قال الشاعر :

لم أقضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْدِ أَرَبِي فَتَى إِذَا نَهْنَهَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ
أَبْيَضُ بَسَامٌ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ وَلَا يَضِينُ^(٢) بِالْمَتَاعِ الْمُحَقَّبِ
مَوْكَلُ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ أَقْصَى رَفِيقِيهِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ^(٣)

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

مَا تَقَمُّوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنْهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ^(٤)
قالوا : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعبأ فليرفع رجله .

(١) أ: أبغضته .

(٢) ب : ولا يظن .

(٣) نهاية الأرب ٢٣/٣ وانظر عيون الأخبار ٢٣/٣ .

(٤) ديوانه ١٤ .

باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يَعُودُه ، فقال : كيف تبحدك؟ قال : أجدني أرجو وأتخاف ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، ما اجتمعتا في قلب رجلٍ إلا أعطاهُ الله خيراً (١) ما يرجو منه ، وآمنه من شر ما يخاف .

قال أبو الدرداء : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل .

قال مطرف بن عبد الله الشَّخِير : لو وُزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال لقمان لابنه : يا بني ! ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تأيسن فيها من رحمته ، فقال : كيف أستطيع ذلك ، وإنما لي قلب ؟ فقال : يا بني ! إن المؤمن كذبي (٢) قلبين ، قلب يخاف به ، وقلب يرجو به .

قال علي بن أبي طالب : خذوا عنى هذه الكلمات ، فلو رَحَلْتُمْ فيها المَطِيَّ حتى أنضيتموها لم تبلغوها : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه . وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه في كتاب « بيان العلم وفضله » .

كان يقال : من خاف الله ورجاه ، آمنه خوفه ، ولم يحرمه رجاءه .

وقف محمد بن سلمان على قبر أبيه ، فقال : اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له ، فحقق رجائي ، وآمن خوفي عليه .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

قال مسلم بن يسار (١) : ما أدري فيم (٢) خوف امرئ ورجاؤه إذا لم يمنعه .
من ركوب شهوة إن عرضت له ، أو لم يصبراه على مصيبة إن نزلت به .

كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فإنه من خاف الله أخاف الله
منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

للحسن بن هاني (٣) وتنسب للشافعي رضي الله عنهما ، والله أعلم :

خَفِ اللهُ وَارْجُوهُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَلَا تُطِيعِ النَّفْسَ الْعُجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكَنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا وَأَبْشِرْ بِمَقْوَرِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا (٤)

وفيها :

فَلَمَّا سَأَا قَلْبِي وَصَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرُّ

وَلَهُ :

قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ لِمِ آمَنِي مِنْ أَنْ أُنْ

وقال المتأني :

رَحَلَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مُرْتَقِيًا حُسَيْدًا

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : ما .

(٣) ب : سهل ، ا : وهب

(٤) الأبيات في معجم الأدباء ٣٠٣/١٧ تنسوبة إلى الشافعي رضي الله :

(٥) ديوانه ١٠٩ ، عيون الأخبار ٧٠/١ وذكر أنها لأبي نواس في ا-

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَوْلِي وَبِنَا إِلَيْكَ عِنَانَهُ شُكْرِي
وَجَمَلْتُ عَثْبَكَ عَثْبَ مَوْعِظَةٍ وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي

وقال أعرابي ، وقد أدخله البعيث في شعره :

وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّمَا أَرَى بِجَمِيلِ (١) الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعٌ (٢)

وقال منصور الفقيه :

قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْ بَنِي آدَمِ طُرًّا فَاصْبَحْتُ مِنْ رِقِّ الرَّجَاءِ لَهُمْ حُرًّا
وَعَدَلْتُ يَأْسِي بَيْنَهُمْ فَأَجَلْتُهُمْ - إِذَا ذُكِرُوا - قَدْرًا كَأَدْنَاهُمْ قَدْرًا
عَنِّي لَهُمْ بِاللَّهِ لَا مُتَطَاوِلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَائِلًا مُجْرًا
وَكَيْفَ يَعْيبُ النَّاسَ بِالْمَنْعِ مُؤْمِنٌ يَرَى النَّفْعَ مِنْ يَمْنِكَ النَّفْعَ وَالضَّرَّاءَ
عَلَيْهِ اتِّكَالِي فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا وَحَسْبِي بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي ذُخْرًا

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف رحمه الله لنفسه :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَفِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ
فَنَ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي وَمَالِكََ مِنْ فَضْلِ الْقَضَاءِ مَخَالِفٌ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَافُ

(١) ب : الجليل .

(٢) المقدم الفرید ١٨٠/٣ ، عيون الأخبار ٣٦/١ ، التمثيل والمحاضرة ٩ ، وقد نسب البيت في الكامل ٢٣١/٦ إلى محمد بن أبي وهيب ، ونسب لى زهر الآداب ٢٥٤/٣ محمد بن أبي حازم الباهل .

وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي
يصدّ ذور ودي ويحفو المؤلف
أرجى لإسرافي فإني لتالف^(١)
وقال أبو العتاهية :

إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ امْرُؤٌ لَانَ جَانِبُهُ^(٢) وَقَارَبَ بِالْإِحْسَانِ مَنْ لَا يُقَارِبُهُ
يَقُولُ الْقَتَى أَرْجُو وَأَرْجُو وَمَا لَهُ نَزوع^(٣) عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ رَاكِبُهُ
أَلَا لَيْسَ يَرْجُو اللَّهَ مَنْ لَا يَخَافُهُ وَليْسَ يَخَافُ اللَّهَ مَنْ لَا يَر_اقِبُهُ
مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يُبْصِرُ الدَّهْرَ حَهْلَهُ وَيَزْدَادُ فِيهِ الضَّعْفَ حَتَّى يُعَاتِبُهُ
كُنِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عِلْمًا وَحِكْمَةً لِمَنْ لَمْ يَخْنَسْهُ عِلْمُهُ وَتِجَارِبُهُ
وَمَنْ لَمْ يَثِقْ بِاللَّهِ لَمْ يَصْفُ عَيْشُهُ وَمَنْ ضَاقَ عَنْهُ الْحَقُّ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ^(٤)

كان أبو سعيد السيرافي كثيراً ما ينشد في مجلسه :

اسْكُنْ إِلَى سَكْنِ تَسْرٍ بِهِ ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدٌ
تَرْجُو غَدًا وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ فِي الْحَيِّ لَا يَدْرُونَ مَا تَلِدُ^(٥)

قرأت على سعيد بن نصر، أن^(٦) قاسم بن أصبغ حدثهم^(٦)، قال حدثنا عبد الله
ابن زواح المدائني، قال يزيد بن هرون، قال : حدثنا أبو موسى التيمي، قال :

(١) الأبيات في نفع الطيب ١١٢/٣ .

(٢) ١ : قلبه .

(٣) ١ : فروغ . (٤) ديوانه ١٠ .

(٥) البيتان لبشار بن برد ، انظر المختار من شعره ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ساقط من ب .

توفيت التَّوَارُ امرأة الفرزدق نخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة، وخرج فيها الحسن، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة ألا إله الله منذ ثمانين سنة، فلما دُفنت قام الفرزدق على قبرها فقال:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يُعَافِنِي - أَشَدَّ مِنْ الْقَبْرِ التَّهَابًا وَأَضْيَقًا
 إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
 لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَنُغْلَوْلَ الْقِلَادَةِ أَرْزَقَا^(١)
 (٢) قال: فبكى وأبكى^(٣).

(١) الأبيات في الميوان ٥٧٨، الكامل ٧١/١، ورواية الميوان: دارم مكان آدم، ومشود الحنافة بدلا من منغول القلادة. وفي الكامل: إذا قادن مكان إذا جاءني، ومومفا مكان أزرقا.
 (٢) ساقط من ب.

بابُ العافيةِ والبلاءِ

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « سألوا اللهَ العافيةَ والمعافةَ في الدنيا والآخرةَ ، فإنه لم يوتَ عبدٌ بعدَ اليقينِ باللهِ بأفضلَ من المعافاةِ^(١) » .

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِيبْ منه » .

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أشدُّ الناسِ بلاءً النبيُّونَ ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ » . والأحاديثُ عنه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في هذا البابِ كثيرةٌ جداً .

قال عيسى عليه السلام : إنما النَّاسُ مبتلى ومعافى ، فإذا رأيتم أهلَ البلاءِ فارجموهم ، وسألوا اللهَ العافيةَ .

قال علي بن الحسين : ما صاحبُ البلاءِ الذي قد طالَ به أحتقَّ بالدعاءِ من المعافى الذي لا^(٢) يأمنُ البلاءَ .

قال مطرفُ بنُ الشَّخِيرِ : لأنَّ أعافى فأشكر ، أحبَّ إلىَّ من أن أبتلى فأصبر ، نال مطرفٌ : ونظرت في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية .

قال سليمانُ التيميُّ : إن المؤمنَ ليبتلى ويُعافى ، فيكون بلاؤه كفارةً واستعتاباً ، وإن الكافرَ ليبتلى وبمعافى فيكون مثلَ بعيرٍ عُقل ، لا يدري فيم عُقل ولا لم أرسل .

(١) : اليقين .

(٢) : ساقط من ب .

قال منصور الفقيه :

رَأَيْتُ الْبَلَاءَ كَقَطْرِ السَّمَاءِ وَمَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ نَأْمِيهِ^(١)
فَلَا تَسْأَلَنَّ : إِذَا مَا سَأَلْتَ إِطْلُكَ شَيْئًا سِوَى الْعَافِيَةِ
وله أيضاً :

حفظ الفقى لسانه حبة في العافية
واقية من البلاء إن كان منه واقية

قال أكرم بن صيني : العافية المُلْكُ الخفي .

^(٢) كان يقال : لا خير في بدن لا ينكأ ، ولا في مال لا يرزأ^(٢) .

كان يقال : من عمل بالعافية فيمن هو دونه رزقها ممن هو فوقه .

قال الشاعر :

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلَاءٌ عداوةٌ غيرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
يُبِيحُكَ مِنْهُ عِرْضًا لَمْ يَصْنَعْهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عِرْضِ مَصُونِ^(٣)
وقال آخر ، وهو أبو راسب :

فلو أني بليت بهاشمي
صبرت على عداوته ولكن
خوولته بنو عبد المدان
تعالوا فانظروا بمن ابتلاني^(٤)

(١) : هامية .

(٢) زيادة من ب .

(٣) البيتان لعل بن الجهم ، انظر محاضرات الأدباء ١/١٢٢ ، ١٨٦ ، وفيات الأعيان ٣/٤١ ، المقدم الفريد ٢٥٠/١ ، ٣٣٩/٢ .

(٤) نسب البيتان في المسطر ١/٢٥٠ إلى زياد بن عبد الله ، ونسباني الكامن ٢/٦١ إلى دعبل بن علي الخزاعي .

قال بشار بن برد :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الْمَالِ يَعْجِبُنِي فَلَيْسَ يَبْعِدُنِي عِنْدِي صِحَّةُ الْجَسَدِ
فِي الْمَالِ زَيْنٌ وَفِي الْأَوْلَادِ مَكْرَمَةٌ وَالشَّقْمُ يَنْسِيكَ ذِكْرَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ^(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « البلاء مُوَكَكِّلٌ بِالْقَوْلِ » .

أخذه الشاعر فقال :

إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَكِّلٌ بِالْمَنْطِقِ^(٢)

وقال آخر :

فَإِذَا رَأَيْتَ أَخَا الْبَلِيَّةِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْبَلَاءِ النَّازِلِ
تَالِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ الْمَافِيَةَ بِمَحْضَرَةِ الْمَبْتَلَى .

(١) لم أعر عليهما فيما طبع من ديوانه .

(٢) صدره : احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ، وهو لمصالح بن عبد القدوس كما في حماسة البحري ١٦٨ ،

واعطره في المستطرف ١٠٢/١ ، معجم الأدباء ١٣/١٢٥ من غير نسبة .

بابُ المرضِ والطبِّ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْزَلَ الدَّاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الْأَدْوَاءَ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ خَيْرِ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ » .

وقال عليه السلام : « إِنْ كَانَ دَوَاءٌ يَبْلُغُ الدَّاءَ فَالْحِجَامَةُ تَبْلُغُهُ » .

قال محمد بن سيرين : كننا بساباط المدائن ، فر بي رجل ، فقيل لي : هذا حجَمٌ^(١)

كسرى ، فدعوته ، فقلت له : أنت حجمت كسرى ؟ قال : نعم . قلت : وكم حجمته ؟

قال : واحدة . قلت : ولم اقتصر على واحدة ؟ قال : كان يقول : آخذ من الدواء

أدناه ، فإن كان نافعاً أخذت من نفعه ، وإن كان ضاراً لم أكن استكثرت

من ضرره .

روى النَّزَالُ بْنُ سَبْرَةَ^(٢) ، عن عليّ ، أنه قال : من ابتداء غداه بالملح أذهب الله

عنه كل دائه ، ومن أكل إحدى وعشرين زبينة كل يوم لم ير في جوفه شيئاً يكرهه ،

واللحم يئبب اللحم ، والثريد طعام العرب ، ولحم البقر داء ، ولبنها دواء ، وسمها

شفاء ، والشحم يخرج مشله من الداء . قال النزال : أظنه يريد شحم البقر . قال عليّ

رضي الله عنه : وما استشفى بأفضل من السمن ، والسمن يذيب البدن ، أو قال :

الجسد ، ولم تستشف النفساء بشيء أفضل من الرطب ، والسواك وقراءة القرآن

يذهبان البلغم ، ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليباكر الغداء ، وليخفف الرداء ،

(١) ب : يهجم .

(٢) ب : سبرمة ، تحريف .

وليقول غُشَيَّانُ النَّسَاءِ . قيل له : يا أمير المؤمنين ! وما خفة الرداء ؟ قال : خفة الدين .
قال شُرَيْحٌ : امش بدائك ما حملك .

قال حَسَّانُ بْنُ خُرَيْمِ بْنِ الْأَغْرَ : دع الدواء ما احتمل جسمك الدواء .
سئل الحارثُ بن كَلْدَةَ طيِّبِ الْعَرَبِ : ما الدواء الذي لا داء فيه ؟ قال : هو
ألا يدخل بطنك طعام وفيه طعام .

قال غيره : هو أن يقدمَ الطعام إليك وأنت تشتهيه ، ويرفع عنك وأنت تشتهيه .
قالوا : ثلاثة تقتل : الحمَّام على الكِظَّة ، والجماع على البِطْنَةِ ، والإكثار من
أكل القديد اليابس .

كانوا يقولون : لو أمات العليل الداء أحاشه (١) الـ

قال الربيع بن خيثم : ذكرت عادًا وعمو
ذلك كثيرًا ، كانت فيهم الأدوية ، وكانت
ولا المداوى .

وقيل له في علته : ألا ندعوك طبيبًا ؟ فة
ما قال لك ؟ فقال : إنني فعال لما أريد .

وهذا نحو قول أبي الدرداء ، وقد قيل له
أمرضني . وقد أوردنا عن العلماء في هذا المـ
« التمهيد » والحمد لله .

ولأبي العتاهية ، ويروى لغيره :

إِنَّ الطَّيِّبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهِ أَتَى
وَالطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَبْرئُ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى (١)

كان مفيان بن عيينة ، يستحسن قول عدى بن زيد ، حيث يقول :

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوْجٍ ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَمُودُ
بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الْأَيْرَةِ وَالْأَذَى مَا طِ أْفَضْتُ إِلَى التُّرَابِ الْجُلُودُ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثُ وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا الْوَعْدِ كُلُّهُ وَالْوَعِيدُ
وَالْأَطِبَاءُ كُلُّهُمْ لَحِقُومٌ ضَلَّ (٢) عَنْهُمْ سَمُوطُهُمْ وَاللُّدُودُ
وَصَحِيحٌ أَضْحَى يَعُودُ مَرِيضًا وَهُوَ أَذَى لِلْمَوْتِ مِنْ يَهُودِ (٣)
أَخَذَهُ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ ، فَقَالَ :

كَمْ مِنْ عَمَلٍ قَدْ تَحَطَّاهُ الرَّدَى فَجَاءَ وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ (٤)
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

نَمَى لَكَ ظِلُّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ

(١) ديوانه ١٠ ، ويروى البيتان أيضاً لبشار ، انظر المختار من شعره ٢٣١ وفيه : دفاع مقدور
مكان مكروه .

(٢) ب . ظل .

(٣) الأبيات في : الفهد الفريد ١٨٨/٣ عدا الرابع ، وفيه : ثم عاد من بعدها ، والحدود مكان الجلود ،
وانظر معجم الشعراء ٢٥٠٠ .

(٤) التمثيل والمهاضرة ١٨٢ من غير نسبة .

وَقَبْلَكَ دَاوِي الْمَرِيضَ الطَّيِّبُ فَعَاشَ الْمَرِيضَ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

كَذَبْتُ إِنْ أَنَا سَمَّيْتُ تُ مُحَمَّدًا أَوْ مُصِيبًا
مَنْ لَا يُعَاشِرُ إِلَّا مَنجَمًا أَوْ طَيِّبًا

وقال آخر ، وهو يزيد بن خذاق العبدي^(٢) :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بِنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ
هَوْنٌ عَايِكَ وَلَا تَوْلَعٌ بِإِسْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِ

وقال ابن الطَّيْرِيَّة^(٣) :

وَكُنْتُ كَغَدِي دَاوٍ تَبَعِي لِذَاتِهِ طَيِّبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبِّبًا

وقال محمود الوراق :

قَدِ قُلْتُ لَمَّا قَالَ لِي قَائِلٌ^(٤) قَدِ صَارَ مُبْقِرَاطٌ إِلَى رَمْسِهِ
فَإِنْ مَا دَوَّنَ مِنْ كُتُبِهِ وَجَمَعَهُ الْأَخْجَارَ مَعَ جَسِّهِ^(٥)

(١) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه المطبوع ، وقد نسبت إلى أبي حفص الشطرنجي في الأغاني ٧٢/١٩ ، ووردت في عيون الأخبار ٣٢٧/٢ ، العقد الفريد ١٨٠/٣ .

(٢) انظر ترجمته والبيتين في الشعر والشعراء ٢٤٦ ، وانظرهما في العقد الفريد ٢٤٤/٣ .

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة ، شاعر مطبوع من شعراء بني أمية ، نسبته إلى أمه من بني «طر» من عنز بن وائل ، قتل سنة ١٢٦ هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٢٩٩/٢ وسمط اللآلي ١٠٣ ، وانظر البيت في الشعر والشعراء ٢٦٣ ، مجمع الشعراء ٢٨٦ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٤) ب : قد قلت للقائل التي قال لي .

(٥) ب : من جسسه .

لم يُغْنِهِ إِذَا حُمَّ مِقْدَارُهُ ولم يُسَاوِ الْعُشْرَ مِنْ قَلْسِهِ
هَيَّاتَ لَا يَدْفَعُ عَنْ غَيْرِهِ من كَانَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ

وقال منصور الفقيه :

يَا سَيِّدَا بَاتَتْ الْقُلُوبُ — لِأَنَّ بَاتَ كَمَا لَا يُحِبُّ — مُحْتَرِقَةٌ
إِنَّ ذَوِي الطُّبِّ — لَا أَقُولُ بِمَا لَا يَعْلَمُ رَبِّي خَلَّافَهُ — فَسَقَةٌ
فَلَا تُشَاوِرُهُمْ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى شَيْخٍ بِدِينِهِ شَفَقَةٌ
وَأَتَلُ مِنَ الْوَحْيِ مَا اسْتَطَعْتُ وَلَوْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيْلَةٌ وَرَقَةٌ
فَمَا يُدَاوِي الْعَلِيلُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَةِ

جاء في الخبر : « من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً ، فليشتر به
عسلاً ، ثم ليشربه بماء السماء ، فإنه يبرأ بإذن الله » .

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه :

يَا ذَا الَّذِي أَنْزَلَنِي ^(١) مَنزِلِي عَلَيَّ بِمَا أَنْزَلَهُ مَنزِلَهُ
إِنَّ كُنْتُ فِي الصِّحَّةِ ذَا رَغْبَةٍ فاعْتَضْ مِنْ الْمَجْزَرَةِ الْمُبْقَلَةِ
وَاسْتَعْمِلِ الْمَاشَ ^(٢) وَأَشْبَاهَهُ وَبَاعِدِ اللَّيْلَ عَنِ الْمَكْحَلَةِ
فَإِنَّمَا الْجَبَّاهِلُ كُلُّ امْرِئٍ يَأْكُلُ فِي الصِّحَّةِ مَا عَنَّنَا لَهُ

(١) ا : أكبر لي ، ب : أرنى .

(٢) الماش : حب ناعم للمحوم والمزكوم ، ملين .

قال أبو عمر رضى الله عنه : دخلت على الشيخ أبي الوليد بن عباد ،
عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه ، فوجدته قد أخذ شيئاً^(١) من
حسوا^(٢) ، فقلت له : يا سيدي ما لصاحب البطن والحسو ؟ فقال : شيء
تأقت نفسى إليه ، وسئمت أكل الجامد واليابس ، فأنصرفت من عنده ،
ثم كتبت إليه :

يَا سَلِيلَ الْكِرَامِ مِنْ آلِ لَحْمٍ	وَأَخَا الرَّأْيِ وَالذَّهَاءِ وَالْوَفَاءِ
إِنَّ لِي مِنْ سِقَامِ جِسْمِكَ سَقَمًا	ثَابِتًا فِي الْفُؤَادِ وَالْأَحْشَاءِ
وَبَقْلِي مِمَّا بِجِسْمِكَ ضِعْفٌ	لِلَّذِي تَشْتَكِي مِنَ الْأَدْوَاءِ
وَبُودِي لَوْ كُنْتُ عَنْكَ فِدَاءً	بَدَلًا عِنْدَ هَجْمَةِ الضَّرَاءِ
فَأَقْبِلِ النَّصِيحَ سَيِّدِي وَاسْمِعِ الْقَوْلَ	لَ فَإِنِّي أَحْكِي عَنِ الْحُكَمَاءِ
لَا يُدَاوِي الْإِسْهَالَ بِالْإِحْتِسَاءِ ^(٢)	لَا وَلَا بِالْأَمْرَاقِ وَالْبَاقِلَاءِ
إِنَّمَا الطَّبُّ طَرْدُكَ الضُّدَّ بِالضُّدِّ	وَدَفْعُ الْأَهْوَاءِ بِالْإِحْتِمَاءِ
حَسْمٌ ذَا الدَّاءِ مَا كَانَ قُوْتًا	يَأْتَفُ الطَّبُّعُ فِي قِوَامِ الْغِذَاءِ
وَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ فَاللَّهُ يَشْفِي	لَيْسَ شَافٍ سِوَاهُ مِنْ كُلِّ دَاءِ
نَعْمَ عَوْنُ الْعَلِيلِ تَوْبَةً صِدْقٍ	وَكَذَا الْبُرِّ جَالِبٌ لِلشِّفَاءِ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنِّي دَائِبًا	مَا جَرَى الدَّمْعُ قَاطِعًا لِلشِّجَاءِ

(١) : ساقط من ب.

(٢) : بالحسولالا .

ولنصور الفقيه أيضا :

يَا شَرِيفًا طَى^(١) أَمَّا لِي عَنَّهُ النَّصْحَ بِدَعَا
 لَوْ مَطَلْتِ النَّفْسَ بِالْقُرُو^(٢) ج بَعْدَ الْيَوْمِ جُمُعَةً
 لَمْ تَمُتْ هَمًّا وَلَمْ تَدْ مِم^(٣) بِكَ الْحَمَى بِسُرْعَةٍ
 فَاحْتَرِسْ بَعْدُ فَحَسْبُ الْ مَرَّةً أَنْ يُخَدَعَ خِدَاعَهُ

(١) ب : يا شريفًا طب . شرف : ا : يا شريف طبي .

(٢) ب : بالقروح .

(٣) ا : تلزمك .

بابُ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) . وقيل في تأويل أولى الأمر قولان : أحدهما ، أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر العلماء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة إلا في معروف ، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له » .

قال عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (٢) : أن يطاع فلا يعصى ، ويُشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .

وقال قتادة ، مثل ذلك ، وزاد عليها (٣) : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٤) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : يا ابن آدم ما أنصفتني أتحبب إليك بالنعم ، وتنبض إلي بالمعاصي ، خيري إليك نازل ، وشركي إلي صاعد ، كم (٥) من ملك كريم يصعد إلي منك بعمل قبيح » .

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٣) ١ : وسختها :

(٤) سورة التغابن ١٦ .

(٥) ساقط من ب .

قال الهلاليّ : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه ، ومن تعزز بمعصية الله ، أذاقه الله ذُلًّا بحقّ .

قال علي بن عبد الله بن عباس : من لم يجد نقص الجهل في عقله ، وذل المعصية في قلبه ، ولم يستتب موضع الخلل من لسانه عند كلال حده ، فليس ممن يرغب عن ذنبه ، ولا ينزع عن حال معجزة ، ولا يكثر لفضل ما بين حجة وشبهة .

قال جعفر بن محمد : من تقله الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزه بلا عشيرة .

أخذه محمود الوراق ، فقال :

هالكٌ (١) الدليل لمن أرا د غنى يدوم بغير مال
وأراد عزا لم توطأ دة المشائر بالقتال
ومهابة من غير سدا طان وجاها في الرجال
فليتصم بدخوله في عز طاعة ذي الجلال
وخروجه من ذلة ال عاصي له في كل حال

قال الحسن : لا يفرك توطيهم رقاب المسلمين ، وإن هملجت (٢) بهم خيولهم ورفرت (٣) بهم ركابهم ، إن ذل المعصية في قلوبهم ، أبي الله إلا أن يذل من عصاه .

(١) : فأنا ، م : ها أنا .

(٢) هملجت : ذلت واقادت .

(٣) : دفرت .

كان يقال : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

قال العتبي : خطب يزيد بن الوليد فأوجز ، وقال : أيها الناس ! الأمر أمر الله ، والطاعة طاعة الله ، فأطيعوني بطاعته ما أطعت الله ، يغفر الله لي ولكم .

قالت هند : الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالطبيع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلت آثاره ، والمصيبة مقرونة بالبغضة ، فالعاصي ممقوت ، وإن مسستك رحمته ، وتالك معروفه .

كتب ابن السماك إلى أخ له : أفضل العبادة الإمساك عن المصيبة ، والوقوف عند الشبهة ، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقاله سفيان بن عيينة . ذكر إبليس عند أبي حاتم ، فقال : وما إبليس ! فوالله لقد عصى فاضر ، وأطيع فافقع .

قال محمود الوراق ، وتنسب إلى الشافعي :

تَعَصَى الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا مَحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمْتَهُ إِنْ الْمَحِبِّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرٍ ذَلِكَ مُضِيعُ^(١)

وقال إسحاق الموصلي :

الْمَلِكُ وَالْعِزُّ وَالْمُرُوءَةُ وَالْفِطْرَةُ^(٢) وَالنَّبْلُ وَالْيَسَارُ مَعًا

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢ ، الكامل ٢٣٤/١ ، العقد الفريد ٣/٢٦٥ ، وتنسب أيضاً لدى الرمة ، زيادات الديوان ٦٧٠ .
(٢) ساطعة من ب .

مَجْتَمَعَاتُ فِي طَاعَةِ الْعَبْدِ (١) لِأَنَّ
وَاللُّؤْمُ وَالذُّكُّ وَالضَّرَاعَةَ وَأَنَّ
عِنْدَ إِذَا الْعَبْدُ أَعْمَلَ الْوَرَعًا
فَأَقَاتُ فِي أَصْلِ أُذُنٍ مِّنْ طَمِعًا (١)

وقال أبو العتاهية :

أَرَاكَ أَمْرًا تَرْجُو مِنَ اللَّهِ عَفْوَهُ
فَتَقَى مَتَى تَمَضَى وَيَعْمُو (٢) إِلَى مَتَى
وَأَنْتَ عَلَيَّ مَا لَا يُحِبُّ مُقِيمٌ
تَبَارَكَ رَبِّي إِنَّهُ لَرَحِيمٌ (٣)

وله أيضاً :

أَطِيعِ اللَّهَ بِجَهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطُ
صَادِقًا أَوْ بَعْضَ جَهْدِكَ
لُبٌّ مِّنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ (٤)

(١) انظر البيهقي الأولين في المختار من شعر بشار ٢١٩ من غير نسبة .
(٢) ١ : ونبهو .
(٣) ديوانه ٢٤٢ .
(٤) ديوانه ٨٦ .

بَابُ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٌ ﴾^(١) ، قال مجاهد : هو الطعان الآكل لحوم الناس .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بِمِضُّكُمْ بَمِضًا ، أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الايمان قلبه ، لا تفتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو في بيته » .

قال عمر بن الخطاب : من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض المسلمين ، فهو الرجل .

وقع بين سعد وخالد كلام ، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد ، فقال سعد : مه ، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قلتَ في أخيك ما فيه مما يكره فقد اغتبتَه ، وإن قلتَ فيه ما ليس فيه فذلك البُهتان » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كف عن أعراض المسلمين لسانه أقاله الله يوم القيامة عثرته » .

(١) سورة المنزة آية ١ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٢ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم أيها الناس : المشاءون بالنعيمة ،
المفروقون بين الأحبة ، الباغون لأهل البر العثرات » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا غيبة فيهم : الفاسق المعان بفسقه ،
وشارب الخمر ، والسُّلطان الجائر » .

قال رجل لابن سيرين : إني وقعت فيك ، فاجعاني في حلّ ، قال : لا أحب أن
أحل لك ما حرم الله عليك .

قال رجل للحسن البصرى : إني اغتبت فلاناً وإني أريد أن أستحله ، فقال :
لم يكفك أن اغتبتته حتى تريد أن تبهته .

قال ابن عباد الصاحب :

أَحْذَرِ الْغَيْبَةَ فَهِيَ أَلْ فِسْقُ لَا رُخْصَةَ فِيهِ
إِنَّمَا الْمُغْتَابُ كَالآ كَلِّ مِنْ لَحْمِ أَخِيهِ^(١)

قال حذيفة : كفارة من اغتبتته أن تستغفر له .

قال عبد الله بن المبارك لسفيان بن عيينة : التوبة من الغيبة أن تستغفر
لمن اغتبتته ، قال سفيان : بل تستغفره مما قلت فيه : قال ابن المبارك : لا تؤذيه
مرتين .

قال عدى بن حاتم : الغيبة مرعى اللثام .

قال أبو العتاهية : الصائم في عبادة ما لم يعتب .

قال ابن مثير: ما من ذنب أجدر أن تجده من الرجل - وإن أعجبك - من الغيبة .

قال أبو حاتم: أربح التجارة ذكر الله ، وأخسر التجارة ذكر الناس .

قال الفضيل بن عياض: ذكر الناس داء ، وذكر الله شفاء .

سمع قتيبة بن مسلم رجلا يفتاب آخر ، فقال : لقد مضنت مضنة طالما لفظها الكرام .

سمع أعرابي رجلا يقع في الناس ، فقال : قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس ، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها .
قال الشاعر :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ^(١)

وقال آخر :

وَأَجْرًا مِنْ رَأَيْتَ بظَهْرٍ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرُّجَالِ أَخُو الْعِيُوبِ^(٢)

وقال آخر :

فَكَلَّ عِيَابَ لَهُ مِنْظَرُهُ مُشْتَمِلُ الثَّوبِ عَلَى عَيْبِ^(٣)

(١) البيت للمستورد الخارجي كما في الكامل ٢/٢٦٧ ، وانظره في التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، زهر الآداب ٦٠/٣ .

(٢) معجم الأدياء ١١/٢٧ . والكامل ١/١٥١ ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، وفيها : رب عياب . . ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

كان يقال : ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه .
قال أبو عاصم النبيل : لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارعَوْنَّ^(١) » عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس .

قال الحجاج بن الفرافصة^(٢) : قلت لجاهد : الرجل يكون وقاعاً في الناس ، فأقع فيه ، أله غيبة ؟ قال : لا . قلت : من ذا الذي تحرّم غيبته ؟ قال : رجلٌ خفيفُ الظهر من دماء المُسلمين ، خييص^(٣) البطن من أموالهم ، أخرسُ اللسان عن أعراضهم ، فهذا حرامُ العيبة ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ، ولا غيبة فيه .

قال رجل لعمر بن مبيد : إنّي لأرحمك مما يقول الناسُ فيك . قال : فما تسمي أتول فيهم ؟ قال : ما سمعتك تقول إلا خيراً . قال : إياهم فارحم .

قال عتبة بن أبي سفیان لابنه^(٤) عمرو : يا بُنَيَّ انزّه نفسك عن الغنا ، كما تنزّه لسانك عن البذا ، فإن المستمع شريك القاتل .

وهذا عندي مأخوذ من قول كعب بن زهير :
إن كنت لا ترهبُ عن ذمّي لما : تعرف من صفحي عن الجاهل .

(١) : أترعون .

(٢) : يوسف ، وهو تحريف .

(٣) ب : خفيف .

(٤) ب : لأبيه .

فَاخْشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فِيكَ يَسْجُوعٌ خَنًا الْقَائِلِ
 فَالَسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكْلِ
 مَقَالَةُ الشُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَنْبَرِعُ مِنْ مُنْجِدِ سَائِلِ
 وَمَنْ دَمَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
 فَلَا تَهْجُ إِن كُنْتَ ذَا رِيبةٍ حَرَبَ أَخِي التَّجْرِبَةَ الْعَاقِلِ
 فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هَجَّتْهُ هِجَّتْ بِهِ ذَا حَبْلِ حَابِلِ
 يَبْصُرُ فِي عَاجِلِ شِدَاتِهِ عَلَيْكَ نَغِبَ الضَّرَرَ الْآجِلِ^(١)

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

فَلَوْ شِئْتُ أَدْلَى^(٢) فِيكَمَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي السِّرِّ
 فَإِنَّ أَنَا لَمْ أَمْرُ وَلَمْ أَنَّهُ عَابِتًا ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلْبِجَّ وَيَسْتَشْرِي^(٣)

ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق :

تَحَرَّ مِنْ الطَّرْقِ أَوْ سَاطِحًا وَعَدَّ عَنِ الْجَانِبِ^(٤) الْمُشْتَبِهَ
 وَسَمَعَكَ صُنَّ عَنِ سَمَاعِ الْقَبِيهِ سَجَّ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ^(٥) بِهِ
 فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيهِ سَجَّ شَرِيكَ لِقَائِلِهِ^(٦) فَا نْتَبِهَ

(١) ديوانه ١٢٤ ، المقدم ٢/٤٤٤ .

(٢) ب : أذنى .

(٣) البيتان مع أبيات أخرى في عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، البيان ١/١٦٨ .

(٤) ب : للوضع .

(٥) أ : القول .

(٦) نسبت هذه الأبيات في معجم الأدباء ١٠/١٦٣ إلى الحسين بن محمد النواجي المصري المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

قالت الحكماء : حسبك من شرِّ سماعه .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ، أَكْثَاوُنَ لِلْسُّخْتِ ﴾ (١) .

قال عبدُ الله بن عباسٍ رضى الله عنه ، قال لى أبى : إني أرى أميرَ المؤمنين - يعني عُمر - يُذنيك ويقرُّبك ، فاحفظ عني ثلاثاً : إياك أن يجربَ عليك كذبةً ، وإياك أن تُفشيَ له سراً ، وإياك أن تغتابَ عنده أحداً ، ثم قال : يا عبد الله ! ثلاثاً وأى ثلاث . فقال له رجل : يا ابنَ عباسٍ اكلُ واحدةٍ خيرٌ من ألف . فقال : بل كلُّ واحدةٍ خيرٌ من عشرة آلاف .

قال عبد الصمد بن المعدل :

قَدْ هَجَرْنَا مَجْلِسَ الْغِيَةِ هِجْرَانِ التَّقَالِ ٢
 الْفَتَّةُ عَصْبَةٌ نَوْ كَى لِقِيلٍ وَ لِقَالِ
 رَبِّ مَنْ يَشْجِيهِ ذَكَرَى (٣) وَهُوَ لَا يَجْرِي بِبَالِي
 قَلْبُهُ مَلَأَتْ مِنْ خَوْ فِي وَقَلْبِي مِنْهُ خَالِ (٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع

إلينا عورة مسلم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات (٥) » .

(١) سورة المائدة ٤٢ .

(٢) ب : الفقال .

(٣) ب : أمرى .

(٤) محاضرات الأدباء ١/١٢٣ ، ١٨٨ .

(٥) القتات : النمام أو الذى يسمع حديث الناس من حيث لا يعلمون .

وقال عليه السلام : « إياك ومهلك الثلاثة » قيل : وما مُهلك الثلاثة ؟ قال :
 « رجل سعى بأخيه المسلم فقتله ، فأهلك نفسه وأخاه وسلطاناه » .
 وقالوا : قبول السّماية شرٌّ من السّماية ، لأن السّماية دلاله والقبول إجازة .
 قال يحيى بن أبي كثير : يُفسد النَّمام والكذابُ في ساعة ما لا يفسد السّاجر
 في سنة^(١) .

قال سابق :

إِذَ الْوَاشِي بَغَى يَوْمًا صَدِيقًا فَلَا تَدَعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ الْوَاشِي^(٢)
 وقول سابق هذا — والله أعلم — أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله : إذا
 كان لك أخ في الله فلا تماره ، ولا تسمع فيه من أحد ، فربما قال لك ما ليس فيه فخال
 بينك وبينه .

تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبي طالب ، فقال له أبوه : مهلا
 يا بني لا تنقّصه ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ،
 وإن الدين لم يبن شيئًا فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تب شيئًا إلا عادت على
 ما بنت فهدمته .

كان يقال : المرعّض بالناس اتقى صاحبه ، ولم يتق ربه .

قال الفرزدق :

تَصَرَّمَ عَنِّي وَدَّ بَكْرٍ بِنِ تَوَائِلٍ وَمَا خِلْتُ عَنِّي وَدَّهْمٌ يَتَصَرَّمُ

(١) ب : يوم .
 (٢) عيون الأخبار ٢/٢٠ ، العقد الفريد ٢/٢٣٣ .

قوارصُ تَأْتِينِي وَتَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَقْعَمُ^(١)

وقال يزيد بن الحكم الثقي :

تُكَاشِرُ^(٢) مَنْ لَأَفَيْتَ لِي ذَا عَدَاوَةٍ
بَدَأَ مِنْكَ غِشٌّ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ
جَمَعْتَ وَفُحْشًا غَيْبَةً وَنِعْمَةً
وَأَنْتَ صَدِيقِي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِيٍّ
كَمَا كَتَمْتَ دَاءَ ابْنِهَا أُمَّ مُدَوِيٍّ
ثَلَاثَ خَلَالٍ لَسْتُ عَنْهَا بِمُرْعَوِيٍّ^(٣)

وقال زياد الأعجم :

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبَدِّي لِي مَكَاشِرَةً
مَا كُنْتُ أَخْشَى وَإِنْ طَالَ^(٤) الزَّيْمَانُ بِهِ
وَأَنْتَ أَعِيبُ فَأَنْتَ الْهَامِيزُ اللَّعْمَزَةُ
حَيْفٌ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْتَابِنِي غَمَزَةُ

وقال منصور الفقيه :

هَبْنِي تَحَرَّزْتُ مِنْ
فَكَيْفَ لِي بِاخْتِرَاسِ
يَنْمُ بِالْكِتْمَانِ
مِنْ قَائِلِ الْبِهْتَانِ

وقال أيضاً :

لِي حِيلَةٌ فَيَمْنَنُ يَنْمُ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقْوُ
وَلَيْسَ فِي السَّكَذَّابِ حِيلَةٌ
لُ لِحَيْلَتِي فِيهِ قَلِيلُهُ^(٥)

(١) ديوانه ٧٥٦ ، وفيه : وما خلت باقى ودعا يتصرم ، وفيه أيضاً : فتحتقرونها ، والقطر الآن بدل الإناء ، وانظر حساسة البحرى ٢٠٧ ، وفيه : وما كاد غنى ودحم .

(٢) كاشره : ضحك لايه وباسطه .

(٣) محاسرات الأدباء ٦١/١ ، عيون الأخبار ١٢/٢ ، وانظر الأغاني ٢٩٦/١٢ ، حساسة البحرى ٢٨١ ، وفيها : نصابح مكان تكاشر وستأني الأبيات مع زيادة فيما يلي س ٤١٠ .

(٤) ب : يطل .

(٥) نسب البيتان في المستطرف ١٠/٢ إلى محمود بن أبي الجنوب ، وهى للفقيه كما ذكر حسا ، وفي معجم

الأدباء ١٩٠/١٩ .

قال موسى عليه السلام : يا ربّ إن الناس يقولون فيّ ما ليس فيّ ،
 (١) فاجعلهم ياربّ يقولون فيما فيّ (١) . فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى لم أجعل
 ذلك لنفسى ، فكيف أجعله لك .

قال المسيح عليه السلام : لا يُحزّنك قولُ الناس فيك ، فإن كان كاذباً
 كانت حسنة لم تعملها ، وإن كان صادقاً كانت سيئة (٢) مجلت عقوبتها .

(١) - اقط من ب .

(٢) ب : سيئاً .

بابُ البَغْيِ والحَسَدِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنبٍ هو أجدُّ أن يعجَلَ اللهُ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة ، من البَغْيِ وقطيعة الرحم . »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا حسدتُم فلا تَبَغُّوا ، وإذا ظنننتم فلا تُحَقِّقوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا . »

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثةٌ لا يكاد يسلمُ منهم أحدٌ : الطَّيْرَةُ^(١) والحَسَدُ والظَّنُّ . قيل : فما المخرجُ منهم يا رسولَ الله؟ قال : « إذا تطيرتَ فلا ترجع ، وإذا حسدتَ فلا تبغ ، وإذا ظننتَ فلا تحقِّق . »

روى عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : لو بنى جبلٌ هلى جبلٍ ، لُدَّكَ الباغى منهما .

أخذه الشاعر فقال :

وَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ لَدَّكَ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

وقال آخر :

ذَرِ البَغْيَ إِنَّ البَغْيَ مُوبِقٌ أَهْلِهِ وَلَمْ يَعِدِمِ البَاغِيَ مِنَ النَّاسِ مَصْرَعًا

قال عمر بن الخطاب : ما كانت على أحدٍ نعمةٌ إلا كان لها حاسدٌ ، ولو كان الرجلُ أقومَ من القَدَحِ لو جد له غامزًا .

(١) هي ما ينشأ به من القأل الردى .

قال ابن مسعود : لا تعادوا نعم الله عز وجل . قيل : ومن يُعادي نعم الله ؟
قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

قال الحسن البصري : ليس أحدٌ من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد ، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغى والظلم لم يتبعه منه شيء .

وعن أنس بن مالك أنه مرّ على ديار خربة خاوية ، قال : هذه أهلها وأهلك
أهلها البغى والحسد ، إن الحسدَ ليطغى نور الحسنات ، والبغى يُصدّق ذلك أو
يُكذّبه ، فإذا حسدتم فلا تبغوا .

قيل للحسن : يا أبا سعيد ! أيحسد المؤمن ؟ قال : لا أمّ لك ! أنسيت
إخوة يوسف .

قال بعض الحكماء : البغى من فروع الحسد ، وأقدم الناس على البغى من جهل
المعرفة بسرعة نصر الله لمن بغى عليه .

وقالوا : ثلاثة عائدة على فاعلها : البغى والمكر والنكث^(١) .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ
الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ ﴾^(٤) .

(١) النكث بالكسر : تقضي المهد .

(٢) سورة يونس آية : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .

(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

وقال يزيدُ بن الحَكَم :

إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقَةً مِمَّا يَهْبِجُ بِهِ (١) الْعَظِيمُ
وَالْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرَّتُهُ وَخِيمُ (٢)

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يَنْفِقُهُ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطْبَ » . وقد ذكرنا كثيرًا من الآثار المرفوعة وغيرها في الحَسَدِ عند قوله عليه السلام : « لا تحاسدوا » في كتاب « التمهيد » ، بما فيه كفاية والحمد لله .

سئل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ ؟ قال : « الْمُؤْمِنُ النَّقِيُّ (٣) الْقَلْبِ ، لَيْسَ فِيهِ غُلٌّ وَلَا حَسَدٌ (٤) » .

كان يقال : أَقْبَحُ الْأَشْيَاءِ بِالسُّلْطَانِ اللَّجَّاجِ ، وَبِالْحُكَمَاءِ الضَّجْرِ ، وَبِالْفُقَهَاءِ سَخَافَةِ الدِّينِ ، وَبِالْعُلَمَاءِ إِفْرَاطِ الْحِرْصِ ، وَبِالْمُقَاتِلَةِ الْجَبِينِ (٥) ، وَبِالْأَغْنِيَاءِ الْبَخْلِ ، وَبِالْفُقَرَاءِ الْكِبَرِ ، وَبِالشَّبَابِ الْكَسَلِ ، وَبِالشُّيُوخِ الْمُزَاحِ ، وَبِجَمَاعَةِ النَّاسِ التَّبَاغُضِ وَالْحَسَدِ .

(١) : يهاج له .

(٢) البيتان في حاشية أبي تمام ٤٢/٢ ، حاشية البهري ٢٠٨ ، ضرات الأدباء ٧٦/٢ .

(٣) ب : المحموم .

(٤) ب : لأحد .

(٥) ب : الحفي .

كان يقال : كادت الفاقة تكون كفرًا ، وكاد الحسد يغلب القدر ، والهـم نصف الهرم ، والفقـر الموت الأكبر .

قال علي بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة : مالنا ولقريش ؟ بلى . لنا ولهم ، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا .

قال علي بن أبي طالب ، قال إبليس لجنوده : ألقوا بين الناس التحاسد والبغى ، فإنهما يعدلان الشرك .

كان يقال : أول ما عُصِيَ الله به في السماء والأرض (١) الحسد والحرص . ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له ، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة ، وحسد ابن آدم أخاه حين تُقبِلُ منه قربانه فقتله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احذروا ثلاثًا : الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطَّ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه » .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ (٢)

قال سابق :

جَنَى الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلآبَاءِ أَبْنَاءُ (٣)

(١) ساقطة من ب .

(٢) ديوانه ١١٦/٩ . وصدر البيت :

حسد حملته من أجلها

(٣) المستطرف ١/٢٥٠ ، وفيه سن بدل جنى ، وفي مجموعة العاني ٦٥ : أحيا ، وقد تردد في نسبتها

هناك بين قيس بن عاصم ، وسابق البربري ، ونسب في حاسة البخري ١٨ لطريف بن ديسق التميمي .

قال أبو الدرداء : مكتوب في التوراة : إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه
قرايته وجيرانه.

كان يقال : الحسد في الجيران ، والمداوة في الأقارب .

قال ثُمَامَةُ بن الأَشْرَس (١) في أحمد بن خالد :

أفكر ما ذنبي لديك فلا أرى على سبيل غير أنك حاسد
وإننا لموسومان كل بيسمة أقر مقرر أو أبى ذاك جاحد

قال بكر بن عبد الله المزني : حطك من الباغى حسن المكاشرة ، وذنبتك إلى
الحاسد دوام النعمة .

قال الحسّين الخليع :

ما للحسود وأشياءه ومن كذب الحق إلا الحجر

قال عبد الله بن المقفع : إن الحسد خلق دنيء ، ومن دناؤه أنه موكل
بالأدنى فالأدنى .

قال يزيد بن الحكم الثقفى :

تكاشرني كرها كأنك ناصح وعينك تبدي أن قلبك لي دوى (٢)
بدأ منك عيب طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أم مدوى (٣)

(١) ساقطة من ب .

(٢) كاشره : ضاحكه وباسطه ، ودوى كفرح : مرض ، ويقال : إنه لداء الصدر لحسب .

(٣) ادوى : أكل الدواء ، وهي جليدة رقيقة تملو اللبن والمرق ، وأم مدوى خاطبة من الأعراب خطبت
على ابنها جارية ، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أدوى يا أمي ؟ فقالت : اللجام معلق
بعمود البيت . أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عاداته ، وأرتها أنه يقصد إلى السير في الدو وهي الفلاة
الواسعة

لِسَانِكَ مَاذِي^(١) وَقَلْبِكَ عَلِقَمِ
 تَمَلَّاتٍ مِنْ غَيْظٍ عَلِيٍّ فَلَمْ يَزَلْ
 وَمَا بَرِحَتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيدَتَهَا
 وَقَالَ النَّطَاسِيُّونَ إِنَّكَ مُشَعَّرٌ
 أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوِ أَمْرًا هَوِيَّتَهُ
 وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طِخَتْ كَمَا هَوَى
 عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوَاتِي إِنْ لَقِيْتَهُ

وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُنْطَوِي
 بِكَ الْغَيْظُ حَتَّى كَدْتَ بِالْغَيْظِ تَشْتَوِي
 تَذِيْبُكَ حَتَّى قِيلَ : هَلْ أَنْتَ مَكْتَوِي
 سَلَالًا . أَلَا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسَدِ جَوِي^(٢)
 وَلَسْتَ لِمَا أَهْوَى مِنْ الْأَمْرِ بِالْهَوَى
 بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوِي^(٣)
 وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِي^(٤)

وفي رواية أخرى :

تصافح من ألفت لي ذا عداوة
 وأنت صديقي ليس ذلك بمستوى

قال ابن المعتز :

مَا عَابَنِي إِلَّا الْحَسُو
 وَالْخَيْرُ وَالْحَسَادُ مَمَّةٌ
 وَإِذَا مَلَكَتُ الْمَجْدَ لَمْ
 دُ وَتَلَكَ مِنْ خَيْرِ الْمَاعِيْبِ
 رُونَانٍ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبِ
 أَمْلِكُ مَذَمَّاتِ الْأَقَارِبِ

(١) الماضي : غسل النحل .

(٢) جوى : مريض بصدوره .

(٣) طخت : طاح يطيح ويطوح : هلك - هوى وانهوى : سقط . الأجرام : جمع جرم وهو الجسم .

القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

(٤) انظر الأبيات مع اختلاف في روايتها في الأغاني ١٢/٢٩٦ . وانظر بعضها في محاضرات الأدباء ١/٦١ ،

عيون الأخبار ١٢/٢ ، حساسة البحرى ٢٢٨ ، ورواية البيت الأخير فيها :

تود عدوى ثم تزعم أنني صديقك ليس الفعل منك بمسئوى

وَإِذَا فَقَدْتُ الْحَاسِدِيْنَ فَقَدْتُ فِي الدُّنْيَا الْمَطَايِبَ^(١)

وَأَنشَدَ ابْنُ عَائِشَةَ :

خَلِيلِيْ إِنِّي لِلثَّرِيْبَا لِحَاسِدِيْ
أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهِيَ سَبْعَةٌ^(٢)
وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدُ
وَأَفْقِدُ مِنْ أَحْبَبْتُهُ وَهُوَ وَاحِدٌ^(٣)

وَقَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

كَيْفَ تَرْجُونَ سُقُوطِيْ بَعْدَمَا
بَسَسَ مَا ظَنُّوْا وَقَدْ عَرَّفْتُهُمْ
رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا صَدْرَهُ
وَيَرَانِيْ كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ
مُزِيدًا يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِيْ
لَمْ يَضُرَّنِيْ غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِيْ
وَيُحْيِيْنِيْ إِذَا لَاقَيْتُهُ
قَدْ كَفَانِي اللهُ مَا فِي نَفْسِهِ
عَمَمَ الرَّأْسَ بِيَّاضٍ وَصَلَعَ
عِنْدَ غَايَاتِ الْمَدَى كَيْفَ أَقَعَ
قَدْ تَعَنَّى لِيْ مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ
عَسِيرًا نَخَّرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ
وَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِيْ انْقَمَعَ
فَهُوَ يَزُقُّوْا مِثْلَ مَا يَزُقُّوْا الضُّوعُ
وَإِذَا يَخْلُوْا لَهُ لَحْمِي رَتَعَ
وَإِذَا مَا يَكْفِيْ شَيْئًا لَمْ يُضَعْ^(٤)

(١) يروى : الناقب بدل المطايب ، والهجيد بدل الخبير ، ومودات بدل منلمات ، والأطايب بدل المطايب . وانظر الأبيات في ديوانه ٢٥٦ ، المختار من شعر بشار ٦٩ ؛ محاضرات الأدباء ١٢٠/١ ، ٢١٤ .

(٢) ١ : أبيقى جميعا عملها وهي ستة .

(٣) هي للمهلبى الوزير ، انظر التمثيل والمحاضرة ٢٣٤ .

(٤) يروى : سقاطى ، وجلل بدل عمم وقلبه مكان صدره ، وانقمع مكان انقمع .

المزيد الذى ملأ فيه الزبد من الحديث العالى ، يخطر : يتبختر . يزقو : يصيح ، الضوع : ذكر البوم . وانظر الأبيات ما عدا الثاني في عيون الأخبار ١٠/٢ ، الشعر والشعراء ٣٨٥ .

وقال أبو الأسود الدؤلي ، ويقال إنها للعرزمي :

تَلَقَى اللَّيْبَ مُحْسَدًا لَمْ يَجْتَرِمِ شَتَمَ الرَّجَالِ وَعِرْضُهُ مَشْتُومٌ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ فَالنَّاسُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومٌ^(١)

وقال المرارُ الفقمسي :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَن مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يَقْتَرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مَحْمُودٌ
أَمْضَى عَلَى سُنَّةٍ مِّنْ وَالِدٍ سَلَفَتْ فِي أَرْوَمَتِهِ مَا يَنْبِتُ الْعُودُ
مُطَالِبٌ بَتَاتٍ غَيْرِ مُدْرِكَةٍ مُحْسَدٌ وَالْفَتَى ذُو اللَّبِّ مُحْسُودٌ

وقال أبو الطيب :

أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجُولُ
سَيَوَى وَجَعَ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَزُولُ
وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ^(٢)

وقال ليبيد بن عطار بن حاجب التميمي :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي : وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بَعَا يَحِيدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ لَا أَرْتَقِي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرِدُ^(٣)

(١) ديوان أبي الأسود ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ١٢٤/١ ، وفيات الأعيان ٤٥٥/٢ عيون الأخبار ٩/٢ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ .

(٣) الأبيات و شرح حياصة أبي تمام ٣٨١/١ ، وقد نسبت في معجم الشعراء مرة إلى السكيت بن معروف الأسيدي ٣٤٧ ، ومرة إلى أبي بكر العرزمي ص ٤١٧ . وانظرها في السكامل ٩٨/٢ : عيون الأخبار ١٠/٢ بدون نسبة .

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو النقصان

وقال مروان بن أبي حفصة:

ما ضره^(١) حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير^(٢)

قال معاوية بن أبي سفيان: كل الناس أراضيته إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه

إلا زوالها

أخذه الشاعر فقال:

كلُّ العداوة قد تُرجى^(٣) إمامتها إلا عداوة من عاداك من حسد^(٤)

قال معاوية بن أبي سفيان: ليس في خلال الشر أشر من الحسد، لأنه قد يقتل

الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

كان يقال: الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت.

قال الخليل بن أحمد: لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد.

قال محمود الوراق:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا^(٥) إلا الحسود فإنه أعيانى

(١) ب: ما ضرني .

(٢) محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .

(٣) ب: ترجو .

(٤) عيون الأخبار ١٠/٢ .

(٥) ا: الدنا .

لا أن لي ذنباً لديه علمته إلا تظاهر نعمة الرحمن
 يطوي على خنق حشاه لأن رأى عندي كمال غنى وفضل بيان
 ما إن أرى يرضيه إلا ذلتي وذهاب أموال وقطع لساني

وقال آخر :

إن (١) يكثر الله حسداً لهم فعلى مقدار ما كثرت فيهم من النعم.

وقال محمد بن زياد الحارثي :

إذ ما حلت الشكر في كل نعمة يدفع الحسود بعد ذلك خطة لك الأجر والمهني وللحاسد الذي يحق عليك شكرها واحتمالها يكون عليه همها ووبالها يكيدك فيها جرئها ونكالها

وقال آخر :

تمنى لي الموت المعجل خالد ولا خير فيمن ليس يعرف حسده (٢)

وقال نصر بن أحمد :

كأنما الدهر قد أغرى بنا حسداً ونعمة الله مقرون بها الحسد

وقال آخر :

إن العرايين تلقاهم حسداً ولن ترى للناس حسداً (٣)

(١) : ١ : ثن .

(٢) البيت لأبي بن حمام العيسى ، انظر المؤلف والمختلف ٩١ ، حياصة أبي تمام ١٦٩/١ .

(٣) البيت للغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب ، انظر معجم الشعراء ٣٦٩ ، محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .

وقال آخر :

مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعْمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا (١)

وقال آخر :

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَادِي ذُوو عَدَدٍ يَا ذَا الْمَعَارِجِ لَا تُنْقِصْ لَهُمْ عَدَدًا (٢)

وقال بشار العقيلي :

فَاللَّهِ أَسْأَلُهُ لِذَوَامٍ دَائِمٍ وَأَنْ يُدِيمَ لَنَا مَا يُوجِبُ الْحَسَدَا (٣)

وقال أيضا :

قَدْ أَذْهَبَ الدَّاءُ حُسَادِي بِكَثْرَتِهِمْ لَا عِشْتُ خِلْوًا مِنَ الْحُسَادِ لِأَنَّهُمْ أَبَقَى لِي اللَّهُ حُسَادِي وَنَعْمَهُمْ وَلَوْ فُنُوا عَزَّ دَائِي مِنْ يَدَاوِينِي أَعَزُّ فَقْدًا مِنَ اللَّائِي أَحْبَبُونِي حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءِ غَيْرِ مَكْنُونٍ (٤)

وقال محمود الوراق :

لَا تَحْسُدَنَّ أَخَاكَ وَارِ عَ لَهُ عَلَى الْأَيَّامِ عَهْدَهُ
حَسَدُ الصِّدِيقِ صَدِيقُهُ وَأَخَاهُ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتُ أَتَّاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه ١٨٢ ، جمهرة أشعار العرب ٢٥ ، العقد الفرید ١/٢٣٧ .

(٢) البيت لنصر بن سيار ، انظر المستطرف ١/٢٥٤ .

(٣) المختار من شعر بشار ٦٦ .

(٤) المختار من شعر بشار ١١٢ .

(١) لَوْلَا اشْتِمَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ فَضْلُ عَرَفِ الْعُودِ (١)

وقال أبو القاسم الداعية: أذنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم.

ولأحد بنى الطيفان (٢):

وَمَوَّلِي كَمَوَّلِي الزُّبْرَقَانِ دُمِلَتْهُ كَمَا دُمِلَتْ سَاقُ يَهَاضٍ بِهَا كَسْرُ
تَرَاهُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنِيهِ إِنَّ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفُرُ

وقال ابن أبي طاهر (٣):

يَا حَاسِدًا فَضْلَ امْرَأِي سَيِّدِ أَصْبَحَ قَدْ أَحْسَنَ فِي فِعْلِهِ
لَا زِلْتَهُ إِلَّا بَاغِيًا حَاسِدًا لِكُلِّ ذِي نُبُلٍ عَلَى نُبُلِهِ
وَزَادَ مِنْ تَحْسُدِهِ نِعْمَةً دَائِمَةً تَبْقَى عَلَى مِثْلِهِ
وَلَمْ يَزَلْ ذُو النَّقْصِ مِنْ نَقْصِهِ يَحْسُدُ ذَا الْفَضْلِ عَلَى فَضْلِهِ

وقال أبو فراس الحمداني، وهو الحارث بن سميد بن حمدان:

لِمَنْ (١) جَاهَدَ الْحُسَادَ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ وَأَعْجَزُ مَا حَاوَلَتْ إِرْضَاءَ حَاسِدِ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْيَوْمِ أَكْثَرَ حَاسِدًا كَمَا أَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ فِي قَلْبِ وَاحِدِ (٥)

(١) ساقط من ١، وهما في ديوانه ٤٣.

(٢) ١: أحمد بن الضيفان، تحريف، فالبيتان لخالد بن عاتمة بن الطيفان، انظر المؤلفات والمختلف ١٤٩.

(٣) هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر) المراساني، أحد الكتّاب البلقاء، والمؤلفين المسكّرين،

والمؤرخين الرواة، وله شعر قليل. ترجمته في تاريخ بغداد ٢١١/٤، دهجم الأدباء ٨٧/٣.

(٤) ب: لثن.

(٥) ديوانه ٨١.

بَابُ السُّبَابِ وَالْمُشَاتِمَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ
الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ ^(١) » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المتسابان ما قالا ، فعلى البادى ما لم
يعتد المظلوم » .

قال بعض الحكماء : ما استتب رجُلان إلا غلب الأَمَهُما ^(٢) .

قال الزبير بن بَدْر : خُصِمَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِ الشُّؤْمِ : شِدَّةُ السَّبِّ ،
وَكَثْرَةُ الأَطَامِ ^(٣) .

كان يقال : الغالبُ في الشر مغلوب .

شتم رجلٌ أبا ذر ، فقال له : يا هذا ^(٤) ؟ لا تُفْرِقَنَّ في شتمنا ودَعِّ للصالحِ موضعا ،
فإِنَّا لَنَكْفِيءُ من عصي الله فينا ، بأكثر من أن نطيع الله فيه .

قال أبو مسلم صاحب الدعوة ، عُصْبَةُ الأَشْرَافِ تَظْهَرُ بِأَفْعَالِهَا ، وَعُصْبَةُ الأَدْنِيَاءِ
تَظْهَرُ بِالسَّنْتِهَا .

(١) ساطعة من أ .

(٢) أ ، السنهما .

(٣) ب الطام ، ولم أعثر على معنى لها ، والطام : ضرب سفحة الوجه ، ويحتمل أن تكون اللغام بالضاد :

وهو اللغم والإلجام .

(٤) ب : ما هذا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله جعل الحقَّ على لسان
مُهمَّرٍ وقلبه . »

كان يقال : ظنُّ الحكيم كهانة . ويروى هذا لماوية رضى الله عنه .
سئل بعضُ العرب عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظنُّون ، ومعرفةُ ما لم يكن
بما كان .

قال علي بن أبي طالب : لله درّ ابن عباس ! إنه لينظر إلى (١) الخيب من
ستر رقيق .

قال بلعاء بن قيس :
وأبني صوابَ الظنِّ أعلمُ أنه إذا طاشَ ظنُّ المرءِ طاشتْ مَقادِرُهُ (٢)
وقال أوس بن حجر :

الألمعى الذى يظنُّ بك الظنَّ (٣) كَأنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا (٤)
كان يقال : صحة الظن أول اليقين ، أخذه سعيد بن حميد فقال :
أهاؤبك أن أدلّ عليك ظننا لأن الظن مفتاحُ اليقين (٥)
وقال آخر :

يَظُنُّ فَلَا يَعْدُو الضَّمِيرَ كَأَنَّمَا لَهُ فِي الْأُمُورِ النَّائِبَاتِ رَقِيبُ

(١) ساقطة من أ .

(٢) نسب البيت في حماسة البحرى ٤٠٣ إلى عفرس بن نجبة الكلابى ، وانظره في مجموعة الممان ٢١٠

المؤلف ١٠٦ ، فصل المقال ١٣٨ ، البيان ٣١٨/٢ ، عيون الأخبار ٣٥/٢ .

(٣) ديوانه ٨ ، البيان ٢٨١/١ ، مجم الأدباء ١٨٢/٦ ، ١٤٢/١٠٠ نوادر الغال ٣٤ ، حماسة البحرى ٤٠٣ .

(٤) عيون الأخبار ٣٥/١ . بدون نسبة ، وفيها : أصوله أن أظن .

وقال كثير بن عبد الملك :

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةَ جَمِيعٍ به شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشَّبَابَا
ولكن تحت ذلك الشَّيْبِ عَزَمٌ إِذَا مَا ظَنَّ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا (١)

وقال آخر :

وَإِنِّي اطَّرَفَ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ فَقَدِ كَدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرٌ (٢)
وقال عبد الله بن محمد الأشبوني (٣) :

ذِكْرِي يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ بَطْنُهُ كَانَ لَهُ غَيْبًا عَلَيَّ غَامِضِ السَّرِّ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكَ حَسَنًا أَمْسُ وَسَوَى أَوْدَكَ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سِيَكْفِيكَ غَدَاةَ (٤)

سمع أعرابي رجلا يقول : إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه . فقال الأعرابي : إن الكريم إذا تولى (٥) شيئا أحسن فيه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل .

(١) نسب البيتان في الأمل ٢/٩٤ إلى مسعود بن بشر المازني ، وانظر البيان ٣/٢٨١ ، والرواية هناك : وقد فقد الشبايا ، وإذا ما ظن أعرض ، وأمراض معناها : فارب الصواب ، ومنه : إنه ليمرض في القول إذا لم يصرح .
(٢) البيت لأبي نواس ، ديوانه ٩٩ .
(٣) ١ : الأسنوني ، وهو تحريف ، والصحيح أنه منسوب إلى الأشبونة ، وهي مدينة غربيه بجهة علي ساحل البحر ، انظر صفة جزيرة الأندلس من الروض المطار ١٢ .
(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٤٩ .
(٥) ب : ولي .

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وضاقت
مقدرته ، وبعدت همته ، وأسوأ منه حالا : من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به
أحد لسوء فعله .

قال غيره من الحكماء : حسب البعيد المهمة أن تكون غايته الجنة .

قال أبو العتاهية :

الظَّنُّ يُمَخِّطِي تَارَةً وَيُصِيبُ (١)

وقال آخر :

وإِنِّي بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ لَوَائِقٌ وَلَكِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ

قال المتنبي :

إِذَا سَاءَ فَعَلُ البُرِّ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَمْتَاذُهُ مِنْ تَوَهُمٍ (٢)

قال ابن هرمة :

وَحَسْبُكَ تَهْمَةٌ لِنَصِيحٍ (٣) قَوْمٍ يَدُّ عَلَى أَخِي بَعْدَ جَنَاحَا

قال أبو حازم : العقلُ التعجُّبُ ، والحزمُ سوءُ الظنِّ .

قال الحسن البصري : لو كان الرجل يصيب ولا يخطيء ، ويحمد في كل ما يأتي

لداخله (٤) العجب .

(١) عجز بيت صدره : وجميع ما هو كائن فقريب . ديوانه ٢٠ .

(٢) ديوانه ٢٩١ ، محاضرات الأدباء ١٤١/١٠٢٤ ، وقد نسب في البيتة ٧٧/١ للذاني فراس الحداني .

(٣) ب : في نصيح ، والبيت في الحاسة لأبي تمام ٢٢٤/٢ والرواية فيها :

وحسبك تهمة يرى قوم يضم على أخي سقم جناحا

(٤) ب : تداخله .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أفرسُ الناسِ كلِّهم - فيما علمتُ -
 ثلاثة : العزيزُ في قوله لامرأته حين تفرّسَ في يوسف : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ
 يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ (١) ، وصاحبةُ موسى حين قالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ
 خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (٢) . وأبو بكر حين تفرّسَ في صمر رضى الله
 عنهما فاستخلفه .

نظر إياسُ بنُ معاوية يوماً ، وهو بواسط ، في الرحبة إلى آجُرّة ، فقال : تحت
 هذه الآجُرّة حيةٌ ، فزعموا الآجُرّة فإذا تحتها حيةٌ منطوية ، فسئل عن ذلك ،
 فقال : إننى رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين تلك الرحبة ، فاملت أن تحتها
 شيئاً يتنفس .

قال عمرو بن بحر : إذا نظر الأعرابي إلى موضعٍ منتفخ (٣) في أرضٍ مستوية ،
 فإذا رآه يتصدع في تهيل ، وكان تفتحه مستويًا علم أنها كثاة ، وإن خلط في
 التصدع والحركة علم أنها دابةٌ ، فاتقى مكانها .

نظر إياسُ بن معاوية يوماً إلى صدعٍ في الأرض ، فقال : في هذا الصدع دابةٌ .
 فنظروا فإذا فيه دابةٌ ، فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابةٍ أو نبات .

قال معن بن زائدة : ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله ، فقال له الفضل بن
 شهاب : فإن رأيت وجهه ؟ قال : فذلك (٤) حينئذ في كتاب أقرأه .

(١) سورة يوسف ٢١ .

(٢) سورة القصص ٢٦ .

(٣) ب : منتفخ .

(٤) ساقطة من أ .

ومر إياسُ بنُ معاوية ذات يوم بجماء ، فقال : أسمع صوتَ كلبٍ غريب ، قيل له : كيف عرفت ذلك ؟ قال ، بخضوعِ صوته وشدةِ نباحٍ غيره من الكلاب . قالوا : فإذا كلبٌ (١) غريبٌ مربوط ، والكلابُ تنبجه . وأما قولُ العماني (٢) :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَاؤُهَا

فالحُكْلُ : كلٌ من لم يكن له صوتٌ تستبانُ مخارجه ، أو كلامٌ يفهم من الجواب كله . وأما قوله : تُسَاوِدُ فعناه تُسَارُّ ، والسَّوَادُ : السَّرَارُ ، ومنه قولُ ابنةِ الخُسِّ : (٣)

حملني على هذا قربُ الوِسادِ ، وطولُ السَّوادِ .

وفي حديثِ ابنِ مسعود : تعالَى أسَاوِدُكَ ، أى أسَارُكَ .

قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ : خَصَلَتَانِ إِذَا كَاتَا فِي الْغَلَامِ رُجِيَتْ نَجَابَتُهُ ؛ الرَّهْبَةُ وَالْحَيَاءُ .

قال غيره : إِذَا اسْتَثْقَلَ (٤) الصَّبِيُّ الْأَدَبَ ، وَضَجَّ مِنَ الْحَصْرِ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ وَعَمِيَ ، وَإِذَا فَهَمَ أَدَى ، كَانَ ذَلِكَ مِمَّنْ يُرْجَى .

قال غيره : إِذَا كَانَ الْغَلَامُ حَازِمًا (٥) فِي الْخَلَاءِ ، فَطَبِيعَ اللِّسَانِ فِي التَّمَلُّاءِ ، يَبْغِضُ التَّعْلِيمَ ، وَيُؤَارِبُ الْمُعَلِّمَ ، وَيُقَدِّمُ أَبَاهُ عَلَى أُمِّهِ ، وَيُؤَخِّرُ خَالَهَ عَلَى عَمِّهِ ، وَكُنِيَّتُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ اسْمِهِ ، فَإِنَّهُ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُنْتَظَرُ عِزُّهُ .

(١) ساقط من أ .

(٢) العماني : محمد بن ذؤيب العماني البصري ، كان شاعراً راجزاً ، وكان لطيفاً ذاهية مقبولاً لدى العظماء أوصله عبد الملك بن صالح إلى الرشيد ، فأفاد منه مالا جزيلاً . انظر ترجمته والبيت في البيان ١ / ٥٦ .

(٣) اسمها هند وهي امرأة من لباد ورد عنها كثير من الأمثال ، وكانت معروفة بالفصاحة . وقد قيل لأنها اتصلت ببعد لها ، فأما سئلت عما حملها على ذلك أجابت بذلك القول .

(٤) ب : استقل .

(٥) ب : عازبا .

وقال ابن الزيات : إذا رأيتَ الصبي يُحِبُّ (١) عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة (٢) فهو مضعوف . قاله إذ رأى ابنه (٣) عمر يحب الكتاب فاغتم له ، فسئل عن ذلك ، فقال ما ذكرنا ، قال أبو عمر رضى الله عنه : قوله عندي هذا ليس بشيء .

وقال غيره : يُستدل على نجابة الصبي بشيئين : الحياء ، وحب الكرامة ، أما الحياء فهو خير كله ، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

قال عمرو بن العاص : أنا للبدية ، ومعاوية للأناة ، والمنيرة للمضلات ، وزيادٌ لصغار الأمور وكبارها .

أراد يوسف بن عمر بن هبيرة أن يوتى بكر بن عبد الله العزبي القضاء ، فاستعفاه ، فأبى أن يعفيه ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أحسن القضاء ، فإن كنتُ كاذباً فلا يحل لك أن توتى الكاذبين ، وإن كنت صادقاً ، فلا يحل أن توتى من لا يحسن .

قال رجل من الأعراب ضرير النظر (٤) لا بنته ، وهي تقوده في البرعى : يا بنية انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها قرونُ المِعزى . قال : ارعى . فرعت ساعة ، فقال : انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دم تجرّ جِلالها (٥) . قال :

(١) ب : يحب .

(٢) ب : المعرفة .

(٣) ب : أباه .

(٤) ب : البصر .

(٥) الجلال : ما تلبسه الدابة لتصان به .

ارعى . فرعت ساعة ، ثم قال : انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأن الرباب نمام
تعلق بالأرجاء^(١) من السماء ، قال : ارعى . ثم قال : انظري كيف ترين السماء ؟
قالت . ابيضت واسودت ودنت^(١) فكأنها عينٌ نفسٍ تطرف^(١) . قال : أنجى
ولا أراك ناجية .

قال الشاعر :

أَكَلُ وَمِيضِ بَارِقَةٍ كَذُوبُ أَمَا فِي الدَّهْرِ شَيْءٌ لَا يُرِيبُ^(٢)
أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله^(٣) ، فقالت والله إني إذا لطويل العنق .
فسمعها الشيخ ، فقال : أشار والله إليها لتقبله^(٤) .

للبيد أو للبعيث :

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(٥)

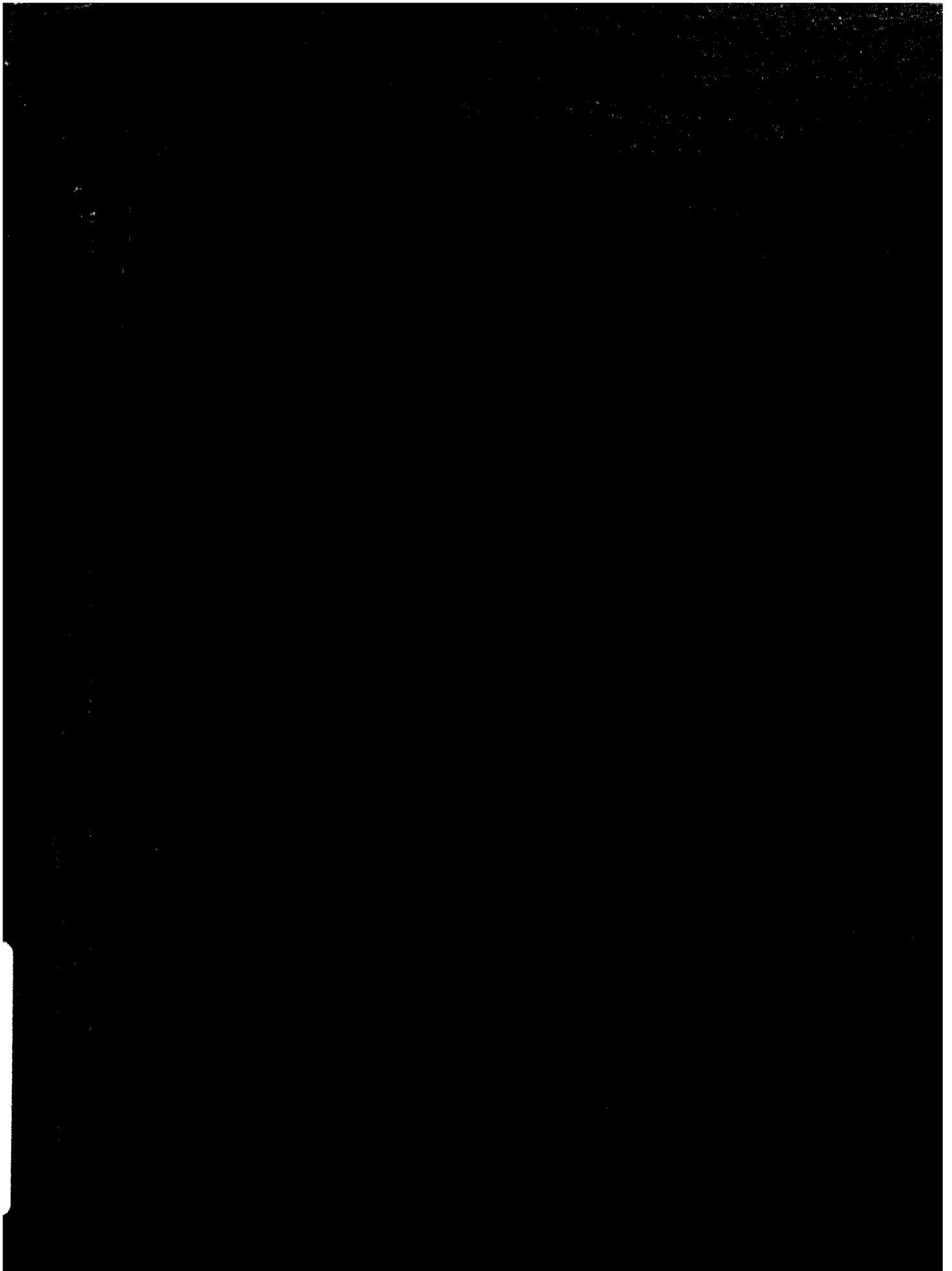
(١) الزباب : السحاب الأبيض ، واحده ربابة ، وفي ب : تعليق بأرجله .

(٢) سألط من ب .

(٣) البيت لأبي الفرج البهاء ، انظر العمثيل والمعاصرة ١١٧ ، نهاية الأوب ٣/١٠٦ .

(٤) ب : بقيلة .

(٥) يروى : الضوارب بالحصى ، وهو للبيد ، ديوانه ٥٨ ، ولد نسب لطرفة في جبهة أشعار العرب .



To: www.al-mostafa.com